في

مقارنة الأديان

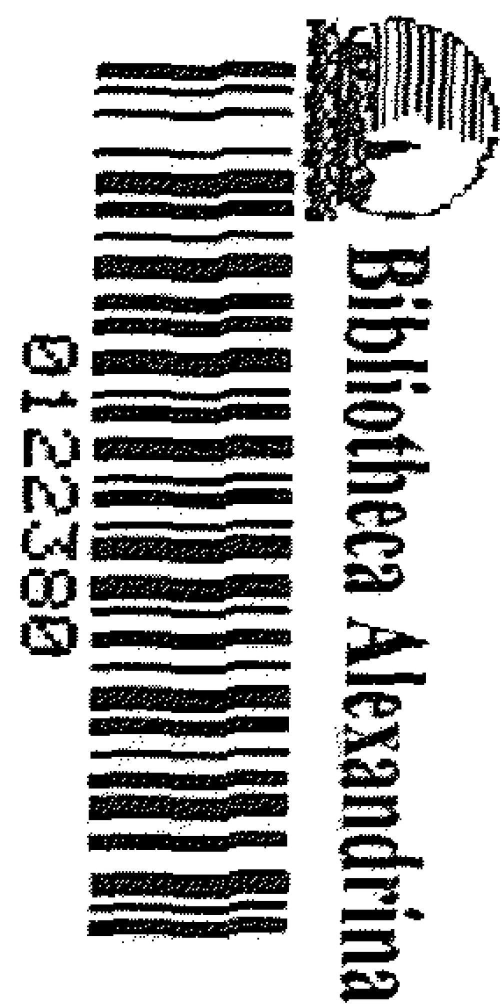
بحوث ودراسات

تأليف

الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي

أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان المساعد

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة



مكتبة الزهراء

بحرم جامعة القاهرة

في

مقارنة الأديان

الطبعة الثانية

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

﴿ المقدمة ﴾

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

وأصلى وأسلم على رسل الله ، وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن والاه .

أمّا بعـــد :

فـإن درس « الملل والأديان والنِّحـل والمذاهب » دراسة تاريخية وتحليلية مقـارنـة ، لهو أمر من صميم الثقافة والتراث الإسلامى ، بل إننا لا نعدو الصواب إذا قلنا إن الأبُوة الشرعية لهذا الحقل العلمى تكمن فى هذه الثقافة الإسلامية وتراثها الخالد الثرّ العظيم .

ولا ريب عندنا أنه قد كان لتوجيهات القرآن الكريم وهدايته أبلغ الأثر وأعمقـه فى نشـأة هذا الفـرع العلمىّ ، ووضـع أصوله ، ومنهج بحثه ، وقواعد درسه .

واستجـابة لهذه التوجيهات ، واسترشاداً بهذه الهدايات انقدحت عقول المفكـرين المسلمـين للتـأليف والتصنيف والمناظرة ؛ ومن ثم فقد تركوا للإنسانية روائع استفاد منها الدارسون ـ بعدهم ـ واحتفى بها كثير من العلماء المتخصصين فى الغرب والشرق على السواء .

وممّـا هو بدهىّ مقررّ أن العناية بدرس الملل والنحل ومقارنتها ليعد من صميم اختصاص الباحثين فى اقسام الفلسفة عموماً فى جامعاتنا ، وفى أقسام الفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص . كما أن تحقيق الكتب والمصنّفات التى وضعها علماؤنا الأفذاذ فى هذا الحقل ونشرها ليدخل فى صميم رسالة هذه الأقسام ؛ بل وفى مركز اهتمامها .

وإذا كان تراثنا الإسلامى يزخر بالمصنّفات التى وضعها كبار علمائنا فى الملل والنحل ، فإنّ المكتبة الإسلامية المعاصرة لتشكو الخواء والفقر المدقع فى هذا المجال ، رغم الحاجة الماسة إلى مثل هذه المؤلفات ؛ خصوصاً بعد ظهور تلك الدراسات النقدية الواسعة والعميقة التى وجهها علماء الغرب الى أسفارهم المقدّسة ، وقد شملت دراساتهم النقدية أسفار العهدين معاً ، وقد لمع فى هذا المجال مفكرون وفلاسفة كبار أمثال : باروخ سبينوزا ، وهورن Horne ، وكريسباخ Johann J.Griesbach ، وآدم كلارك A. Clarck ، وريتشارد سيمون R.Simon ، وجان أستروك J.Astruc ، وغيرهم . وقد استفادت حركة نقد أسفار الكتاب المقدس Bible ـ فى الغرب ـ من التراث الإسلامى ـ الذى تعرّفت عليه بطرق متعددة ـ فائدة غير منكورة . وإنى لأهيب بالدارسين فى الأقسام الفلسفية أن يتعرّفوا على هذه البحوث وأن يستفيدوا من نتائجها ، وانها جِدّ مفيدة فى الواقع .

ويسرّنى أن أقدم الكتاب الأول من سلسلة كتب تصدر بعون الله تباعاً تحت عنوان : « فى مقارنة الأديان : بحوث ودراسات » . وقد درست فيه ست قضايا هامة تتعلق فى جملتها بأسفار العهدين بصورة مباشرة . وهذه القضايا المدروسة هى :

- تعريف وجيز بأسفار العهدين .
- مخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها .
- النقد العلمى لسند العهد القديم .
- الأناجيل والرسائل بين انقطاع سندها وتناقض متنها .
- مكانة الأنبياء فى التوراة والقرآن الكريم .
- ملامح الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم .

ونعتزم أن ندرس فى الأجزاء التالية بعون الله جملة قضايا من صميم ما يدرس فى مجال الملل والنحل مثل :

- أهمية دراسة الملل والنحل ومقارنتها فى التراث الإسلامى ، مع دراسة

مصادرها فى هذا التراث ، بجانب دراسة جهود بعض علماء المسلمين فى هذا المجال .

- دراسة فى الديانات الوضعية المنتشرة .
- فرق اليهود والنصارى قديماً وحديثاً .

- جدل علماء النصارى حول طبيعة المسيح : عرض ونقد ونماذج له من كتاباتهم القديمة والمعاصرة .

- دراسة براهين علماء النصارى على صحة الإنجيل ومناقشتها .
- أهم مجامع علماء النصارى وأبرز قراراتها .
- تسرُّبُ الوثنية إلى اليهودية والنصرانية : الملامح والمصادر .
- الألوهية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم . دراسة مقارنة .
- الوحى والنبوّة فى التوراة والإنجيل والقرآن : دراسة مقارنة .
- متى ترجمت أسفار العهدين الى اللغة العربية ؟
- البشارات بمحمد ﷺ فى التوراة والإنجيل وصلة ذلك بعلم دلائل النبوة .
- أسرار الكنيسة السبعة : تحليل وتقويم .
- بولس ودوره فى تحريف الديانة النصرانية .
- حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب ؛ دوافعها ، وأعلامها ، وقضاياها ، ومناهجها ، ونتائجها .
- دراسة عن لفائف البحر الميت « The Dead Sea Scrolls » وتبينّ قيمتها العلمية والتاريخية الوثائقية .
- كتابات المهتدين إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى : خصائصها وقيمتها .
- الكتابات الجدلية بين علماء المسلمين وعلماء اليهود والنصارى مثل :
- الكندى الفيلسوف ويحى بن عدى اليعقوبي .
- الهاشمى وعبد المسيح .

- القس الأندلسى وأبي عبيدة الخزرجى .
- راهب فرنسا وأبى الوليد الباجي
- يوحنا الدمشقى .
- أبي عيسى الورّاق وعدى بن يحيى .
- الدكتور فندر ورحمة الله . . الخ .

- دراسة إنجيل برنابا فى ضوء لفائف نجع حمادى التى اكتشفت فى منتصف هذا القرن ، وتضم كثيراً من الأناجيل والرسائل والكتابات المنسوبة الى كبار القديسين والتى رفضتها الكنيسة فى القرن الرابع الميلادى ؛ خصوصاً فى مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥ م .

إلى غير ذلك من قضايا نرى أنها بحاجة الى مزيد فحص وتمحيص .

ومما نذكّر به فى هذا المقام أن الدراسة العلمية الجادة فى حقل الأديان والملل والنحل ، **لا مجال فيها للتعصب المقيت** الذى يشل صاحبه ويعميه ويصمه عن رؤية الحق ، والاستماع إلى ندائه ، والتحرك صوبه .

وإن الدراسة فى هذا الحقل ينبغى أن تستند فى كل خطواتها إلى العقل الحر والتوجه الموضوعى الملتزم بقضية الحق ، والدوران معها حيثما دارت عجلتها .

ويجدر بى هنا أن أشيد بجهود علماء بارزين ورجال دين من اليهود والنصارى لم يمنعهم التعصب الأعمى - الذى يظهر عند البعض فى أحيان كثيرة - من أن يتوفروا على تحقيق كتب ومصنفات كتبها علماء مسلمون فى حقل الأديان والجدل الدينى مع المخالفين ، وأذكر من بين هؤلاء :

الأب اليسوعى روبير شدياق ، والأب أسين بلاثيوس والأب فريد جبر ، ويوشع فنكل ، ود . م . دنلوب ، وألن كتلر ، وس . أ . وطسون ، وموشى برلمان وغيرهم .

هذا ، واشكـر زوجتى شكـراً عميقـاً على معونتها الكريمة لى وصبرها الجميل معى . وأسأل الله أن يعنينى على إتمام هذا العمل ، وأن يتقبله ، وينفع به ، والحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات .

وصلى الله على محمد .

محمد الشرقاوى

القاهرة فى ٤/١٢/١٤٠٦ هـ

١٨/ ٩/ ١٩٨٦ م

المبحث الأول :

تَعْرِيفُ وَجِيزٍ بِأَسْفَارِ الْعَهْدَيْنِ :
ـ اَلْعَهْدُ الْقَدِيمِ ـ وَالْعَهْدُ الْجَدِيد .

لا ريب أن الحديث عن سَنَدِ « الكتاب المقدس !! » ومَتْنِهِ يقتضينا أن نعرِّف تعريفاً وجيزاً بأسفار هذا الكتاب بعهديه : القديم والجديد . . . ، ونأمل أن نكون قد تمكنا من ذلك في هذه العجالة المركزة .

أولاً : أسفار العهد القديم [1] : Old Testament

يؤمن اليهود - على اختلاف بين فرقهم - بأسفار « العهد القديم [1] » ويزعمون أن هذه الأسفار قد وصلت إليهم بواسطة أنبيائهم الذين بعثوا إليهم قبل عيسى بن مريم عليه السلام ، فهي عندهم وحيٌ وتنزيل ، يستمدون منها عقيدتهم وشريعتهم ونظمهم وأخلاقهم ، ويستندون إليها فى معرفة تاريخهم وأيامهم .

ويتكون العهد القديم من تسعة وثلاثين كتاباً أو سفراً حسب رأى البروتستانت ؛ يقسّمها علماء الأديان إلى أربع مجموعات [2] هى :

---

(١) يراد بكلمة العهد Testament : الميثاق ، أى أن هذه الأسفار تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه سبحانه ، وهذه التسمية « العهد القديم » قد أطلقت على مجموعة الأسفار النصرانية التى اعتمدها النصارى لأنفسهم من بين عشرات الكتب التى وضعت وزعم لها القداسة والعصمة ، وقد أطلق النصارى على اسفارهم الخاصة بالعصر المسيحي : « العهد الجديدNew Testament » ، أى : الميثاق الذى واثق الله به الناس فى العهد العيسوى

(٢) يقسم علماء دائرة المعارف البريطانية Encyclopeadea Britanica أسفار العهد القديم إلى ثلاث مجموعات فحسب ، وذلك طبقاً للتقاليد اليهودية ، وهذه الأقسام كما يلى :

(١) التوراة Torah أى الشريعة أو القانون Law ويطلقون عليها Pentateuch =

ا ـ المجموعة الأولى : التوراة [٣] ، أو الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وتسمى : البنتاتيك . ، Pentateuch وهى كما يلى :

١ ـ سفر التكوين ، ويسمى سفر الخليقة أيضاً (Genesis)

---

(٢) أسفار الأنبياء Prophets وهى تضم بعض الأسفار التاريخية التى تكمل قصة بنى إسرائيل فى الأرض الموعودة (فلسطين) ، وتأسيس دولتهم التاريخية ونحوها .

(٣) المجموعة الثالثة ويطلق عليها The Haigiographa أو المكتوبات The writings وهى تسجل بعض التقاليد الإسرائيلية والوقائع التاريخية وقصة تفلتهم من الشريعة وتنكبهم صراطها المستقيم إلى الوثنيات المنتشرة حولهم آنئذٍ . . . . الخ .

جاء فى دائرة المعارف البريطانية حـ ٣ صـ ٥٧١ طبعة ١٩٦٧ م مايلى :

(Traditionally, the Jews have divided the scriptures into three parts: the Pentateuch, the Prophets, and the Haigagrapha)

والواقع أن كثيراً من العلماء المتخصصين يأخذون بالتقليد اليهودى فى تقسيم أسفارهم إلى ثلاث مجموعات مثل :

- B.S.Childs, Introduction to the Old Testament as Scripture, SCM Press, London
- Andre Robert, Guide to the Bible, 2 vol. 1951-1955
- John Joseph Laux, Introduction to the Bible, 1932
- Henry Daniel-Ropes, what is the Bible ? 1958
- Erust wurtheain, The Text of the Old testament, 1957
- W. Owen Cole : six Religionsin the Twentieth century, G.Britain 1984

(٣) والتوراة لفظ عبراني بمعنى : التعليم والشريعة راجع : « قاموس الكتاب المقدس » الدكتور فرنسيس دافيدسن ، وانظر كذلك : قاموس الكتاب المقدس ، تأليف جماعة من اللاهوتين بإشراف الدكتور بطرس عبد الملك والدكتور جون طمسون ، وأنظر :

- James Hastings, Dictionary of the Bible, New York, 1963.

Curt Kuha, The old Testament, Its Original Composition, 1961

٢ ـ سفر الخروج . (Exodus)

٣ ـ سفر الأحبار ، ويسمى سفر اللاويين أيضا . (Leviticus

٤ ـ سفر العدد . (Numbers)

٥ ـ سفر التثنية أو الإستثناء . (Deuteronomy)

وبالنظر إلى مضمون هذه الأسفار الخمسة نرى أن سفر التكوين يقص ـ كما هو واضح من اسمه ـ قصة خلق العالم ، وبناء السماء والأرض ، ونشأة الإنسان الأول : آدم وحواء ، ثم قصة نوح والطوفان وأبناء سام بن نوح ؛ وهو الذى ينتمى إليه الإسرائيليون، وقصة إبراهيم وابنيه عليهم السلام ، وقصة يعقوب الملقب بإسرائيل وأبنائه الإثنى عشر (أسباط بنى إسرائيل) ورحيلهم إلى مصر حيث دعاهم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم ، كما يضم هذا السفر بعض الإشارات إلى قضايا جزئية متناثرة .

ـ ويعرض سفر الخروج تاريخ بنى إسرائيل فى مصر ، وقصة أعظم رسلهم موسى عليه السلام ، ودعوته فرعون إلى توحيد الله ، وخروجه مع بنى إسرائيل من مصر قاصدين أرض فلسطين ، وعصيانهم إياه وتمردهم عليه وعلى أخيه هارون ، وفيه قصة عبورهم البحر وانفلاقه ويبسه لهم وإغراق فرعون مصر فيه ، والمن والسلوى وتظليل الغمام وتفجر المياه من الصخر لهم ، وفيه وصف لتصليب رقابهم على موسى وعلى شريعة الله ، وتهديد الله لهم . . ثم قصة التيه الذى قضوه فى أرض سيناء واستمر أربعين سنة حرم الله عليهم فيها دخول الأرض المقدسة (٥) التى كانت مقصدهم وموعودهم من الله تعالى . . كما يحتوى هذا السفر على متفرقات من أحكام شريعة موسى عليه السلام .

---

(٤) ومن هنا سمى السفر : بالخروج EXodus

(٥) انظر الآية ٢٦ من سورة المائدة ، « قَالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ في الأَرْضِ . . . » .

ـ أمّا سفر التثنية [٦] : فقد احتوى على الأحكام المتعلقة بمسائل العبادة وطقوسها خاصة ما يتعلق بأحكام المعاملات والحروب والاقتصاد . . الخ

ـ وأمّـا سفـر الـلاويين أو الأحبار : فقد احتوى على الأحكام الشرعية المتعلقـة بالعبادة والذبائح والقرابين ، وطقوس تقديمها ، والمحرقات ودور الكهنـة فى أداء رسـومهـا وطقـوسهـا ، وأحكـام المـذبح ، والمحّرمات من الذبائح . . . الخ .

واللاويون : هـم نسل (لاوى) Levi أحد أبناء يعقوب ؛ ومنهم موسى وهارون عليهما السلام ، وقد كان اللاويّون سدنة الهيكل والمشرفين على شئون الـذبـح والقـرابين ، وأحبار الشريعة الموسوية وكهنتها ، وعلى الجملة فقد أناطت بهم التوراة مهام دينية رفيعة ؛ ومن ثم سمى السفر باسمهم ؛ وذلك لأنهم قد رجعوا من تلقاء أنفسهم إلى عبادة الرب بعد فتنة بنى إسرائيل بعبادة العجل ونقض عهد الرب ؛ هذا وقد كانت مكانة أبناء هارون أرفع من مكانة بقية أبناء لاوى .

ـ وسفر العدد قد شغل معظمه بإحصاءات لقبائل بنى إسرائيل ورؤوسهم وجيوشهم وأموالهم ، وإحصاء ما يمكن إحصاؤه مما يتعلق بهم ، واحتوى السفر على طائفة غير يسيرة من شئون المعاملة والعبادة وما يتعلق بها من أحكام .

هذه هى الأسفـار الخمسـة التى تسمى « التـورراة » وينسبهـا اليهـود والنصارى إلى موسى عليه السلام ، وهى تشكل المجموعة الأولى فحسب من مجموعات العهد القديم .

ب ـ المجموعة الثانية : الأسفار التاريخية ، وهى اثنا عشر سفراً كما يلى :

١ ـ سفر يوشع [٧] بن نون . (Joshua-Josue)

(٦) يذكر أنه سمى التثنية لأنه يعيد ويثنّى ويكرّر التعاليم التى تلقّاها موسى عن ربه

(٧) هو خليفة موسى عليه السلام وفتاه ، وهو الذى قاد الجيش الإسرائيلى ـ بعد موسى ـ فى إغارته على بلاد كنعان ودخولها .

٢ ـ سفر القضاة [٨] . (Judges)

٣ ـ سفر راعوث [٩] . (Ruth)

٤ ـ سفر صموئيل الأول [١٠] . (Samuel)

٥ ـ سفر صموئيل الثانى .

٦ ـ سفر الملوك الأول [١١] . (Kings)

٧ ـ سفر الملوك الثاني .

٨ ـ سفر أخبار الأيام الأول [١٢] . (Chronicles)

٩ ـ سفر أخبار الأيام الثاني .

١٠ ـ سفر عزرا [١٣] (Esdra - Esra)

---

(٨) أتى على إسرائيل حين من الـدهر لم يكن لهم مُلْك أو سلطان ؛ فحكم أو سيرّ أمورهم فى هذه الفترة قضاتهم إلى أنْ عينّ لهم النبى صموئيل ملكا هو جالوت أو شاؤول وقصته واردة فى القرآن الكريم (البقرة ٢٤٦ ـ ٢٤٨ ، ٢٤٩ ـ ٢٥١)

(٩) راعوث جدة داود لأبيه .

(١٠) أشرنا إليه فيما سبق على أنه أوّل من عينّ لهم ملكا .

(١١) هم الذين حكموا بعد القضاة وأولهم شاول أو طالوت ثم داود وسليمان . . . إلخ .

(١٢) يعرض السفران : شجرة نسب بني إسرائيل ، ثم تاريخ سليمان ، ثم تاريخ إسرائيل لفترة ما بعد سليمان عليه السلام .

(١٣) عِزْرا شخصية إسرائيلية غريبة . . . إليه تُنْسب التوراة الحالية أكثر مما تنسب إلى موسى كما يذكر الحبر اليهودى الذى أسلم : السّموأل بين يحيى المغربي المتوفى سنة ٥٧٠ هـ فى كتابه : « إفحام اليهود » . وهو الذى ينسب إليه بناء بيت المقدس بعد أن خرّ بها بخت نصرّ سنة ٥٨٦ ق . م وقد رأت بعض فرق اليهود أنه ابن الله . « وَقَالَتِ اليهودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ » (التوبة / ٣٠) هذا وإن السّموأل يرى أن عِزْرا هذا ليس عزيراً المشار إليه فى الآية الكريمة ، وعلى كل حال فهنالك رأى راجح بين العلماء يذهب إلى أن عزرا هذا هو عزرا الوراق أو عزرا هو سفير أى : الناسخ الذى أعاد كتابة التوراة بعـد أن فقـدت وانـدرست آثـارهـا تماماً ، وكذلك كتابة بعض أسفار العهد القديم الأخرى ، وسنفصل القول فى ذلك إن شاء الله .

١١ ـ سفر نحميا [١٤] ، ويسمى السفرر الثاني لعزرا (Nehmea)
١٢ ـ سفر أستير [١٥] . (Esther)

وموضوع هذه الأسفار عرض تاريخ بنى إسرائيل لفترة ما بعد موسى عليه السلام ، وقصة حروبهم ودخولهم الأرض المقدسة ، واستقرارهم بها ، كما أنها تقصّ تاريخ قضاتهم وملوكهم ، وأبرز أيامهم وحوادثهم . . فهى قصة تاريخ بنى إسرائيل فى هذه المرحلة كما يظهر ذلك من عنوان المجموعة ، ومن النظر فى محتواها كذلك .

ـ حـ المجموعة الثالثة : **الأسفار الشعرية** ، أو **أسفار الأناشيد** ، وعددها خمسة أسفار ، هى :

١ ـ سفر أيوب . (Job)
٢ ـ مزامير داود (Psalms)
٣ ـ أمثال سليمان : (Proverbs)
٤ ـ الجامعة من كلام سليمان : (Ecclesiastes)
٥ ـ نشيد الإنشاد لسليمان : (Song of Solomon)
(Conticle of Canticle)

---

(١٤) نحميا كان معاوناً لعزرا ، ويطلق على سفره هذا سفر عزرا الثاني .

(١٥) هى امرأة يهودية كانت زوجة لأحد ملوك فارس ، وقد استطاعت أن تحبط مؤامرة دبرها وزير الملك ضد اليهود بمساعدة إسرائيلى يدعى مردخاى ، والسفر عبارة عن قصة درامية لهذه الواقعة . . ويسمى سفر أستيرومردخاى ويلاحظ أن العلاّمة رحمة الله الهندى الكيرانوى المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ ـ ١٨٩١ م صاحب كتاب : « إظهار الحق » قد أسقط (سفر أستير) من قوائمه التى ذكرها فى صفحة ٩٦ حـ ١ طبعة قطر بتحقيق عمر الدسوقى ؛ هذا واليهود والنصارى ـ حتى فرقة البروتستانت ـ يسلمونه إلهامياً ، ويعتبرونه قانونياً ، أنظر مثلا طبعة البروتستانت لكتابهم المقدس لسنة ١٩٨٠ م بالقاهرة تجد أن هذا السفر يشغل من ص ٧٧٩ ـ ص ٧٩٣ ، ويحتوى على عشرة إصحاحات أو فصول .

ومـوضـوع هذه الأسفـار مواعظ وأناشيد بعضها ديني ، وبعضها غزليّ فاحـش ، وهى مصوغة صياغة منظومة .

د ـ المجموعة الرابعة : أسفار الأنبياء ، وعددها سبعة عشر سفراً ، وهى :

١ ـ سفر أشعياء :	(Isaiah - Isaias)
٢ ـ سفر أرمياء :	(Jerermias Jermiah)
٣ ـ سفر مراثى أرمياء :	(Lamentations)
٤ ـ سفر حزقيال :	(Ezechiel - Ezekiel)
٥ ـ سفر دانيال :	(Daniel)
٦ ـ سفر هوشع :	(Hosea - osee)
٧ ـ سفر يوئيل :	(Joel)
٨ ـ سفر عاموس :	(Amos)
٩ ـ سفر عوبديا :	(Obadiah - Abadias)
١٠ ـ سفر يونان :	(Jonah - Jonas)
١١ ـ سفر ميخا :	(Micah - Micheas)
١٢ ـ سفر ناحوم :	(Nahum)
١٣ ـ سفر حبقوق :	(Habacuc - Habakkuk)
١٤ ـ سفر صُفُنيا :	(Zephaniah Sophonias)
١٥ ـ سفر حجّاى :	(Haggai Aggeus)
١٦ ـ سفرر زكريا :	(Zechariah)
١٧ ـ سفر ملاخيا أو ملاخي :	(Malachi)

هذه الأسفـار التسعـة والثـلاثون تشكل ما يسمى بالعهد القديم طبقاً للأصل العبراني ، وهى التى ارتضاها جمهور البروتستانت من النصارى ، وهنـالـك مجمـوعـة أسفـار يهودية أخـرى تسمى : « الأسفـار الخفية »

Apocrypha بعضهـا زادت به الـترجمـة اليونانية السبعينية [١٦] عن الأصل العبرى ؛ وأقرّ بها ـ من بعد الكاثوليك ، وأقرّ ببعضها الأورثوذكس .

والأسفار الى زادت بها الترجمة السبعينية عن الأصل العبرى هى :

١ ـ سفر طوبيا (Tobias)

---

(١٦) والترجمة السبعينية اليونانية تعد أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم من نسختها الأصلية العبرية إلى اللغة اليونانية السائدة فى مصر آنئذٍ ، وهى قد تمت فى الإسكندرية بأمر من الحاكم بطليموس فيلادلف سنة ٢٨٢ ق . م ـ ٢٨٣ ق . م ، وسميت سبعينية لأنه قام بها سبعون أو اثنان وسبعون حبراً يهودياً ، وننقل هنا ماساقه البطريرك أفتشيوس الملقب بسعيد بن البـطريق المتـوفى ٣٢٨ هـ والـذى شغـل كرسى البـطريركية فى الإسكنـدرية سنـة ٣٢١ هـ فى كتـابـه المسى : « التـاريخ المجمـوع على التحقيق والتصـديق » ص ٨٥ حـ ١ من نشرة الأب اليسـوعى لويس شيخو فى مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥ م ، جاء فيه :

« . . . وفى العشرين سنة من ملكه (بطليموس) بعث إلى أورشليم ، فشخص منها سبعين رجلا من اليهود إلى الإسكندرية ، وأمرهم أن يفسروا له التوراة وكتب الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية ، وصير كل واحد منهم فى بيت على حده وحده ؛ لينظر كيف يكون تفسير (ترجمة) كل واحد منهم ، **فلما فسروا الكتب نظروا الى تفاسيرهم فكان التفسـير واحداً ، ليس فيه اختلاف** ، فجمع الكتب وضمها تحت خاتمه وصيرها فى هيكل صنم يقال له سرابيون »

وانـظر قصة هذه الترجمة السبعينية فى كتاب جريجوريوس المعروف بابن العبرى : « تاريخ مختصر الدول » صـ ٩٨ ـ ١٠٠ نشرة الأب أنطون صالحانى اليسوعى ، دار الرائد بيروت . ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ويطلق على هذه الترجمة Septuagint واختصاراً (LXX) انظر صـ ٥٧٩ حـ ٣ من دائرة المعارف البريطانية .

وبالرغم من كلام ابن البطريق هذا فإنّ النسخة السبعينية لم تكن مطابقةً للأصل العبرى تماماً ؛ بل زادت عليه أسفاراً ، ولم يلتزم التراجمة الدقة فى النقل ، انظر دائرة المعارف البريطانية صـ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ حـ ٣ ، وقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٦٨ (بإشراف الدكتور جون طمسون) : ويوجد فى الترجمة السبعينية أسفار لم تجمع ضمن أسفار العهد القديم العبرية وهذه الأسفار تعرف بالأبوكريفا » .

٢ ـ سفر الحكمة (Wisdom)

٣ ـ سفر المكابيين الأول (Machabees)

٤ ـ سفر المكابين الثاني .

٥ ـ سفر المكابيين الثالث .

٦ ـ سفر المكابين الرابع .

٧ ـ سفر يهوديت (Judith)

٨ ـ سفر الكهنوت أو سفر الحكمة ويسمى ايكليزيا سيتكس :
(Ecclesiasticus) لعيسى بن سيراخ .

٩ ـ نشيد الأطفال الثلاثة .

١٠ ـ سفر سوزان .

١١ ـ سفر بل والتنين .

١٢ ـ أسفار ثلاثة منسوبة إلى عزرا .

١٣ ـ بعض الزيادات فى سفر دانيال (١٧) .

---

(١٧) سفر طوبيا عبارة عن سيرة رجل يدعى طوبيا وابنه كانا أسيرين فى نينوى فى القرن السابع قبل الميلاد .

ـ سفر الحكمة يتضمن أمثالاً وحكماً وينسب إلى سليمان .

ـ والمكابيون هم الحكام الوطنيون الذين حكموا فلسطين زمان الرومان فى القرن الثاني قبل الميلاد ، وأخذ اسمهم من شعارهم الذى كانوا يكبرون به فى الحرب .

ـ ويهوديت امرأة أرملة غنية تقية ساعدت الجيش اليهودى فى الانتصار على الجيش الأشورى .

وسفر الكهنوت مجموعة أمثال ـ ونشيد الفتية أو الأطفال هى الكلمات التى قد سبح بها أصدقاء دانيال عندما قذف بهم فى أتون النار .

ـ وسفر سوزان يحكى قصة امرأة عفيفة اتهمت زوراً وبرأها القاضى العادل .

ـ و« بل والتنين » قصة ألحقت بسفر دانيال توضح كيف اقتنع كورش الملك الفارسى ببطلان عبادة الأصنام .

أنظر للدكتور على عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة صـ ٢٠ ، طبعة ثانية ، نهضة مصر بالقاهرة .

ويطلق اليهود على الأسفار التى تزيد بها الترجمة السبعينية عن الأصل العبرى ، وعلى أسفار أخرى غيرها : « الأسفار الخفية » وهى لا تدخل عندهم فى العهد القديم وإن كان بعضها - رغم أنه خفى[18] - مقدساً معتمداً عند الأحبار والربانيين[19] .

---

(١٨) ولسبب ما قرّر أحبارهم إخفاء بعض هذه الأسفار التى يرون أنها مقدسة عند الجمهور وعدم إدراجها فى العهد القديم ؛ ولقد كشف القرآن الكريم هذه الظاهرة اليهودية الخطيرة ، فقال عزّ من قائل :

« وَمَا قَدرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه إذْ قالوا ما أَنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَىءٍ ؛ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً » الأنعام / ٩١

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب » المائدة / ١٥

« إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلّا النار »

وكلمة Apocrypha : أى الخفي أو المنحول المزور تختلف - عند إطلاقها - بين اليهود والنصارى ؛ فالسفر عند اليهود يصح أن يكون خفياً ومقدساً ، أما عند النصارى فالسفر الخفي غير مقدس ولا مسلم ، ولاموحى به مثل أسفار : طوبيا ، ويهوديت ، والمقابيين الأول والثانى ، وباروخ ، وإيكليزيا ستيكس ، والحكمة عند جمهور البروتستانت ، أنظر The Forgotten Books of Eden, New York, 1974

وأنظر دائرة المعارف البريطانية حـ ٣ صـ ٤٧٣ ، وقارن الدكتور على وافي «مصدر سابق صـ ٢٤

(١٩) الربانيون هم أحبار الفريسيين وهى أكبر وأخطر فرق اليهود ، وهم الذين وضعوا التلمود متناً وشروحاً .

ونشير هنا إلى أن الفرقةالسّامريّة [٢٠] ـ من اليهود ـ لا تسلم من بين جميع هذه الأسفار ـ الخفي منها وغير الخفي ـ غير سبعة أسفار فقط وترد الباقى ، وتـراه محرفاً أو موضوعاً ، والكتب التى يعتمدها السامريون هى : التوراة ويشـوع والقضـاة . ويرون أن السفـرين الأخـيرين تاريخيان فحسب ، ويوافقهم على ذلك من العبرانيين الصدوقيون ، كما أن نص الأسفار السامرية يخالف مخالفة بينة نص النسخة العبرية ، كما يخالف نص السبعينية فى مواضع لا تحصى كثـرة ؛ ومن ثم يمكن القول بأن هذه النسخ الثلاث من العهد القـديم لا تتطابق البتة سواء فى عدد الأسفار أو فى محتوى هذه الأسفار ، ويتهم علماء كل فرقة منهم الآخرين بالتحريف أو الوضع .

ثم ترجمت أسفـار العهـد القـديم من اليونـانية والعـبرية إلى الـلاتينية القديمة [٢١] ترجمة لا تتطابق مع الأصل اليونانى أو العبرى ؛ سواء فى عدد

---

(٢٠) انقسم بنو إسرائيل بعد موت سليمان عليه السلام على أنفسهم إلى جماعتين جماعة العبرانيين ، وجماعة السامريين ، تضم الأولى سبطى يهوذا وبنيامين وبعض بني لاوى ،

وتضم الثانية بقية الأسباط .

ومما يجدر ذكره أن مكتبة دار الأنصار بالقاهرة قد نشرت منذ خمس سنوات تقريباً نص « التوراة السامرية) مما ييسر المقارنة بينها وبين النسخ الأخرى

(٢١) يظهر من كتابات (ترتوليان) و (كبريان) أنه قد ظهرت خلال القرنين الثاني والثـالث الميلاديين ترجمتان لاتنييتان للكتاب المقدس ، واحدة فى شمال أفريقيا والأخرى فى إيطاليا ؛ مما أوجد خلطاً وتضارباً وارتباكاً بين الترجمتين ، وقد كلف البـابـا ديموسوس الأول « جيروم » St. Jerome ٣٤٧ م ـ ٤٢٠ بتنقيح نسخة قياسية معتمـدة ، وقـد أنجز جيروم هذه المهمة فى عشرين سنة (٤٠٤ م) وسميت هذه النسخة اللاتينية : Vulgate

انـظر صـ ٥٨٠ حـ ٣ من دائرة المعارف البريطانية ، وانظر صـ ٧٧٠ من قاموس الكتاب المقدس (د . طمسون) وللتوسع فى معرفة نسخة « الفولجات » انظر : =

الأسفار أو فى المحتوى ، فقد اشتملت هذه الترجمة على سفرين اثنين من أسفار المكابيين الأربعة ، وحذف منها أسفار عزرا الثلاثة ، وزادت سفر باروخ ، كما اشتملت على بعض زيادات سفر أستير ؛ فهى ترجمة وتنقيح وتغيير للنسخة السبعينية .

ثانيا : أسفار العهد الجديد : New Testament

يؤمن نصارى الكاثوليك الروم ، والأرثوذكس بما جاء فى الترجمتين : اللاتينية القديمة واليونانية مع اختلاف طفيف بينهم فى عدد الأسفار التى لا يقدسها الأرثوذكس ويشكون فيها ، ويسلمها الروم الكاثوليك وهى : أسفار **باروخ والمقابيين الأول والثاني فقط** ، وبهذا يسلم الكاثوليك **ستة وأربعين سفرا** من العهد القديم .

أما البروتستانت فإنهم لا يسلمون سبعة أسفار من بين أسفار العهد القديم الذى يؤمن به الكاثوليك ، هى : **أسفار طوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، وباروخ ، والمقابيين الأول والثانى وكهنوت عيسى بن سيراخ** المسمى ايكليزيا استيكس .

= - WERNER, GEORG KUMMEL, INTRODUCTION TO THE NT , PP. 534 - 536, ABINGTON, 1975

وانظر - BRUCE M. METZGER, THE TEXT OF THE NT : ITS : Trans mission, Corruption, and Restoration, PP. 75-79 OXFord Univ. Press, 1968

وانظر : R.F. COLLins, INTRODUCTION TO THE N.T, P. 88-89, SCM Press London, 1983

وقد جاء فى المراجع الأخير : أما نسخة الفولجاتا التى ترجمها القديس جيروم ، فأقدم نسخة خطية وجدت لها ترجع إلى سنة ٧٣١ م ، وكانت قد أهديت إلى البابا جريجورى الثاني . . . يعنى أن هذه المخطوطة قد دونت بعد كتابة أصلها بثلاثة قرون ونصف تقريباً !! .

أى أن البروتستانت يقدّسون الأصل العبرى مع بعض الاختلاف ـ وليس الترجمة السبعينية أو اللاتينية ؛ لأن هذه الأسفار السبعة المردودة من ضمن الأسفار التى زادت بها كلٌ من السبعينية واللاتينية على العبرية .

ويقدس النصارى جميعاً ـ إلى جانب أسفار العهد القديم طبقاً للتفصيل السابق ـ أسفارهم الخاصة بهم ، ويطلقون عليها : « **العهد الجديد** [٢٢] » . ويتكون العهد الجديد من « سَبْعَةٍ وعشرين » [٢٣] سفراً أقرّها علماء النصارى من بين عشرات **الكتب الأخرى المماثلة لها** [٢٤] ، فى القرن الخامس الميلادى ، وهو ـ كما ترى ـ وقت متأخر جداً جداً . !!

---

(٢٢) أى : الميثاق الجديد الذى أخذه الله على الناس فى زمان عيسى عليه السلام .

(٢٣) يلاحظ أن أسفار العهد الجديد أقل عدداً وأصغر حجماً من أسفار العهد القديم فهى تشغل فى طبعة ١٩٧٠ للبروتستانت بالقاهرة ٤٢٢ صحيفة فقط ، وفى نفس الطبعة يشغل العهد القديم ١٣٥٨ صحيفة ،أى أن أسفار العهد القديم تغطي ثلاثة أرباع الكتاب المقدس !! Bible الذى يقدسه النصارى جميعاً .

(٢٤) « تصل هذه الكتب التى كتب بعضها فى وقت سابق عن الكتب التى أقرتها الكنيسة ـ إلى عدة عشرات ، وقد اكتشفت فى سنة ١٩٤٥ م فى نجع حمادى فى صعيد مصر لفائف مخطوطة تشكل مكتبة متكاملة تحتوى على كثير من النصوص الكاملة لهذه الكتب التى لم تعترف بها الكنيسة »

« واعتبرتها غير قانونية ، وقد ترجمت هذه اللفائف المخطوطة من اللغتين القبطية واليونانية إلى اللغة الإنجيليزية ، ونشرت فى كتاب ضخم بعنوان : The NAG HAMMADI LIBRARYIN ENG LISH وقد أشرف عليه James M.Robinson ، وكان نشره على نطاق واسع منذ سنة ١٩٧٨ م فى دار نشرHARPER and Row ، ويضم الكتاب أناجيل منسوبة إلى بولس وتوماس وجيمس ، ويوحنا ، وفيليب ، وإنجيل المصريين ، ورسائل أعمال الرسل الإثنى عشر ، وكتب رؤيا لبولس وجيمس ، ويضم رسائل وأسفاراً أخرى تحمل قيمة تاريخية عظيمة جداً ،

وهنالك مرجع آخر يضم كثيراً من هذه الكتب التى لم تقرها الكنيسة وهو :

The Lost Books of the BiBle and the Forgatton Books of Eden

. . . .

وقد نشر الكتاب MARIDIAN في (USA) في عدة طبعات منذ ١٩٢٦ ـ ١٩٧٤ م.

ولهذا الكتاب قيمة علمية عظيمة ، وهو يشكل مع سابقه مكتبة متكاملة عظيمة الفائدة للدراسات المقارنة . »

« وقد احتوى الكتاب الثاني على مجموعة نادرة من هذه النصوص التى كانت مقدسة عند بعض طوائف النصارى في القرون الثلاثة الأولى للديانة المسيحية ، ولم تعترف بها المجامع النصرانية التى أقرت الكتب ؛ ورفضت بقية الأسفار ، وأمرت بإحراقها وإعدامها ، وتعقبها وتشددت في ذلك الأمر ، وعنفت جداً . انظر المقدمة التي كتبها الدكتور Frank Grane عن هذه المجموعة في صدر هذا الكتاب القيم . »

« ومن أبرز علماء النصارى القدماء الذين أوردوا قوائم أو فهارس للأسفار القانونية المعتمدة ـ على اختلاف بينهم في هذه القوائم المسلمة المقبولة ـ وقد كانت هذه الفهارس المستند الوحيد للكنيسة ـ إلى جانب الرغبة في رعاية أمور معينة ـ الذى عولت عليه واعتمدته في القبول أو الرد والرفض . ومما يشار إليه أن بعض هذه الفهارس جمعت أسفار العهدين ، وبعضها كرس لسرد أسفار العهد الجديد وحده .

من أشهر هؤلاء العلماء وأبرزهم :

أوريجن (Orign) (سنة ٢١٠ م) وهو قد بذل جهداً كبيراً في التعرف على هذه الأسفار المقبولة ؛ وهو يعد من أقدم علماء النصرانية وآبائها الموثوقين المعتمدين وهو قد درس الفلسفة على أستاذه (كليمان) وتعلم في المدرسة الوثنية على أمونيوس ساكاس أحد مؤسسى الأفلاطونية الحديثة ، وتعرف على أفلوطين ودرسا معاً ، وقد حرمته الكنيسة وحظرت تعاليمه بسبب خروجه عن تعاليمها ، ثم شرح الكتب المقدسة في فلسطين (أنظر تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٢٧٤ ـ ٢٨٤) ، وانظر (إيساغوجي : فرفريوس الصورى ، للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢)

ومنهم يوسيبوس Eusebius (٣١٥ م) ، وأثناسيوس Athanasius (٣١٥ م) »

« بطريرك الاسكندرية ، ومنهم سرل Cyril بطريرك القدس (٣٤٠ م) ، وقائمة علماء مجمع لوديسيا Laodicea سنة ٣٦٤ م ، ومنهم إيفانيوس بطريرك قبرس Epiphanius سنة ٣٧٠ م ، ومنهم بطريرك القسطنطينية جريجورى النازيانزى سنة ٣٧٣ م ، ومنهم كذلك فلاستاريوس Philastarius بطريرك فينيسيا سنة ٣٨٠ م ،

وتقسم هذه الأسفار إلى أربع مجموعات كما يلى :

أ ـ الاناجيل (٢٥) الأربعة . Gospels

ومنهم عالمهم المعروف جيروم Jerome سنة ٣٨٢ م ، ومن بينهم روفائين RUFFIN سنة ٣٩٠ م ، ومنهم كذلك عالمهم أوغسطين بطريرك Hippo فى أفريقيا سنة ٣٩٤ م ، وهو قد رأس مجمع قرطاجنة Carthage الثالث الذى حضره أربعة وأربعون بطريركاً ، وكذلك القائمة التي وجدت فى أعمال نسبت الى ديونيسيوس الأرباغى سنة ٣٩٠ م .

Dionysius the Areopagite

انظر : The Lost Books of the Bible

(٢٥) يذكر العلامة رحمة الله الهندى فى كتابه : إظهار الحق حـ ١ صـ ٩٧ : أن لفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة ، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد (مثلما نطلق كلمة « التوراة » مجازاً على جميع كتب العهد القديم) ، وهذا اللفظ معرّب كان فى الأصل اليوناني « انكليون » بمعنى البشارة والتعليم ا هـ

أو لفظه اليوناني : « إيفانجليوس » ولفظه القبطى : « إيفانجليون » بمعنى البشرى أو الخبر السار المفرح ، وهى تعنى عند النصارى : البشرى بموت المسيح عليه السلام على الصليب !! ـ بزعمهم ـ كفارةً عن المذنبين والخطاة ، وهذا خطأ فاحش وتحريف وتزييف . . وإن كان هنالك وجه لتعليل التسمية فيقال : إنه بشرى للناس لأنه بشر بقرب بعثه محمد صلى الله عليه وسلم فى أكثر من موضع

قارن : التذييل الملحق بالترجمة التفسيرية للإنجيل ، توزيع دار الثقافة بمصر ١٩٨٣ م

وقارن : مقالة يحيى بن عدى من كبار علماء النصارى اليعاقبة فى اثبات صدق الإنجيل عن طريق القياس والبرهان » ، ومقالة : فى اختلاف لفظ الأناجيل ومعانيها ، له ، نشرهما القس بولس سباط فى كتابه : « مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية » صـ ١٦٨ ـ ١٧٢ طبعة ١٩٢٩ م وقارن كذلك رسالة أيشوعاب بن ملكون مطران نصيبين : فى البراهين على صحة الإنجيل صـ ١٥٢ ـ ١٥٥ من الكتاب المذكور . و « محمد فى الكتاب المقدس » صـ ١٣٩ ، تأليف عبد الأحد داود ، ترجمة فهمى شما ، طبعة قطر ، ١٤٠٥ هـ

١ - إنجيل متى (٢٦) : St. Mattaw
٢ - إنجيل مرقس (٢٧) : St. Mark
٣ - إنجيل لوقا (٢٨) : St. Luke

---

(٢٦) يرى النصارى أن هذه الأناجيل موحى بها من الله . . جاء فى صدر الترجمة التفسيرية للأناجيل ١٩٨٣ م ما يلى :

« شاء الروح القدس فى القرن الأول للميلاد أن يوحى إلى أربعة رجال أن يدونوا الإنجيل ؛ فتولى كل منهم التركيز على جانب معين من جوانب حياة يسوع وشخصيته لفريدة » .

فالإنجيل الذى دونه متى يركز على نسب المسيح ، وأن المسيح هو الملك الذى كان اليهود ينتظرونه ، ولكنهم لما جاء رفضوه وصلبوه ، مع أنه هو ابن داود الذى تمت به نبوات العهد القديم ، وأنه ابن إبراهيم الآتى بالبركة للأمم جميعاً . . . وهو باني كنيسة الرب التى افتداها بدمه والتى لا تقوى عليها قوات الجحيم .

ويتضمن هذا الإنجيل نخبة من تعاليم يسوع ، ولاسيما ما يختص منها بملكوت السموات ، فيكشف أسراره عن طريق الأمثال ، ويبين ما سيحدث فى نهاية العالم ، وعند رجوع المسيح ملكا ممجداً ، . . . وينتهى بالحديث عن آلام المسيح ، وموته ، وقيامته » (الترجمة التفسيرية) وعدد إصحاحات هذا الإنجيل ثمانية عشر إصحاحاً .

(٢٧) يركز إنجيل مرقس على معجزات المسيح أكثر من تركيزه على تعاليمه ، وينتهى هذا الإنجيل إلى الحديث عن نهاية العالم ، وما سيحدث عند رجوع المسيح ، ثم يسرد الأحداث المتعلقة بالآم المسيح وموته وقيامته وصعوده إلى المجد ، ويؤكد على مساندة المسيح لتلاميذه فيما ينشرون البشارة فى العالم أجمع وعدد إصحاحات هذا الإنجيل ستة عشر ، انظر : نفس المصدر صـ ٤٥

(٢٨) المسيح فى هذا الإنجيل هو ابن الإنسان مخلص العالم أجمع ، وفيه يتولى لوقا الإلمام بكثير من التفاصيل حول حياة المسيح على الأرض ، فينفرد بتدوين بعض الحقائق والأحداث والأمثال مركزاً على أن المسيح هو الإنسان الكامل . . . وينطلق هذا الإنجيل من الحديث عن ولادة المسيح وطفولته إلى تتبع خدمته منذ بدايتها ، وينتهى بالكلام على آلامه ، وموته ، وقيامته ، وصعوده ، ومما يلفت النظر أن لوقا يولى تعاليم المسيح بالأمثال اهتماماً خاصاً » صـ ٧٣ المصدر السابق ، وعدد اصحاحات هذا الإنجيل أربعة وعشرون .

٤ ـ إنجيل يوحنا (٢٩) : St. John

ب ـ أعمال الرسل وهو سفر واحد ينسب إلى « لوقا » صاحب الانجيل .

حـ ـ الرسائل المقدسة Episles وهى إحدى وعشرون رسالة منها أربع عشرة رسالة كتبها بولس ، كما يلى :

١ ـ رسالة بولس إلى أهل رومية Romans

٢ ـ رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس Corinthians

٣ ـ رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس

٤ ـ رسالته إلى أهل غلاطية Galatians

٥ ـ رسالته إلى أهل أفسس : Eph sians

٦ ـ رسالته إلى أهل فيلبى Philippians

٧ ـ رسالته إلى أهل كولوسى Colossians

٨ ـ رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى Thessalonians

٩ ـ رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكى

١٠ ـ رسالته الأولى إلى تثيماوس Temothy

١١ ـ رسالته الثانية إلى تثيماوس

١٢ ـ رسالته إلى تيطس Titus

١٣ ـ رسالته إلى فيلمون Philemon

١٤ ـ رسالته إلى العبرانيين Hebrews

وتوضع هذه الرسالة الأخيرة الرابعة عشرة فى ذيل قائمة (٣٠) رسائل

---

(٢٩) يبدأ هذا الإنجيل بالكلام على أزلية المسيح ، وتجسده ، ويتتبع شهادته لليهود ، ورفضهم له ، وينتقل إلى سرد أحاديثه الخاصة إلى تلاميذه وصلاته لأجلهم ، ثم ينتهى بالكلام على آلامه وصلبه وقيامته » صـ ١٢٠ من المصدر السابق ، وعدد إصحاحات هذا الإنجيل واحد وعشرون .

(٣٠) تشكل قائمة رسائل بولس ثلث حجم العهد الجديد ؛ فهى مسهبة مسرفة فى ذكر التفاصيل الفرعية ، والاحتفال بفتات الحوادث ونتف والوقائع . انظر :

- WAYNE A. MEEKS, The writings of st.Paul, New York, 1972

- Sydney Cave. The Gospel of ST. Paul, London, 1928

بولس ؛ لأن بعض علماء اللاهوت النصارى يتشككون فيها ولا يقرون بصحتها ، جاء فى دائرة المعارف البريطانية :

The Episle to the Hebrews is still attributed to Paul by some students of the Bible

ومما يشار إليه فى هذا الصدد أن رسالة بولس هذه لم يقرها مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ م .

والرسائل السبع الباقية يطلق عليها : « الرسائل الكاثوليكية » Catholic Episles ، وهى كما يلى :

١ ـ رسالة يعقوب	James
٢ ـ رسالة بطرس الأولى	Peter
٣ ـ رسالة بطرس الثانية	
٤ ـ رسالة يوحنا الأولى	John
٥ ـ رسالة يوحنا الثانية	
٦ ـ رسالة يوحنا الثالثة	
٧ ـ رسالة يهوذا	Jude

د ـ سفر « رؤيا يوحنا » ، ويطلق عليه كذلك : « مشاهدات يوحنا » أو الأبوكاليبس

Revelation to John, or Apocalypse

وهذا الترتيب الذى ذكرناه لأسفار العهد الجديد هو الوارد فى الطبعات الحديثة عند طائفة البروتستانت . . ، ولقد نظرت فى أكثر من قائمة لهذه الأسفار [٣١] فرأيتها متباينة جداً فى ترتيبها . . وأورد فيما يلى قرارى مجمعى (روما) برعاية البابا ديماسوس سنة ٣٨٢ م و (ترنت) سنة ١٥٤٦ م ، ثم

(٣١) انظر : R.F. Colins, INTRODUCTION to the NT,P1-3, London, 1983

قائمة أسقف الأسكندرية أثناسيوس التى قدمها بمناسبة عيد الفصح سنة ٣٦٧ م .

أولاً : قرر مجمع روما لسنة ٣٨٢ م أن تكون أسفار العهد الجديد على الترتيب التالى :

١ ـ الأناجيل وهى : متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .
٢ ـ ثم رسائل بولس الأربع عشرة ،
٣ ـ ثم رؤيا يوحنا
٤ ـ ثم أعمال الحواريين .
٥ ـ وأخيراً الرسائل الكاثوليكية أو الجامعة .

ثانيا : قرر مجمع ترنت المنعقد سنة ١٥٤٦ م أن يكون ترتيب الأسفار المعتمدة للعهد الجديد كما يلى :

١ ـ الأناجيل الأربعة ؛ متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .
٢ ـ سفر أعمال الحواريين .
٣ ـ رسائل بولس الأربع عشرة .
٤ ـ الرسائل الكاثوليكية .
٥ ـ سفر رؤيا يوحنا .

ثالثا : وأقدم قائمة بترتيب هذه الأسفار هى التى أوردها الأسقف أثناسيوس أسقف الإسكندرية بمناسبة عيد الفصح سنة ٣٦٧ م ، وهى كما يلى :

١ ـ الأناجيل الأربعة ؛ متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .
٢ ـ سفر أعمال الحواريين .
٣ ـ الرسائل السبع الكاثوليكية .
٤ ـ رسائل بولس الأربع عشرة .
٥ ـ سفر رؤيا يوحنا .

كما أن الاختلاف بين هذه القوائم الثلاث فى ترتيب رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية عميق جداً ، فلا تتفق أثنتان منها على قائمة واحدة .

والعامل الوحيد المعوّل عليه فى ترتيب هذه الأسفار عند علمائهم ومجامعهم هو أهميتها وقيمتها ، وإن كان ذلك كذلك ، فقد اتضح مدى اختلاف علمائهم حول قيمة هذه الأسفار وأهمية كل سفر منها . . وأنهم لا يتفقون على رأى واحد يحدد قيمة كل سفر وأهميته .

هذه جملة أسفار العهدين : القديم والجديد ، ومجموعهما يشكل ما يطلق عليه عندهم : الكتاب المقدس Bible

وقد يتصوّر القارىء الكريم أن هذه الكتب أو الأسفار قد اعتمدت أى أصبحت قانونية مقدسة ، دفعةً واحدة ، وفى قائمة واحدة من قبل علماء النصارى وكنائسهم ومجامعهم ، لكن الواقع غير ذلك : فقد انعقد مجلس علماء النصارى أو مجمعهم المكسوني (العالمى) الأول ـ وهو أخطر اجتماعاتهم على الإطلاق ـ سنة ٣٢٥ م ، تحت رعاية الإمبراطور الروماني قسطنطين فى مدينة (نيقية)(٣٢) فى آسيا الصغرى (تركيا) ؛ لتحقيق الأمر فى الكتب المشكوك فى قداستها ؛ سواء تلك التى زادت بها الترجمة السبعينية على الأصل العبرى ، أو غيرها من أسفار النصارى أنفسهم ،

فقرر هذا المجمع وجوب تسليم سفر (يهوديت) فقط ، ويظهر ذلك من

---

(٣٢) يطلق على مدينة (نيقيه) Nikaia اليوم اسم « إزنيق » وهى بلدة صغيرة فى تركيا ، عقد فيها المجمع النصراني الأول سنة ٣٢٥ م الذى لعن « آريوس » العالم النصراني الموحد وحرمه وطرده من حظيرة الكنيسة ، ووضعت فيه (الأمانة) أو قانون الإيمان الخاص بالنصارى الذى أقر بألوهية عيسى ، كما أقر هذا المجمع عدداً من الموضوعات منها اعتماد بعض الكتب المشكوك فى صحتها . . . ثم عقد مجمع آخر فى نيقية سنة ٧٨٧ م لعن فيه العلماء الذين حاربوا عبادة الصور والتماثيل فى الكنائس ، وقد أصبحت هذه المدينة عاصمة للإمبراطورية البيزنطية ١٢٠٤ ـ ١٢٦١ م .

وانظر خبر هذا المجمع فى تاريخ ابن البطريق حـ ١ صـ ١٢٦ ، وانظره فى تاريخ ابن العبرى صـ ١٣٦

المقدمة التى كتبها جيروم[٣٣] St. Jerome على هذا السفر .

وظلت الأسفار الأخرى المشكوك فيها كما هى غير مسلمة من علماء مجمع نيقية ، إلى أن انعقد مجمع « لوديسيا » سنة ٣٦٤ م فأقر حكم المجلس الأول وزاد عليه وجوب تسليم سبعة أسفار أخرى ، هى :

١ ـ سفر أستير .
٢ ـ رسالة يعقوب .
٣ ـ رسالة بطرس الثانية .
٤ ـ رسالة يوحنا الثانية .
٥ ـ رسالة يوحنا الثالثة .
٦ ـ رسالة يهوذا .
٧ ـ رسالة بولس إلى العبرانيين . .

وقرر علماء هذا المجمع إبقاء سفر « رؤيا يوحنا » مشكوكاً فيه وغير مسلّم من الكنبسة .

ثم انعقد مجمع « قرطاج Carthage » سنة ٣٩٧ م وكان من جملة الحاضرين عالمهم المعروف « أكستاين » ومائة وستة وعشرون من كبار لا هوتييهم ، وقد أقر هذا الاجتماع حكم المجالس السابقة بشأن الأسفار

---

(٣٣) القديس جيروم هو الذى ترجم الكتاب المقدس من النسخة السبعينية إلى اللغة اللاتينية القديمة سنة ٤٠٤ م ، وسميت نسخته (Vulgate) ، وكانت الكتاب المقدس الوحيد المعروف والمستخدم فى الكنائس الغربية فى العصور الوسطى ، والترجمة التى أقرها مجمع (ترنت) Trent سنة ١٥٤٦ م مأخوذة عن Vulgate ، وهى أصبحت الكتاب الرسمى Official Bible للكنيسة الكاثوليكة الرومانية .

أنظر : دائرة المعارف البريطانية حـ ٣ صـ ٥٨٢ وقارن كذلك

Ray,ond F. Collins, Introduction to the Testament, SCM, 1983

- Hugh Pope, English Veraions of the Bible, 1952

- E.A. Nida, God's word in Man's Languages, 1952

- R. Kilgour, The Bible throughput the world, 1939

المقدسة المعتمدة والمشكوك فيها . وزاد عليها (٣٤) وجوب تسليم سبعة أسفار أخرى هى :

١ ـ سفر الحكمة .

٢ ـ سفر طوبيا .

٣ ـ سفر باروخ .

٤ ـ سفر إيكليزيا ستيكس .

٥ ـ سفر المقابيين الأول .

٦ ـ سفر المقابيين الثاني .

٧ ـ سفر رؤيا يوحنا .

وقد عدّ علماء هذا المجمع سفر « باروخ » جزءاً من سفر « إرمياء » ؛ لأن باروخ قد كان بمنزلة نائب إرمياء وخليفته ، فلم يكتبوا اسم سفر باروخ على حده فى فهرست أسماء الأسفار .

« فبعد انعقاد هذه المجامع صارت هذه الكتب المشكوك فيها مسلمة بين جمهور المسيحيين ، وبقيت هكذا إلى مدة ألف ومائتين من وقت اعتمادها ، إلى أن ظهرت فرقة البروتستانت ، فردوا حكم هؤلاء الأسلاف فى باب : كتاب باروخ ، وكتاب طوبيا ، وكتاب يهوديت ، وكتاب وزدم ، وكتاب ايكليزيا استيكس وكتابى المقابيين » .

وقالوا : إن هذه الكتب واجبة الرّد ، وغير مسلّمة ، وردوا حكمهم فى بعض أبواب كتاب أستير ، وسلّموا البعض ؛ لأن هذا الكتاب كان ستة عشر باباً ، فقالوا : إن الأبواب التسعة من الأول وثلاث آيات من الباب العاشر واجبة التسليم ، وستة أبواب باقية واجبة الرد ، وتمسكوا فى هذا الإنكار والرد بوجوه منها :

---

(٣٤) ولقد عاد مجمع قرطاج Carthage للانعقاد مرة أخرى سنة ٤١٩ م برئاسة القديس أوغسطين St. Ougustine

١ ـ أن هذه الاسفار كانت فى الأصل فى اللغة العبرانية والجالدية ، وغيرهما ، ولا توجد الآن فى تلك اللغات (يعنى قد فقدت أصولها وبقيت ترجماتها فحسب .

٢ ـ لأن علماء النصارى القدماء لم يسلّموها ، وقد قال جيروم بأنها ليست كافية لتقرير المسائل الدينية واثباتها ، وصرح (كلوس) بأن هذه الأسفار لا تقرأ فى كل موضع ، وقد صرح (يوسيبيوس) Eusebius (فى القرن الثاني الميلادى) بأن هذه الأسفار محرّمة ؛ سيّما سفر المقابيين الثانى .

٣ ـ كما أن اليهود لا يسلمونها الهامية (٣٥)

ويعلق الشيخ رحمه الله على ذلك قائلا :

« انظروا إلى هذه الوجوه . . كيف أقروا بعدم ديانة أسلافهم ، وأن ألوفاً منهم أجمعوا على أن الكتب التى فقدت أصولها وبقيت ترجماتها وكانت مردودة عند اليهود ، وكانت محرفة سيما كتاب المقابيين الثاني ، واجبة التسليم !!!

فأىّ اعتبار لإجماعهم واتفاقهم على المخالف ؟ !!! (٣٦) »

---

(٣٥) المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والدكتور القسيس فندر » صـ ٤٢٢ بتحقيق الدكتور محمد عبد القادر خليل طبعة الرياض ١٤٠٥ هـ .

(٣٦) « إظهار الحق » مصدر سابق صـ ١٠٠ حـ ١

وإتماماً للفائدة نذكر أن « تقسيم نص الكتاب المقدس ! إلى فصول (إصحاحات) ـ الذى يبدو شائعاً اليوم ـ قد ظهر لأول مرة سنة ١٢٠٠ م ، وهو يرجع إلى اسقف كانتربرى Canterbury ستفن لانجتون (ت ١٢٢٨ م) أما تقسيم الإصحاحات إلى عبارات مرقمة فهو يرجع إلى الناشر الباريسى روبرت ستيفنون ، وظهر لأول مرة فى طبعة سنة ١٥٥١ م » انظر : W.G. Kummel, Introduction to the N.T, P 517, Abengdon

ويرى محررو قاموس الكتاب المقدس (ص ٧٦٥) « أنه قد وقع كثير من الأخطاء فى هذه التقسيمات مما جعلها لا تتناسب تماماً مع المعنى الموجود فيها » .

جدول

يضم قوائم أسفار العهد القديم المسلَّمة المعتمدة عند الروم الكاثوليك ، والأسفار المعتمدة عند الأرثوذكس ، والبروتستانت ، واليهود العبرانيين.

اليهود العبريون	الروم الكاثوليك	الأرثوذكس	البروتستانت
سفر التكوين	سفر التكوين	سفر التكوين	سفر التكوين
سفر الخروج	سفر الخروج	سفر الخروج	سفر الخروج
سفر اللاويين	سفر اللاويين	سفر اللاويين	سفر اللاويين
سفر العدد	سفر العدد	سفر العدد	سفر العدد
سفر التثنية	سفر التثنية	سفر التثنية	سفر التثنية
سفر يوشع	سفر يوشع	سفر يوشع	سفر يوشع
سفر القضاة	سفر القضاة	سفر القضاة	سفر القضاة
سفر راعوث	سفر راعوث	سفر راعوث	سفر راعوث
سفر صموئيل	سفر الملوك الأول	سفر الملوك الأول	سفر صموئيل الأول
	سفر الملوك الثانى	سفر الملوك الثانى	سفر صموئيل الثانى
سفر الملوك	سفر الملوك الثالث	سفر الملوك الثالث	سفر الملوك الأول
	سفر الملوك الرابع	سفر الملوك الرابع	سفر الملوك الثانى
سفر أخبار الأيام	سفر أخبار الأيام الأول	سفر أخبار الأيام الأول	سفر أخبار الأيام الأول
	سفر أخبار الأيام الثانى	سفر أخبار الأيام الثانى	سفر أخبار الأيام الثانى
سفر عزرا نحميا	سفر عزرا الأول	سفر عزرا الأول	سفر عزرا
	سفر عزرا الثانى	سفر عزرا الثانى	سفر نحميا
سفر غير معتمد x	سفر طوبيا	سفر طوبيا	سفر غير معتمد x
سفر غير معتمد x	سفر يهوديت	سفر يهوديت	سفر غير معتمد x
سفر استير	سفر استير	سفر استير	سفر استير
سفر أيوب	سفر أيوب	سفر أيوب	سفر أيوب
سفر المزامير	سفر المزامير	سفر المزامير	سفر المزامير
سفر الأمثال	سفر الأمثال	سفر الأمثال	سفر الأمثال
سفر الجامعة	سفر الجامعة	سفر الجامعة	سفر الجامعة

اليهود العبريون	الروم الكاثوليك	الأرثوذكس	البروتستانت
سفر نشيد الإنشاد	سفر نشيد الإنساد	سفر نشيد الإنشاد	سفر نشيد الإنشاد
سفر غير معتمد ×	سفر الحكمة	سفر الحكمة	سفر غير معتمد ×
سفر غير معتمد ×	إيكليزيا ستيكس	سفر إيكليزيا استيكس	سفر غير معتمد ×
سفر أشعياء	سفر أشعياء	سفر أشعياء	سفر أشعيا
سفر إرمياء	سفر إرمياء	سفر إرمياء	سفر إرمياء
سفر مراثي إرمياء	سفر مراثي إرمياء	سفر مراثي إرمياء	سفر مراثي إرمياء
سفر غير معتمد ×	سفر باروخ	سفر غير معتمد ×	سفر غير معتمد ×
سفر حزقيال	سفر حزقيال	سفر حزقيال	سفر حزقيال
سفر دانيال	سفر دانيال	سفر دانيال	سفر دانيال
——	سفر هوشع	سفر هوشع	سفر هوشع
——	سفر يوئيل	سفر يوئيل	سفر يوئيل
——	سفر عاموس	سفر عاموس	سفر عاموس
——	سفر عوبديا	سفر عوبديا	سفر عوبديا
——	سفر يونان	سفر يونان	سفر يونان
سفر ميخا	سفر ميخا	سفر ميخا	سفر ميخا
——	سفر نوحام	سفر نوحام	سفر تاحوم
——	سفر حبقوق	سفر حبقوق	سفر حبقوق
——	سفر صفنيا	سفر صفنيا	سفر صفنيا
——	سفر حجاى	سفر حجاى	سفر حجّاى
——	سفر زكرياء	سفر زكرياء	سفر زكرياء
——	سفر ملاخي	سفر ملاخي	سفر ملاخي
سفر غير معتمد ×	سفر المكابين الأول	سفر غير معتمد ×	سفر غير معتمد ×
سفر غير معتمد ×	سفر المكابين الثاني	سفر غير معتمد ×	سفر غير معتمد ×

ملاحظات على الجدول :

١ ـ يلاحظ أن أكبر قائمة هى قائمة الروم الكاثوليك ، فهم يؤمنون بستة وأربعين سفراً من أسفار العهد القديم . أى أنهم يسلمون عدداً من الأسفار أكثر مما يسلمه اليهود أنفسهم ، ومما يذكر ـ هنا ـ أن هذه القائمة الكبرى من أسفار العهد القديم قد أقرّها مجلس علمائهم المنعقد فى (ترنت Trent) من سنة ١٥٥٤ م إلى سنة ١٥٦٣ م .

٢ ـ قائمة الأسفار التى يؤمن بها الأرثوذكس تعتبر ثاني أكبر قائمة ـ بعد الكاثوليك ـ إذ تبلغ عدتها ثلاثة وأربعين سفراً ، فهى أكثر مما يؤمن به اليهود أيضا . وهم لا يسلمون ثلاثة أسفار فقط من جملة ما يسلّم به الكاثوليك ؛ وهى : سفر باروخ والمقابيين الأول والثانى كما أسلفنا. ولقد كان لمجمع بيت المقدس القرار الحاسم الذى قبل فيه الأرثوذكس أربعة أسفار لم تكن مسلّمة من قبل عندهم وهى (طوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، وكهنوت عيسى بن سيراخ المسمى : إيكليزيا استيكس) ، وقد انعقد هذا المجمع المعروف ب : (Synod of Jerusalem) سنة ١٦٧٢ م

٣ ـ ويلاحظ أن كل ما هو غير معتمد من الأسفار عند البروتستانت أو الأرثوذكس فهو غير معتمد عند اليهود .

٤ ـ ويلاحظ كذلك أن النسخة اليهودية العبرانية تدمج كثيراً من الأسفار بعضها فى بعض ، وعدة أسفارها أربعة وعشرون سفراً ، كما أن ترتيبها فى نسختهم يختلف عن ترتيب قوائم فرق النصارى الثلاث المذكورة . وتزيد قائمة البروتستانت ـ لأنها لا تدمج الأسفار بعضها فى بعض ـ عن قائمة اليهود العبرانيين خمسة عشر سفراً . (أنظر : دائرة المعارف الأمريكية ، المجلد الثالث ، مادة Bible ، طبعة سنة ١٩٨٤ م)

٥ ـ ومما يذكر كذلك أن القائمة اليهودية العبرانية هذه ، هى التى أقرتها لجنة من أحبار اليهود وربّانييهم سنة ٩٠ ميلادية أو ستة مائة بعد الميلاد ، وكانت اللجنة برئاسة RABBI AKIBA و JAMNIA ، وقد نقحت فيها

بعد . والذى دفع أحبار اليهود إلى جمع هذه القائمة وإقرارها الظروفُ العسيرةُ التى حاقت بهم بعد حاث تدمير أورشليم المعروف سنة ٧٠ ميلادية ، وظهور الديانة النصرانية .

هذا وقد ألقت لفائف البحر الميت The Dead Sea Scrolls التى اكتشفت فى كهوف جبال البحر الميت بلأردن سنة ١٩٤٨ اتفاقاً ـ ألْقت الضوء على أنّ ثمة مجموعة كتب كانت قد جمعت وضمت معاً فى القرن الرابع قبل الميلاد ؛ بينما وضعت لجنة JAMNIA الصورة شبه النهائية لهذه القائمة (٣٧) اليهودية العبرانية . أمّا قوائم اليهود الصَّدوقيين والحسْديين والسَّامريين والعنانيين فلها حديث آخر إن شاء الله .

---

(٣٧) راجع صـ ٥٧٦ من الجزء الثالث من دائرة المعارف البريطانية ، وانظر للقس . باول ديفز كتابه « مخطوطات البحر الميت » وانظر للسير آثر فندلاى : « الكون المنشور » و « وصخرة الحق » ترجمة د . على عبد الجليل راضي طبعة القاهرة ويرى الفيلسوف اليهودى المحقق سبينوزا أنه « يظهر بوضوح أنه لم تكن هناك مجموعة مقننة من الكتب المقدسة قبل عصر المكابيين . أما الكتب المقننة الموجودة الآن فقد اختارها فريسيو الهيكل الثاني ـ بعد إقامته مرة أخرى إثر تخريبه ـ من بين كثيرٍ غيرها ؛ وذلك بقرار منهم وحدهم ، وهؤلاء هم أيضا واضعو الصلاة »

وعن السبب الذى يجعله يسلم بأن الفريسيين وحدهم بين طوائف اليهود ـ هم الذين اختاروا أسفار العهد القديم ، ووضعوها فى المجموعة المقننة ، فهو

أولا : نبوءة دانيال ببعث الموتى (الإصحاح الأخير : ٢) والفرق اليهودية الأخرى لا تؤمن بالبعث

وثانيا : ما أشار إليه الفريسيون أنفسهم فى التلمود ، وينقل شواهد لذلك من رسالة السبت التلمودية (الفصل ٢ الورقة ٣٠ ، الفصل الأول ، الورقة ١٣)

[سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، صـ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، من الترجمة العربية للدكتور حسن حنفى ، طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ م]

مراجع للتوسع فى معرفة أسفار العهدين

قد آثرنا أن يكون تعريفنا بأسفار العهدين ـ فى هذا المبحث ـ وجيزاً ومركزاً جداً ، ومن ثم ارتأينا أن نقدم للقارىء الكريم قائمة وافية من المصادر والمراجع للتعمق والتوسع فى دراسة أسفار العهدين .

أولاً : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الأندلسى ، طبعة عكاظ ، ١٩٨٢ م

إظهار الحق ، لرحمة الله الهندى ، طبعة قطر ، مصورة عن طبعة عمر الدسوقى .

محاضرات فى النصرانية ، للشيخ محمد أبي زهرة ، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية .

الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، الطبعة الثانية ، نهضة مصر .

قاموس الكتاب المقدس ، بإشراف الدكتور جون طمسون ، والدكتور بطرس عبد الملك ، وإبراهيم مطر .

قاموس الكتاب المقدس ، بإشراف الدكتور فرنسيس دافيدسون .

الأسفار الخمسة السامرية ، نشرة دار الأنصار بالقاهرة .

« الكتاب المقدس ! » . الترجمة الكاثوليكية نشرة بيروت ، والترجمة البروتستانتية نشرة القاهرة ١٩٧٠ م

ثانيا :

☆ A. Soggin, Intraduction to the old Testament, SCM London

☆ James Hastings, Dictionary of the Bible, New York, 1963

☆ Curt kuhl ,The old testament : its original compositon, London, 1961

☆ Raymond F. Collins, Introduction to the New Testament, SCM Press, London, 1983

☆ Werner Georg küMMEl, Introduction to the New Testament,

Translated by HowARD C.Kee, Fifth Printing 1984 (Abing don Press) والجدير بالذكر أن هذا المرجع قد وضع سنة ١٩٠٤ م باللغة الألمانية

☆ The lost Book of the Bible, USA, 1974

☆ The Forgotten Books of Eden, USA. 1974

☆ The NaG HAMMADY LiBrary in English, U.S.A, 1981

☆ ELAINE PAGELs, The GnosTic Gospels, Benguin Book, 1985

☆ WiLLiAM BARCIY, The Gospels and Acts, Volume 1 and 2, SCM Press, London, 1976, 1982

☆ RoBert M. Grant, Historical Introduction to the new Trstament, London, 1972

☆ Reginald H. Fuller, A critical Introduction to the New Testament, Duckworth, London, 1979

☆ Bruce Mamning Metzger, The TeXt of the New Testament : Its Transmission, Corruption and Restoration.

oXFord Univ Press 1968, USA 7th 1980

☆ F.F. Bruce, The Book of the « ACTs » : The New internatinal Commentary of the New Textamant. EERDMANS puB. Co. 1984

☆ ERNST KÄSEMANN, Essay on New Testament Themes, SCM Press German s ed Ed 1960, 5th ed, 1981

☆ W.H. Schmidt, Inlroduction to the OLd Testament, SCM, London

☆ Ralph P. Martin, New Testament Foundation : A Guide for Christian Students.

Volume 1 : The Four Gospels, USA 1975

Volume 2 : The Acts, The Epistles and the Apocalypes U.S.A 1983

☆ WAYNE A. MEEKs, The writings of St. PAUL, New York, 1972

☆ SYDNEY Cave, The Gospel of St. PAul, London, 1928

☆ A.M. HUNTER, Introduction to the New Testament, SCM. Press, 1984

☆ PATRICK HENRY, New Directions in New Testament Study, SCM. Press, 1980

☆ WiLLiam BarClay, New Testament words, SCM Press, 1983

☆ C.H. DoDD, History and the GospeL, London, 1938

☆ OSCar CuLLMan, The Christology of the New Testament, SCM-Press 1957, 1983

☆ G. Vermes; The Dead Sea : Qumran in Perspective, SCM. London

☆ NoRVAL GELDENHUYs, The Gospel of 'Luke' U.S.A, 1983

☆ G.Vermes, The Dead Sea ScroLLs in English SCM Press London

☆ Richard Belward Rachham, The ACts of the Apostles London, 1939

هذا ، وسنشير فى قائمة المراجع التى سنذكرها فى آخر هذا الكتاب إلى مراجع مفيدة أخرى إن شاء الله تعالى .

المبحث الثانى :

أَقْدَمُ مَخْطُوطاتِ الْعَهْدَيْنِ وَتَارِيخُ تَدْوِينِهَا

يشكو علماء الأديان من ندرة المخطوطات القديمة الكاملة للكتاب المقدس بعهديه ؛ فهى لا تكاد تجاوز عددَ أصابع اليد الواحدة . كما أن الباحثين الغربيين المتخصصين قد اختلفوا فى تقدير زمان تدوينها اختلافاً شاسعاً ؛ إذ تأرجحت تقديراتهم ما بين نهاية القرن الرابع الميلادى والقرن الحادى عشر . وهو بون بعيد إن دلّ على شىءٍ فهو يدل على عدم كفاية القرائن والمرشّحات التى اعتمدوها فى هذا التقدير ، أو قل : يدل على ضعفها ونقصانها ، وأن بعضها يسقط البعض الآخر . وعلى أى حال نحن نسأل : إلى أى قرن يرجع تاريخ أقدم المخطوطات المعروفة للكتاب المقدس ؟ وما هى المدة الزمنية بين تاريخ التدوين وتاريخ النزول ؟

نسوق للإجابة على هذين السؤالين نتائج بحوث علماء الأديان الغربيين ، وقد نقل العلاّمة رحمة الله الهندى عن قاموس ريس للكتاب المقدس ، من المجلد الرابع ، ما يلى :

« قال الدكتور كنى كات (وهو واحد من أبرز علماء فرقة البروتستانت ، وكان عليه اعتمادهم فى تصحيح أسفار العهد القديم) : إن نسخ العهد القديم التى هى موجودة كتبت ما بين ألف ، وألف وأربعمائة ميلادية ، واستدل على هذا بقوله : إن جميع النسخ التى كانت كتبت فى المائة السابعة أو الثامنة قد أعدمت بأمر محفل الشورى لليهود ؛ لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة النسخ التى كانت معتمدة عندهم . ونظراً لذلك قال والتن : إن النسخ التى مضى عليها ستمائة سنة قلّما توجد ، والتى مضى على كتابتها سبعمائة سنة ، أو ثمانمائة سنة ففى غاية الندرة [1] »

يصرح الدكتور كنى كات أن نسخ العهد القديم التى وصلت إليه قد

---

(١) إظهار الحق ، جـ ١ صـ ٤٥٩

كتبت بعد ألف سنة من ميلاد المسيح عليه السلام ، ويؤيده فى ذلك والتن .

معنى ذلك أن مصححى العهد القديم يعترفون أن أقدم نسخة عبرانية موجودة قد كتبت بعد القرن السابع أو الثامن ؛ بل لم تصل إليهم نسخة عبرانية كاملة قبل المائة العاشرة .

وأقدم نسخة عبرانية مخطوطة هى التى حصل عليها الدكتور كنى كات ، وهى نسخة « كودكس لاديانوس » . وقال عنها : إنها كتبت فى المائة العاشرة ، وقال عنها موشيدى الروسى : إنها كتبت فى المائة الحادية عشرة . ولما طبع واندرهوت النسخة العبرانية زاعماً تصحيحها تصحيحاً كاملاً ، خالف نسخة كودكس لاديانوس فى أربعة عشر ألف موضع [٢] .

هذا عن النص العبرى للكتاب المقدس ، أمّا عن النسخ المخطوطة التى عثر عليها باللغة الإغريقية فتصل إلى خمسة آلاف مخطوطة حسبما يذكر الدكتور R.Collins (أستاذ العهد الجديد فى الجامعة الكاثوليكية فى Louvain) [٣] ، الدكتور Bruce M.METZGER أستاذ العهد الجديد فى جامعة برنستون) [٤] .

---

(٢) قارن صـ ٥٠١ حـ ١ من إظهار الحق ، ويرى الدكتور Owen Cole أن أقدم نسخة توراتية هى المحفوظة فى مكتبة لينتجراد بلاتحاد السوفيتى ، وترجع - فى تدوينها - إلى سنة ١٠٠٨ م ، أنظر له : Six Religions, Hulton, 1984, P.66

ويرى محررو قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٦٣ أن أقدم النسخ الكاملة للعهد القديم - فى اللغة العبرية - ترجع إلى القرن العاشر الميلادى ؛ واحدة كانت فى حلب لقرون عديدة ، ثم سربت مؤخراً إلى إسرائيل ، والأخرى هى نسخةلننجراد . أما أقدم نصوص مفردة وصلتنا فهى ما عثر عليه فى لفائف البحر الميت فى وادى قمران . والنسخة الموجودة حالياً من العهد القديم هى المأخوذة عن النسخة الماسورية التى أعدها جماعة من علماء اليهود فى طبرية من القرن السادس إلى الثانى عشر للميلاد .

(٣) انظر : Introduction to the New Testament, P.80, SCM. Press London, 1983

(٤) انظر : The Text of the New Testament: its Transmission, Corruption, and Restoration, Oxfrd Univ Press, 7 th Ed. 1980 P.36

ويقسمها علماؤهم [٥] إلى ثلاث مجموعات حسب المادة التى كتبت عليها هذه المخطوطات .

النوع الأول : مخطوطات البردى ، إذ أن أقدم المخطوطات الموجودة قد كتبت على أوراق البردى ، وتوجد قرابة ثمانين قطعة مخطوطة من هذا النوع .

ويعود بعض تاريخ بعض هذه القطع الصغيرة من هذا النوع إلى القرنين الثالث والرابع ، على أن أقدم قطعة مخطوطة للعهد الجديد الإغريقى على الإطلاق ترجع إلى القرن الثانى الميلادى ، وهى قطعة صغيرة للغاية تضم عبارتين اثنتين من إنجيل يوحنا (١٨ : ٣١ ، ١٨ - ٣٧ - ٣٨) . وهى محفوظة فى مكتبة : John Ryland فى منشستر .

وهناك قطعة بردى أخرى ترجع إلى القرن الثالث حسبما يذكر الدكتور كولينز ، وهى تضم عبارتين من إنجيل متى (١ : ١ - ٩ ، ١٢ : ١٤ - ٢٠)

وأهم هذه القطع « بردية شستربتى » فى مجموعة Bodmer ، وهى محفوظة فى متحف دبلن ، وتحتوى على بضع عبارات من إنجيل مرقس ، ولوقا ، وأعمال الحواريين ، ومتى ، ويوحنا ، . . ومما يشار إليه أن هذه القطعة - وقطع أخرى - لا تضم صدر إنجيل يوحنا . . . وقد اكتشفت هذه القطعة ما بين سنتى ١٨٩٧ ، ١٩٠٧ فى : Oxyrhnchus بالقرب من البهنسا فى صعيد مصر ، على يد Hunt , Grenfell

وهنالك قطع أخرى صغيرة تضم عبارات أو مقاطع من العهدين توجد فى

---

(٥) تخصص فى دراسة هذه المخطوطات وتصنيفها جماعة كبيرة من علمائهم ، من بينهم على سبيل المثال :

- Johann J. Wattstien (١٦٩٣ - ١٧٥٤ م) - Caspar R.Gregory (١٨٤٦ - ١٩١٧ م)

- Johann J. Griesbach (١٧٥٥ - ١٨١٢) - Karl Lachmann (١٧٩٣ - ١٨٥١ م)

Hort- ١٧٩١ م - Johann S. Semler

مكتبات فينا ، وكولونيا ، ودبلن ، ويفترض علماؤهم ـ مجرد افتراض ـ أن هذه القطع ترجع إلى القرون الستة من الثاني إلى السابع .

النـوع الثـانى : وهنـالـك نوع آخـر من مخطوطـات العهـدين باللغـة الإغريقية ، وهو ما كتب على رقوق الحيوانات ، وهذه طريقة لم تعرف إلا بعد القرن الرابع ، ويوجد عدد من هذه المخطوطات ، وقد اختلف علماؤهم كثيراً فى تقدير زمن تدوينها ما بين القرن الرابع والثاني عشر .

ولهذه النسخ أهمية خاصة عندهم ، لأن بعضها شبه تام تقريباً ، وبعضها يضم أسفار العهدين معاً مع بعض النقص فيهما والاختلاف فى الترتيب ، وقد حشد فى بعضها الأسفار المعترف بها وتلك التى لم يعترف بها .

وهنالك طريقتان لتصنيف هذه المجموعة ، **أولاهما** طريقة وتستين التى يرمز فيها إلى كل نسخة بحرف أبجدى لاتينى أو إغريقى ، **وثانيهما** : طريقة جريجـورى التى يرمـز فيهـا إلى كل نسخـة برقم حسـابى عربى مسبـوق بصفر . . . ونقدم فيما يلى فكرة موجزة عن أهم هذه المخطوطات :

(١) النسخة السينائية The Codex Sinaiticus ، ويفترض علماؤهم أن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الرابع ، ويرى بعضهم أن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الخامس أو السادس أو العاشر الميلادى . وهى تضم نص العهدين معاً ، مع اختلاف فى ترتيب الأسفار وبعض النقص فى المحتوى ، وبعض الأسفار غير المعترف بها مثل رسائل القديس برنابا وغيرها .

وقد اكتشفها ـ فى دير سانت كاترين بسيناء ـ الباحث المغامر الدكتور C. Thischendor F سنة ١٨٤٤ م [٦]. وقد أهداها إلى قيصر روسيا ، وحفظت

---

(٦) انظر : Ian Mohr : Thischedorf and the Codex Sinatitcus, Nt Studies 23 (1976) 108-115

وانظر : Encyc. Britanica, vol.3,P 579

وانظر : B.M. Metzger : The Text of the New Testament, PP 42-45

وقد تواطأ رهبان الدير مع تشنيدورف على تسريب هذه النسخة إلى قيصر روسيا لقاء بعض الهدايا الزهيدة

فى بطرس بورج ، ثم نقلت إلى المتحف البريطانى سنة ١٩٣٣ م (ولعل تأخر زمن اكتشاف هذه النسخة هو السبب فى عدم إشارة العلّامة رحمة الله الهندى إليها فى كتابة : إظهار الحق) .

وقد قيّد عليها تسعة من المعلّقين تصويبات وحواشى ، وترجع بعض هذه التعليقات إلى القرن الثانى عشر ، وهى قد نسخت فى مصر . . ويرمز لها بالرمزين (٪) ، (01) حسب تصنيف كل من وتستين وجريجورى .

(٢) النسخــة الإسكنــدرانية The Codex Alexandrinus ، ويخمّن علماؤهم بأن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الخامس ، وهى تضم نص العهد الجـديد الإغـريقى ، وهو ناقص . . ، ولم تكن هذه النسخة معروفة قبل القرن السابع عشر الميلادى ، وقد أحضرها إلى جيمس الأول ملك انجلترا Cril Lucaris ، وحفظت فى المتحف البريطانى فى لندن ، ويرجح العلماء أن تكـون قد دوّنت فى مصر التى قد اكتشفت فيهـا . . ، ويرمز لها بالرمزين (A) . (02) . وهى تضم رسالتى كلمنت Clement ، وهما ناقصتان جداً .

(٣) النسخـة الفاتيكانية The Codex Vaticanus ، وهى تضم نص العهدين ، مع نقص بينٍ فى كثير من المواضع كما تضم أيضا بعض الكتب غير المعتمدة ، ويقترح علماؤهم أن تكون قد دوّنت فى القرن الرابع ، ومن المحتمل أن تكون هذه النسخة قد كتبت فى الإسكندرية ، وهى محفوظة فى مكتبة الفاتيكان ، ولم تكن معرروفة للعلماء قبل سنة ١٤٨١ م . ويرمز لها (B) . (03)

(٤) نسخة أفريمى The Codex Ephraemi ، ويخمن علماؤهم أنها قد كتبت فى القرن الخامس ، وهى تحوى نصاً يونانياً ناقصاً جداً ، وإن كانت لها أهمية خاصة بالنسبة لأسفار العهد الجديد ، . . وهى محفوظة فى المكتبة الوطنية فى باريس ، ويرمز إليها (C) . (04)

(٥) نسخة بيزا The Codex Bezae ، ويفترض علماؤهم أنها قد دّونت فى القرن الخامس ، وهى تضم الأناجيل وسفر الأعمال ؛ مع خلوها من كثير من النصوص مثل صدر إنجيل يوحنا ، وهى محفوظة فى مكتبة جامعة كمبردج ، وكان قد قدمها إليها رجل الدين البروتستانتى الكالفنى The odore de Beze (١٥١٩ - ١٦٠٥) ويرمز لها (D) ، (05) . ولم يشر إليها رحمة الله الهندى ، وباحثون آخرون .

(٦) النسخة الكلارمونية ونحوى رسائل بولس فقط كما تضم رسالته إلى العبرانيين ، وقد كتبت باللغتين الإغريقية واللاتينية ، وهى محفوظة فى باريس ، ويفترض علماؤهم أنها كتبت فى القرن الثامن .

(٧) النسخة البازلية The Codex Basileensis فى القرن الثامن أفتراضاً ، وهى تضم الأناجيل الأربعة مع النقص الواضح فيها ، وهى محفوظة فى جامعة بازل بسويسرا .

(٨) نسخة لاديانوس The Codex Laudianus ، وهى تضم أعمال الحواريين ومحفوظة فى بودليانا فى أكسفورد ، وهنالك أربع مخطوطات أخرى من هذا النوع أقل شأناً لنقصها وتأخر زمان كتابتها ،فهى ترجع إلى القرن التاسع حسب أكثر افتراضاتهم تفاؤلاً ، وهى محفوظة فى بارريس ، وواشنطون ، وسويسرا وتفليس بالاتحاد السوفيتى .

أمّا مخطوطات النوع الثالث فهى أقل أهمية وأدنى قيمة لأنها ترجع إلى وقت متأخر جداً . . فهى تعود إلى القرن الثالث عشر ، وأكثرها ناقص جداً ، وقد وصف البروفسور كولينز (٧) سبع مخطوطات من بينها ، محفوظة في بازل

---

(٧) Introduction to the NT,P. 84-85

وانظر للباحث إبراهيم خليل أحمد : محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن صـ ٢٠٠ - ٢٠١ الطبعة الخامسة ، مكتبة الوعى العربي بالقاهرة .

وانظر : A.Deedat, ISTheBible God's word ? P20, Durban, 1982

وانظر : Bruce M. METzger, The Terxt..., P. 60-61

وانظر : Werner G.Kummel, Introduction to the NT, PP. 513-533, ABINGdon

وباريس ودبلن وألينوى .

وهنالك دراسة مفصلة للمفسر اللاهوتي المعروف (هوررن) ـ حول ظروف أقدم النسخ الخطية للكتاب المقدس والتاريخ المقترح من قبل العلماء الغربيين لتدوينها ـ أوردها فى المجلد الثاني من تفسيره لأسفار العهدين [8] ، واقتبسهاالعلّامة رحمة الله الهندى فى كتابه (إظهار الحق) . . يقول هورن عن نسخة كودكس اسكندريانوس :

« تقع هذه النسخة فى أربعة مجلدات . . . فى المجلدات الثلاثة الأولى : الكتب الصادقة والكاذبة من كتب العهد القديم . . . ويوجد فى المجلد الرابع : العهد الجديد والرسالة الأولى لكليمنت إلى أهل كورنثوس ، والزبور الكاذب المنسوب إلى سليمان ، وتوجد قبل الزبور رسالة اتهانى سيشن ، وبعده فهرست ما يقرأ فى صلاة ساعات الليل والنهار ، وأربعة عشر زبوراً إيمانياً . . الحادى عشر منها فى نعت مريم . . . وبعضها كاذبة وبعضها مأخوذة من الإنجيل ، ودلائل يوسى بيوس مكتوبة على الزبورات ، وقوانينه على الأناجيل . . . وقد بالغ البعض فى مدح هذه النسخة ، وبالغ البعض الآخر فى ذمها ، ورئيس أعدائها وتستين »

ونسترعى نظر القارىء الكريم إلى أن رتبة هذه النسخة ـ التى تحتوى على الكتب الصادقة والكاذبة ، وعلى الغث والسمين . . وهى نسخة ناقصة جداً كما مرّ . . وقد بالغ بعض علمائهم برئاسة المحقق واتستين فى ذمها ـ المقام الأول فى تحقيق كتبهم وتوثيقها وتأصيلها !! ، وعن زمان تدوين هذه النسخة يقول (هورن) :

« وفى قدمها كلام !! ، فقد ظن كريب وشلز أن هذه النسخة قد كتبت فى آخر المائة الخامسة

(8) الطبعة الثالثة فى لندن سنة ١٨٨٢ م ، ومما يشار إليه أن هنالك موسوعة تضم دراسات نقدية باسم العالم هورن T.H. Horne's encyclopedic نشرت فى لندن سنة ١٨٥٦ م ، وقد اشترك فيها علماء كبار مثل Tregelles وغيره .

ـ وقال ميكايلس : هو حد قدمها ، ولا يمكن أن يفترض زمان أقدم منه ؛ لأن رسالة أتهانى سيشن توجد فيها .

ـ وفهم أودن أنها كتبت فى القرن العاشر .

ـ وقال واتستين إنها كتبت فى القرن الخامس ، وافترض أن هذه النسخة من تلك النسخ التى جمعت فى الإسكندرية سنة ٦١٥ م من أجل تصحيح الترجمة السريانية .

ـ وقال مونت فاكن : لا يمكن أن تكون مكتوبة قبل القرن الثامن الميلادى .

ـ وفهم وايد أنها كتبت فى وسط القرن الرابع أو فى آخره ، ولا يمكن أن يكون أقدم من هذا لأنه توجد فيها الأبواب والفصول ويوجد فيها نص قانون يوسى بيوس .

ـ واعترض اسباين على دلائل وايد على كونها مكتوبة فى القرن الرابع بثلاثة اعتراضات :

الأول : أنه لا يوجد التقسيم إلى أبواب وفصول فى رسائل بولس .

الثاني : يوجد فيها رسائل كليمنت التى منع قراءتها محفل لوديسيا ومحفل كارتهيج ،

الثالث : استدل شلز بدليل جديد هو أنه يوجد فى الزبور الرابع عشر الإيهانى ـ الوارد فيها ـ فقرة كانت توجد سنة ٤٤٤ م ، وسنة ٤٤٦ م .

ـ وظنّ واتستين أنها كتبت قبل زمن جيروم وإنه ترجم عنها المتن اليوناني إلى اللاتينية .

ـ وقال ميكايلس : لا يثبت بهذا شىء لأن هذه النسخة منقولة عن نسخة أخرى بالضرورة . . .

ـ وقد دلّل أودن على أنها كتبت فى القرن العاشر ؛ لأن بها رسائل منحولة منسوبة إلى اتهانى سيشن ولا يمكن أن تكون قد نسبت إليه زوراً فى حياته ؛

ولأن الوضع او الإلحاق أو الانتحال كان ـ فى القرن العاشر الميلادى ـ على غايه القوّة [10]»

هذه خلاصة وجيزة تظهر تفاوت تقديرات علمائهم بشأن تحديد زمن تدوين نسخة كودكس إسكندريانوس كما سجّلها المفسرّ اللاهوتى المعروف هورن

أمّا نسخة كودكس فاتيكانوس فقد اضطرب علماؤهم فى تحديد زمن كتابتها ، ويسجل هورن موجزاً لاجتهاداتهم كما يلى :

« كتب فى مقدمة الترجمة اليونانية التى طبعت سنة ١٥٩٠ م : كتبت هذه النسخة فى القرن الرابع .

ـ وقال مونت فاكن وبلين جينى : كتبت فى القرن الخامس أو السادس .

ـ وقال ديوبن : فى القرن السابع .

ـ وقال هك : فى القرن الرابع .

ـ وقال جون مارش : فى القرن الخامس .

ولا يوجد الاختلاف بين نسختين من نسخ العهد العتيق والجديد مثل الاختلاف الذى يوجد بين كودكس اسكندريا نوس ، وهذه النسخة . كما استدل الدكتور كنى كات على أن هذه النسخة وكذا نسخة اسكندريانوس ليستا منقولتين عن نسخة ارجن ، ولا عن نقول منها قرب زمانها [11] » .

وعن نسخة كودكس أفريمى يقول هورن :

« ظن وتستين أن هذه النسخة من النسخ التى جمعت فى الإسكندرية لتصحيح الترجمة السريانية ، لكن لا دليل على هذا الأمر ، واستدل بالحاشية التى على الآية السابعة ، من الإصحاح الثامن ، من الرسالة العبرانية أن

---

(١٠) هورن . المجلد الثالث من تفسيره للكتاب المقدس . الطبعة الثالثة . لندن ، نقلاً عن « إظهار الحق » حـ ١ صـ ٥٠٣

(١١) هورن نقلاً عن إظهار الحق حـ ١ صـ ٥٠٥

هذه النسخـة كتبت قبـل ٥٤٢ م . لكن ميكايلس يرى أن استدلاله غير قوى . . . وقال مارش : إنها كتبت فى القرن السابع »

ويعلق العلامة رحمة الله الهندى على ذلك قائلاً : ظهر لك أنه لا يوجد دليل قطعى على أن هذه النسخ كتبت فى القرن الفلاني ، وليس مكتوباً فى آخر كتاب من كتبها أن كاتبه فرغ منه فى السنة الفلانية . . وعلماؤهم يقولون بالظن الذى نشأهم عن بعض القرائن : لعلها كتبت فى قرن كذا أو كذا . وأدلة القائلين بأن نسخة اسكندريا نوس قد كتبت فى القرن الرابع أو الخامس ضعيفـة ومنقـوضة . . . ، والأغلب كما دلل (أودن) أن هذه النسخة قد كتبت فى القـرن العـاشر . . . ، وعـرفت قول ديوبن فى حق كودكس فاتيكانوس ، وقول مارش فى حق كودكس أفريمى أنهما كتبتا فى القرن السابع [١٢]

هذا ، ومن المعلوم أن أحبـار اليهـود فى بابـل وفى فلسـطين قد كرّسوا جهـودهم فى القـرن الثـامن والتاسع والعاشر لتنقيح نسخة توراتية وتثبيت قراءتها وتخليصها من الأخطاء والشوائب بغرض نقل نص توراتي صحيح إلى الأجيال القادمة . . وقد اكتسبت النسخة الفلسطينية التى أشرف عليها الحبر ابن عاشر قبولاً عاماً . . . وأقدم نسخة توراتية ما سورية [١٣] هى النسخة المحفـوظة فى مكتبة ليتجراد ويرجع تاريخ تدوينها القرن أول الحادى عشر (سنة ١٠٠٨ م)

ويتسـاءل الـدكتـور Owen Cole ومسـاعدته الباحثة Peggy Morgan قائلين : هل يوثق بنص كتب وضعت بعد وضع آخر كتب العهد القديم (وهو كتاب دانيال) بألفٍ ومائة سنة ؟ !

---

(١٢) إظهار الحق جـ ١ صـ ٥٠١ ـ ٥٠٧

(١٣) المـاسـوريون : لقب يطلق على الأحبـار الـذين عكفـوا على تنقيح النص التوراتى ، ونسختهم المنقحة تسمى النسخة الماسورية

ويضيفا قائلين : إنّ ثمة تغييرات قد أحدثت !! . ويقال إن مخطوطات البحر الميت [١٤] التى ترجع إلى زمان ثورة اليهود ضد الرومان سنة ٦٦ م - تفيد بأن النسخة الماسورية لا تختلف كثيراً عن تلك التى كانت شائعة فى زمان كتابة لفائف البحر الميت ؛ لأن محاولة تصحيح نسخة توراتية كانت قد بدأت فى تلك الفترة [١٥] . . ، ويذكر كذلك أن النسخة الماسورية لا تختلف كثيراً عن النص الذى ترجمه القديس جيروم من اليونانية الى اللاتينية ، وعلى كل حال فإن أقدم نسخة ماسورية - سواء وافقت غيرها أم خالفته - تعود إلى صدر القرن الحادى عشر (سنة ١٠٠٨) كما أسلفنا.

ويلاحظ أن أبعد تاريخ لتدوين أقدم نسخة خطية للكتاب المقدس - حسب تقدير المتساهلين من علماء الأديان الغربيين - **هو نهاية القرن الرابع الميلادى ، وهذا يعنى أن أقدم نسخة خطية مدوّنة للتوارة قد كتبت بعد نزول التوراة بأكثر من ألفى سنة !!! ، وأن أقدم نسخة خطية موجودة للعهد الجديد قد كتبت بعد رفع عيسى - عليه السلام - بأكثر من أربعة قرون !!** ومن أجل ذلك - وغيره من الأسباب التى سنشرحها فى المباحث التالية - قال باحثون غربيون **إن ثمة تحريفاً قد وقع ولابد** .

يتأكد ذلك إذا عرفنا أن اليهود والنصارى لا يحفظون كتبهم إلاّ فى السطور ، أى أنهم لا يحفظونها فى صدورهم مثلما يفعل المسلمون فى حفظ القرآن الكريم على صحائف قلوبهم . . أما اليهود والنصارى فحالهم ما

---

(١٤) مخطوطات أو لفائف البحر الميت The Dead Sea Scrolls كان قد اكتشفها راع فى إحدى المغارات المطلة على البحر الميت سنة ١٩٤٧ م وقد عكف العلماء على دراستها واستخلاص النتائج من مقارنة النصوص التى وردت بها - وهى تعود إلى القرن الأول الميلادى - بالنصوص الحالية للكتاب المقدس ، وسنقدم بحثاً وافياً عنها إن شاء الله تعالى فى أحد أجزاء هذه الموسوعة ان شاء الله تعالى .

(١٥) Owen cole, six Religions in the Tewentieth Century, PP.66-67 Hulton, 1984

ذكرنا ، كانوا ولايزالون كذلك . وأنت إذا ما عثرت فى شرق الدنيا وغربها على عشرة من رؤساء علمائهم يحفظون نصوص الكتاب المقدس - عن ظهر قلب - كل منهم يحفظ عُشراً فهو أمر بعيد نادر جداً ، وإن وجدت واحداً ، وإن وجدت واحداً مفرداً يحفظ الكتاب المقدس كله عن ظهر قلبه ، فهو أمر بعيد فى غرابته ، غريب فى بعده . !! ومن هنا ندرك خطورة الفجوة بين تاريخ تدوين أقدم مخطوطة وتارريخ نزول الكتب .

(١)

ϹΘΑΙΠΑΝΤΑ ΟΔΕΙϹ
ΞΑΤΟΛΕΓΕΙΝΑΥΤΟΙϹ
ΒΛΕΠΕΤΕΜΗΤΙϹΥΜΑϹ
ΠΛΑΝΗϹΗΠΟΛΛΟΙΕΛΕΥ
ϹΟΝΤΑΙΕΠΙΤΩΟΝΟΜΑ
ΤΙΜΟΥΛΕΓΟΝΤΕϹΟΤΙ
ΕΓΩΕΙΜΙΚΑΙΠΟΛΛΟΥϹ
ΠΛΑΝΗϹΟΥϹΙΝΟΤΑΝΔΕ
ΑΚΟΥΗΤΕΠΟΛΕΜΟΥϹ
ΚΑΙΑΚΟΑϹΠΟΛΕΜΩΝ
ΜΗΘΡΟΕΙϹΘΕΔΕΙΓΕΝΕ
ϹΘΑΙΑΛΛΟΥΠΩΤΟΤΕΛΟϹ
ΕΓΕΡΘΗϹΕΤΑΙΓΑΡΕΘΝΟϹ
ΕΠΕΘΝΟϹΚΑΙΒΑϹΙΛΕΙΑ
ΕΠΙΒΑϹΙΛΕΙΑΝΕϹΟΝΤΑΙ

(١) قطعة من انجيل مرقس من المخطوطة المسماة كودكس فاتيكانوس ، وهى محفوظة فى مكتبة الفاتيكان . وهى باللغة اليونانية القديمة .

(٢)

ΚΑΙΕΞΕΛΘΩΝΕΚΙ
ΘΕΝΟΙϹΑΝΕΧΩΡΗ
ϹΕΝΕΙϹΤΑΜΕΡΗΤΥ
ΡΟΥΚΑΙϹΙΔΩΝΟϹ
ΚΑΙΙΔΟΥΓΥΝΗΧΑ
ΝΑΝΑΙΑΑΠΟΤΩΝ
ΟΡΙΩΝΕΚΙΝΩΝ
ΕΞΕΛΘΟΥϹΑΕΚΡΑΞ
ΛΕΓΟΥϹΑΕΛΕΗϹΟΝ
ΜΕΚΕΥΙϹΔΑΔΗΘΥ
ΓΑΤΗΡΜΟΥΚΑΚΩϹ
ΔΑΙΜΟΝΙΖΕΤΑΙ

(٢) قطعة من انجيل متى من النسخة المعروفة بـ كودكس سينياتيكوس باللغة اليونانية ، وهى محفوظة بالمتحف البريطانى .

(٣)

(٣) قطعــة من مخطوطــة : كودكس إسكنـدريانوس من سفر أعمال الحوراىين ، فى المتحف البريطانى . باللغة اليونانية .

(٤)

(٤) قطعة من نسخة : كودكس بالمبستوس سيناتيكوس باللغة السريانية القديمة ، وتضم نصـا من انجيل لوقـا . وهى محفـوظة بمكتبة الكونجرس الأمريكى .

المبحث الثالث

النَّقْدُ العِلْميّ لِسَنَدِ التَّوْرَاةِ . . وَبَقِيَّةِ أَسْفَارِ الْعَهْدِ القَدِيم

السؤال الذى يطرحه هذا المبحث هو :

هل هذه الأسفار الخمسة ـ المسماة التوراة ، والتى يؤمن بها اليهود والنصارى معاً ، وينسبونها إلى موسى عليه السلام ـ هى التى أنزلها الله تعالى على موسى ؟ !

ويمكننا أن نحرر غرضنا فى هذا المبحث على النحو التالى ، وهو أنه : لابد لكون هذا الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام قاطع أن هذا الكتاب وضعه أو أملاه موسى عليه السلام ، ثم وصل إلينا ـ بعد ذلك ـ بالسند المتصل ، بلا تغيير ولا تبديل .

ومعنى ذلك أن الإقرار بأن كتاباً ما من الكتب قد كتب بوحىٍ سماوى ، ومن ثم أصبح واجب التسليم عند الناس يتوقف على أمرين مهمين ، هما :

١ ـ أن يثبت ثبوتاً قطعياً أن نبياً من الأنبياء قد كتبه أو أملاه بناءً على وحى إلهى .

٢ ـ أن يكون الكتاب قد وصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل المتواتر الذى تتلقاه الكافّة من الناس عن مثلها ، بلا تغيير ولا تبديل .

ولابد أن يعتمد كل هذا على اليقين ، ومجرد الوهم أو الظن أو التخمين ، ومجرد ادعاء فرقة من الفرق ـ دونما برهان ـ أن هذا الكتاب من وضع فلان النبى فغير كاف [1] ؛ بل غير جدير بالالتفات إليه .

ألا ترى أن هنالك كتباً كثيرة جداً قد ادعت فرق دينية مختلفة أنها وضعت بواسطة الأنبياء ، ومن ثم نسبوها إليهم ، ثم جاءت فرق أخرى وادعت أن هذه الكتب مكذوبة موضوعة منحولة ؛ فالفيصل إذا هو البرهان القاطع والدليل التام .

---

(١) قارن : إظهار الحق حـ ١ صـ ١٠١

ومن الكتب التى نسبت إلى موسى عليه السلام وإلى غيره من أنبياء بنى إسرائيل قبـل عيسى عليه السـلام زوراً أو بلا برهـان قاطـع : سفـر المشاهدات ، والسفر الصغير للتكوين وكتاب المعراج وكتاب الأسرار والسفر الـرابـع لعـزرا المنسوب إلى عزرا ، وكتابا معراج أشعيا ومشاهدات أشعيا المنسـوبـان إلى أشعيا ، وعـدة أقـوال منسوبة إلى حبقوق ، وعدة زبورات منسوبة إلى سليمان عليه السلام . . . الخ .

وهذا ثبت كامل أوردته موسوعة اكسيهومو بالكتب التى ذكر القدماء من علماء النصارى أنها نسبت إلى عيسى عليه السلام ، ومريم ، والحواريين ، والتابعين زوراً ، منها سبعة أسفار منسوبة إلى عيسى عليه السلام ، هى :

- رسالة إلى إيكرس ملك أديسه ، - رسالته إلى بطرس وبولس ، - كتاب التمثيلات والـوعظ ، - كتـاب الشعبذات والسحر ، - كتاب مسقط رأس المسيح ، - رسـالتـه التى سقـطت من السـماء ، - زبوره الذى كان يعلمه الحواريين والمريدين خفية

ومنها ثمانية كتب نسبت إلى مريم عليها السلام ، هى :

- رسـالتها إلى أكناشس ، - رسالتها إلى سى سيليان ، - كتاب مسقط رأس مريم ، - كتـاب مريم وظئـر هـا ، - تاريخ مريم وحديثها ، كتاب معجزات المسيح ، - كتاب السؤالات الصغار والكبار لمريم ، - كتاب نسل مريم والخاتم السليمانى .

ومنها أحد عشرر كتابا منسوبة إلى بطرس الحوارى ، هى :

- إنجيل بطرس ، - أعمال بطرس ، - مشاهدات بطرس ، - مشاهدات بطرس الثانية ،

- رسـالتـه إلى كليمنس ، - مبـاحثة بطرس ، - تعليم بطرس ، - وعظ بطرس ، - آداب بطرس وصلاته ، - كتاب مسافرة بطرس ، - كتاب قياس بطرس .

ومنها تسعة كتب منسوبة إلى يوحنا ، هى :

- أعمال يوحنا ، - الإنجيل الثاني ليوحنا ، - كتاب مسافرة يوحنا ، - حديث يوحنا ، - رسالته إلى حيدروبك ، - كتاب وفاة مريم ، - تذكرة المسيح ونزوله من الصليب ، - المشاهدات الثانية ليوحنا ، - آداب صلاة يوحنا .

ومنها كتابان منسوبان إلى أندريا الحوارى ، هما :

- إنجيل أندريا ، - وأعمال أندريا .

وكتابان منسوبان إلى متى الحوارى ، هما :

إنجيل الطفولة ، - وآداب صلاة متى .

وكتابان منسوبان إلى فيليب الحوارى ، هما :

- إنجيل فيليب ، - وأعمال فيليب .

وكتاب واحد منسوب إلى برتولما الحوارى ، هو : إنجيل برتولما .

وخمسة كتب منسوبة إلى توما الحوارى ، هى

- إنجيل توما ، - أعمال توما ، - إنجيل طفولة المسيح ، - مشاهدات توما ، - كتاب مسافرة توما .

ومنها ثلاثة كتب منسوبة إلى يعقوب الحوارى ، هى :

- إنجيل يعقوب ، - آداب صلاة يعقوب ، - كتاب وفاة مريم .

ومنها ثلاثة كتب منسوبة إلى متياه الذى دخل فى الحواريين بعد عروج المسيح ، هى :

- إنجيل متياه ، - حديثا متياه ، - أعمال متياه .

وثلاثة كتب منوسبة إلى مرقس ، هى :

- إنجيل المصريين ، - آداب صلاة مرقس ، - كتاب بى شن برنيار .

وكتابان منسوبان إلى برنابا ، هما :

إنجيل برنابا ، - رسالة برنابا .

وكتاب واحد منسوب إلى تهيودوشن ، هو : إنجيل تهيودوشن .

ومنها عشرة كتب منسوبة إلى بولس ، هى :

- أعمال بولس ، - أعمال تهكله ، - رسالته الى لادوقيين ، - رسالته الثالثة إلى أهل تسالونيكى

- رسالته الثالثة إلى أهل كورنثوس ، - رسالة أهل كورنثوس إليه وجوابها من جانبه .

- رسالته إلى سنيكا - مشاهدات بولس - المشاهدات الثانية لبولس - وزن بولس ، - أنابي كشن بولس ، - إنجيل بولس ، - وعظ بولس - كتاب رقية الحية - برى سبت بطرس وبولس [٢] .

نسبت فرق مختلفة من النصارى هذه الكتب إلى هؤلاء المذكورين آسفاً ، والنصارى اليوم مجمعون على أن هذه الكتب مصنوعة مكذوبة ، يتفق على ذلك : الكاثوليك والأورثوذكس ، والكنائس الشرقية ، والبروتستانت . . . فإدعاء فرقة من الفرق أن نسبة كتاب ما إلى الوحى لا تقبل البتة مالم تثبت تلك الفرقة هذه النسبة بالبرهان ، وتصلنا بالسند المتصل دون تغيير أو تبديل فى النص .

ولعل القارىء يذكر ما سقناه فى المبحث الأول من أن أسفار باروخ وطوبيا ويهوديت والحكمة . . . ، وغيرها ، كانت مسلمة عند أكثر فرق النصارى على أنها وحى سماوى ، إلى أن ظهرت فرقة البروتستانت فردّت تسليم هذه الكتب ، اعتبرتها موضوعة مكذوبة ، وخطأت أسلافها فى إيمانهم بها ، وتسليمها كتباً سماوية .

---

(٢) كتاب اكسيهومو المطبوع فى لندن سنة ١٨٣١ م ، نقلا عن حـ ١ صـ ٤٣٦ - ٤٣٨ من إظهار الحق .

حيث جاء فيه : « هذا فهرست الكتب التى ذكر المشائخ من قدماء المسيحيين أنها نسبت الى المسيح عليه السلام ، أو الحواريين . أو المريدين الآخرين للمسيح » .

وبنـاءً على ذلك فأمر نسبة كتابٍ ما إلى الوحى واتصال سنده بنبى من الأنبياء ، لابد أن يبرهن عليه بالدليلِ اليقيني القطعى ، ولا يلتفت فى ذلك إلى إدعاء فرقة ما مهما بلغ عدد أتباعها ، كما لا يلتفت فيه إلى التخمين والظن .

وإنطلاقاً منْ ذلك أيضا فإنّنا ندرس سند هذه الأسفار الخمسة التى ينسبها اليهود والنصارى إلى موسى عليه السلام ، ويجدر بنا أن ندرس هذه القضية ـ أولاً ـ عنـد بعض العلماء الغربيين اللاهوتين يهوداً ونصارى [٣] ، ثم نقصد علماء مقارنة الأديان المسلمين لندرسها عندهم .

---

(٣) درس موضوع صحة نص العهد القديم ، ومدى جواز نسبته إلى موسى ، علماء يهود ونصارى كثيرون ، وقد شك كل من الحبر الغرناطي إبراهيم بن عزرا وابن جرشون فى صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ، وفى صحة نسبة سفر يشوع إلى يشوع .

ـ وفى القـرن الخـامس عشر كشف الأسقف الأسباني توستاتوس Tostatus بعض النصوص الموضوعة فى العهد القديم . كما أعلن بودنشتين Podnestein سنة ١٥٢٠ م أن مؤلف الأسفار الخمسة مجهول .

ـ وفى القرن السابع عشر اعتقد بعض علماء الجزويت مثل بريرا Perreira فى وجود بعض النصوص الموضوعة فى العهد القديم والأسفار الخمسة خصوصا .

أمّا النقد التاريخى للكتاب المقدس فلم ينشأ إلا فى القرن السابع عشر على أيدى كل من ريتشارد سيمون R. Simon وجان أستروك J.Austruc ، وباروخ سبينوزا Spinoza . . . وكـانت أعمال ريتشارد سيمون مبادرة كبرى وفاتحة طيبة للنقد العلمى الحديث للكتاب المقدس ، وهى الأعمال هى :

ـ « التاريخ النقدى لنصوص العهد القديم » شك فيه فى نسبة التوراة إلى موسى .

ـ « التاريخ النقدى لنصوص العهد الجديد » ، « التاريخ النقدى لترجمات العهد الجديد » ،

ـ « التاريخ النقدى لشروح العهد الجديد » .

، ثم وضـع إيكهـارن Eicharane سنة ١٧٨١ م نظرية البحث عن مصادر الكتاب المقـدس ، وقـد اقـترح كل من جديس Geddes سنـة ١٧٨٢ م وفـاتـر Vater سنـة =

رأى سبينوزا فى سند العهد القديم :

إن أكبر دارس ناقد للتوراة من علماء اليهود - فيما أعلم - هو الفيلسوف باروخ سبينوزا Spinoza ١٦٣٢ - ١٦٧٧ م .

والنقاط الرئيسية التى طرحها تتلخص فى :

هل نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى صحيحة ؟ ، أو بعبارة أخرى هل كتب موسى هذه الأسفار الخمسة المنسوبة إليه ؟ كما بحث فى عدم صحة محتوى أسفار العهد القديم ، وهل لهذه الأسفار - بما فيها التوراة - مؤلفون كثيرون ، أو مؤلف واحد ؟ كما بحث فى الأسس والمبادىء التى تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس ، والصعوبات التى تواجه الباحث فيه .

يرى سبينوزا أن أهم الأسس التى تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس ، هى المعرفة التاريخية والنقدية للكتاب المقدس ، وبيّن أن القدماء من علماء اليهود والنصارى قد أهملوا هذه المعرفة بالرغم من ضرورتها . وبالرغم من أنهم قد دوّنـوهـا ، فقد فقدت ، وبالتالى ضاع متاكليةً جزء كبير من هذه الأسس والمبادىء المنهجية البالغة الأهمية . . . « ولقد كان بالإمكان تحمل ذلـك لو ظل الخلف - فيما بعـد - ملتـزماً حد الاعتدال ، ونقل بأمانة إلى المتـأخـرين ، القليل - الـذى وجـده دون أن يدخل عليه بدعوى اختلقها هو ! . فقد كانت خيانته سبباً فى أن أصبحت المعلومات التاريخية عن الكتاب

= ١٨٠٢ م ، وفيتة Wette سنة ١٨٠٥ م مصادر له ، بينما وضع فلهاوزن نظرية المصادر الأربعة للكتاب المقدس ،

- وشك فوليتر فى القرن الثامن عشر فى أسفار نشيد الأنشاد والجامعة .

، ونشطت الدراسات النقدية على أيدى النقاد البروتستانت الذين تأثروا بمدرسة هيجل التى روج لها إرنست رينان ، وأهم كتاب نقدى ظهر فى مطلع هذا القرن هو « جوهر المسيحية » لهرناك وقد أثار جدلاً واسعاً ، انظر :

J.Steinmann : La Critique de Vant La Bible, Paris, 1956

نقلا عن ترجمة الدكتور حسن حنفى لرسالة سبينوزا فى اللاهوت والسياسة ، ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤٤

ناقصة ، بل وكاذبة ، أى أنَّ الأسس التى تقوم عليها معرفة الكتاب ليست غير كافية فقط من حيث الكم ؛ بحيث لا نستطيع أن نقيم عليها شيئاً كاملاً ؛ بل إنها - أيضا - معيبة من حيث الكيف (٤) » .

وندرك خطورة هذه الصعوبة المنهجية فى طريق معرفة الكتاب المقدس حين نقرأ شرح سبنيوزا لتفاصيلها وما يقصده بها على وجه أكثر تفصيلاً ودقة ؛ يقول : « يجب أن يربط هذا الفحص التاريخى كتب الأنبياء بجميع الملابسات الخاصة التى حفظتها لنا الذاكرة ، أعنى : **سيرة مؤلف كل كتاب ، وأخلاقه ، والغاية التى كان يرمى إليها ، ومَنْ هو ؟ وفى أى مناسبة كتب كتابه ؟ وفى أى وقت ؟ ولمن ؟ وبأية لغةٍ كتبه ؟**

كما يجب أن يقدم هذا الفحص الظروف الخاصة بكل كتاب على حدة : كيف جمع أولاً ؟ وما الأيدى التى تناولته ؟ وكم نسخة مختلفة معروفة عن النّص ؟ ومن الذين قرروا إدراجه فى الكتاب المقدس ؟ . . . وأخيراً : كيف جمعت جميع الكتب المقنّنة (٥) فى مجموعة واحدة ؟

أقول : إن الفحص التاريخى يجب أن يتضمن كل هذا . . فمن الواجب أن نعرف سيرة المؤلفين ، وأخلاقهم ، والهدف الذى كانوا يرمون إليه . . . هذا بالإضافة إلى أننا نستطيع أن نفسر - بسهولةٍ أكثر - أقوال إنسانٍ ما ، إذا إزدادت معرفتنا بعبقريته الخاصة ، وطبيعة تكوينه الذهنى . . . ولكى نعلم أيضاً إن كانت هناك يدُ آثمة قامت بتحريف النصّ ، - أو فى حالة كونه غير

---

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة : صـ ٢٦٥ من الترجمة التى قام بها الدكتور حسن حنفى .

(٥) المقننة من الفعل (قنن) أى الكتب التى أصبحت قانونية معترفاً بها من الجهات الرسمية اليهودية والنصرانية . . . لأن هذه الجهات قد أقرت مجموعة كتب معينة وجعلتها قانونية وردت ما سواها واعتبرته Apocryphe أى مكذوباً أو منحولاً وموضوعاً أو خفياً .

محرّف ـ إن كانت قد تسربت إليه بعض الأخطاء !! . . . يجب أن نعلم كل هذا حتى لا نسير كالعميان فيسهل وقوعنا فى الخطأ ، وحتى لا نسلم إلا بما كان يقيناً ، لا يتطرق إليه الشك [٦] »

هذه هى الظروف والملابسات ، أو المعرفة التاريخية ، التى يجب أن نعرفها عن هذه الأسفار ، وعمن نسبت إليهم ، فهل توفرت لنا ؟ يجيب هو على هذا السؤال بقوله : « . . . المعرفة التاريخية للظروف الخاصة بكل أسفار الكتاب ، لا تتوفر لدينا فى معظم الأحيان ، **والواقع أننا نجهل الأشخاص الذين كتبوها** . . ، **أو نشك فيهم !!** ، كما سأبين بالتفصيل فيما بعد . ومن ناحية أخرى : **لا ندرى فى أية مناسبة ، وفى أى زمانٍ كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقين !! ، ولا نعلم فى أيدى من وقعت ، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التى وجدها عدد من النسخ المتباينة** ، ولا نعلم ـ أخيراً ـ إن كانت هناك صياغات أو قراءات كثيرة فى مخطوطات من مصدر آخر [٧] »

هذه المعرفة التى حرمنا منها ـ بسبب الخيانة ! ـ أمر ضرورى ومحتم لفهم هذه الأسفار ؛ ذلك أننا « عندما نقرأ كتاباً يتضمن أموراً لا يمكن تصديقها [٨] ، ولا يمكن إدراكها ، أو نعرف مؤلفه ، وزمن الكتابة ، ومناسبتها ، ولا نستطيع مطلقا أن نعرف ما قصده المؤلف ، أو ما كان يمكن أن يقصده ، دون أن نعرف هذه الظروف كلها . وعلى العكس إذا عرفنا كل هذا بدقة فإننا ننظم أفكارنا ، بحيث نتحرر من جميع الأحكام السابقة ، أى لا نعطى المؤلف أو من ألّف الكتاب من أجله ، أكثر مما يستحق ، أو أقل ،

---

(٦) الرسالة صـ ٢٤٦

(٧) الرسالة صـ ٢٥٥

(٨) مثل الذى أوردته هذه الأسفار بشأن رسل الله الكرام عليهم السلام ، أنظر البحث الخاص بمكانه الأنبياء فى التوراة ، من هذا الكتاب .

ولا نتصور أهدافاً سوى تلك التى كان من الممكن أن يضعها المؤلف نصب عينه . »[9]

وحيال هذا النقص الشديد فى هذه المعلومات الضرورية عن أسفار الكتاب وواضعيها يضرب الفيلسوف سبينوزا صفحاً عن أية معلومات خارجية موضوعة ، ويحصر نفسه فى الكتاب نفسه ، وما يمكن أن يقدم من معلومات . . . أمّا مزاعم اللاهوتيين وحذلقاتهم حول أسفار الكتاب ، فهى غير جديرة ـ عنده ـ بالقبول ، ذلك « أننا نرى معظم اللاهوتيين قد أنشغلوا بالبحث عن وسيلة لا ستخلاص بدعهم الخاصة وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة ، وتأويلها قسراً ، وتبرير هذه البدع والأحكام بالسلطة الإلهية ! ، وهم لا يكونون أقل حرصاً وأكثر جرأة فى أى موضع آخر بقدر ما يكونون فى تفسير الكتاب[10]» .

كما يدعى هؤلاء الأحبار المتحذلقون أن « الأخطاء الكثيرة الموجودة فى الكتاب المقدس أسرار إلهية أبقاها الله فى الكتاب بعناية ؛ فيؤولون النقاط والحروف والعلامات ، حتى المسافات البيضاء التى يتركها النساخ ـ بأنها اسرار ! ! . . كما يتناقشون بشأن النجوم الثمانية والعشرين الموجودة فى وسط إحدى الفقرات . . ؛ بل تبدولهم أشكال الحروف ذاتها وكأنها تحتوى على أسرار كبيرة[11] » . ويسخر الفيلسزف سبينوزا بهؤلاء الأحبار قائلاً : « ولست أدرى إن كان ذلك ناجماً عن اختلال العقل ! ، أو عن نوع من تقوى العجائز المخرّفين ! ، أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث حتى نعتقد أنهم وحدهم الأمناء على أسرار الله ؟ ! ولكنى أعلم أنى لم أجد مطلقاً أى شىء عليه سيماء السر فى كتبهم ، ولم أجد فيها إلاّ أعمالاً صبيانية !! [12] » وهؤلاء « بإمكانهم أن يختلفوا أى شىء بحسب

---

(9) الرسالة صـ ٢٥٥

(10) الرسالة صـ ٢٤١

(11) الرسالة صـ ٢٨٩ ـ ٢٩٩

(12) الرسالة صـ ٢٩٩

هواهم !! . . . وإنهم ليهذون بالكلية حول الكتاب المقدس ! [١٣] » .

وحيال هذا النقص المريع فى المعلومات التاريخية المتوفرة الى تتعلق بسند الكتاب المقدس ، ومن أجل فقدان الثقة فى الأحبار ، وما يصدر عنهم ، فإن سبينوزا لم يحفل فى دراسته للكتاب المقدس سنداً ومتناً - إلّا بما سيتنتجه مباشررة من الكتاب نفسه . . . فماذا قدم سبينوزا فى هذا الشأن ؟

إنه قد ألقى ضوءاً باهراً على الفكر النقدى الذى ساقه الحبر اليهودى إبراهيم بن عزرا مبهماً وغامضاً حول أسفار الكتاب .

ثم شرح فكره الذاتى عن الكتاب ، فعقد فى رسالته المعروفة فصلاً عنون له بالعنوان التالى : « الفصل الثامن . . وفيه تتم البرهنة على أن الأسفار الخمسة وأسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل والملوك ليست صحيحة ، ثم نبحث إنْ كان لهذه الأسفار مؤلفون كثيرون أم مؤلف واحد [١٤] »

ثم شرح سبينوزا خطوات منهجه قائلا : لكى أسير فى بحثى بطريقة منظمة سأبدأ بالأحكام المسبقة المتعلقة بمن قاموا بتدوين الأسفار الخمسة . . . لقد ظن الجميع تقريباً أنه موسى ؛ بل إن الفريسيين أيدوا هذا الرأى بإصرار شديد ، حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين .

ولهذا السبب ، فإن ابن عزرا - وهو رجل كان فكره حراً إلى حدٍ ما ، ولم يكن علمه يستهان به ، وهو أول من تنبه إلى هذا الخطأ (خطأ نسبة الأسفار الخمسة الحالية إلى موسى) - فيما أعلم ! - لم يجرؤ على الافصاح عن رأيه صراحة ، واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة . أمّا أنا ، فلن أخشى

---

(١٣) الرسالة صـ ٢٩٧

(١٤) الرسالة صـ ٢٦٥

توضيحها وإظهار ـ الحق ناصعاً [١٥] .

الفيلسوف سبينوزا بشرح الفكر النقدى للحبر ابن عزرا :

يسوق سبينوزا ـ أولاً ـ الأقوال التى صاغها ابن عزراً ـ متعمداً ـ بطريقة

---

(١٥) الرسالة صـ ٢٦٦ وابن عزرا هو الحبر المفسر اليهودى الغرناطى إبراهيم بن عزرا ، ولـد سنة ١٠٩٢ م وتوفى فى غرناطة سنة ٥٦٢ هـ ـ ١١٦٧ م . . . وهو عالم إسرائيلى معروف له وزنه العلمى وتقديره . أما قول الفيلسوف سبينوزا : إن ابن عزرا كان أول من اكتشف خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام ، فإن كان يقصـد أنـه أول عالم يهودى يكتشف ذلك أو يتحدث عنه فقد يكون كلامه صحيحاً مقبـولاً . أما إن كان يقصد أنه أول باحث يكتشف ذلك على الإطلاق ، فكلامه غير صحيح ، ولا يعتمد على أسس علمية موضوعية ؛ ذلك أن ابن عزرا هذا قد عاش فى الأندلس وتوفى بها سنة ٥٦٢هـ ، أى بعد مائة سنة من وفاة عالم الأندلس ابن حزم ، وابن حزم قد أفاض فى هذه المسألة ودرسها بتوسع وتفصيل تامين ، وما كتبه ابن حزم مسجل فى كتابه الموسوعى القيم المسمى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل » وسنتناوله بالشرح إن شاء الله .

وإنا لنقول واثقين : إن ابن عزرا ما كان له أن يذكر ما ذكره من قدح فى سند التوراة لولا اطلاعه على ما كتبه ابن حزم . . ، كما أن ابن عزرا هذا كان قنطرة ـ إلى جانب الحـبر اليهودى المغربي الفاسى سليمان بن ميلخ الذى نشر تفسيره للعهد القديم سنة ١٩٦١ هـ ـ ١٥٥٤ م فى القسطنطينية ، وغيرهما ـ انتقل بواسطتها فكر ابن حزم النقدى إلى سبينوزا نفسه . . وقد تأثر سبينوزا به تأثراً عميقاً . وعلى ذلك فإن سبينوزا ليس رائد هذا المجال ، مجال نقد الكتاب المقدس نقداً علمياً منهجياً ؛ يعتمد على دراسة النصـوص ذاتهـا ؛ لكنـه سبق بكثير من الأئمة الأعلام ، منهم ابن حزم المتوفى سنة ٤٦٥ م وإمام الحرمين الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، والإمام القرطبى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وغيرهم من علماء مقارنة الأديان المسلمين ، أو من المهتدين إلى الإسلام من علماء اليهـود والنصارى مثل : على بن ربن الطبرى (القرن الثالث الهجرى) والحسن بن أيوب (قبل القرن الرابع) والسموأل بن يحيى المغربي سنة ٥٧٠ هـ ، والحسن بن سعيد الاسكندراني ، وابن قوسين اليهودى . . إلخ .

مبهمـة غامضة جداً ، أقرب إلى أسلوب « الشفرة أو كلمة السرّ » منه إلى أسلوب البحث العلمى ؛ وذلك خوفاً من بطش الأحبار الفرسيين به ، أو ملاحقتهم له ، ثم يشرحهـا سبينـوزا شرحـاً مفصلاً ناصعا ، نستنتج منه ضرورةً خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ـ على النحو التالى :

« هذه هى أقـوال ابـن عزرا فى شرحـه على التثنية : « فيما وراء نهر الأردن . . إلخ . لو كنت تعرف سر الاثنى عشرة . . . كتب موسى شريعته أيضا . . . وكان الكنعانى على الأرض . . . سيوحى به على جبل الله . . . ها هو ذا سريره ، سرير من حديد ، حينئذ تعرف الحقيقة . . هذه كلمات ابن عزرا ، ويعلق عليها سبينوزا قائلاً :

« بهذه الكلمات القليلة يبين ويثبت ـ فى الوقت ذاته ـ أن **موسى ليس هو مؤلف الأسفـار الخمسـة ؛ بل إن مؤلفهـا شخص آخـر عاش بعده بزمن طويل ، وأن موسى كتب سفراً مختلفاً** . !! [١٦] »

هذه هى النتـائج الثلاث التى استخلصها سبينوزا من كلام ابن عزرا السـابق ؛ وهى تلخص لنا قضية سند التوراة ، من رأسها إلى إخمصها ، وتلخص رأى سبينوزا نفسه فى ذات الوقت ؛ لأنها تشتمل على :

١ ـ أن موسى ، عليه السلام ، لم يكتب هذه الأسفار التى يطلق عليها اليهود والنصارى أنها :
التوراة وينسبونها إلى موسى .

٢ ـ أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جداً .

٣ ـ أن موسى عليه السلام قد كتب سفراً مختلفاً عن هذه الأسفار الخمسة المروّجة المشهورة .

لكن كيف استنتج سبينوزا هذه النتائج البالغة الوضوح والقطع من كلام ابن عزرا البالغ الغموض والإبهام ؟

---

(١٦) الرسالة صـ ٢٦٦

لأن كلام ابن عزر كان يرمـز إلى جملة حيثيات صادقة تسلم إلى هذه النتائج ، على النحو التالى :

١ ـ إن موسى عليه السلام ، لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالى ، التى جاء فيها : « فيما وراء نهر الأردن ابتـدأ موسى بشرح هذه الشريعة قائلا »[١٧] . . . الخ ؛ بسبب واضح جداً هو أن موسى لم يعبر نهر الأردن ، ومات فى البرية كما جاء فى آخر سفر التثنية ذاته[١٨]

٢ ـ قد نُقش سفر موسى الأصلى كلّه بوضوح تام على حافة مذبح واحد[١٩] ، يتكون من اثنتى عشرة حجرة ، حسب عدد الأحبار . ومعنى ذلك : أن سفر موسى (الأصلى) كان ـ فى حجة ـ أقل بكثير من الأسفار الخمسة المتداولة . . . وهذا ما رمز إليه ابن عزرا بقوله : « سر الاثنتى عشرة » .

٣ ـ يذكر الحبر كذلك أنه قد ورد فى سفر التثنية : « وقد كتب موسى هذه التوراة[٢٠] » . . . ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك ؛ بل لابد من أن يكون قائلها كاتباً آخر يروى أقوال موسى وأعماله .

٤ ـ يذكر ابن عزرا نصاً من سفر التكوين (١٢ : ١) يقص فيه الراوى

---

(١٧) سفر التثنية ١ : ٥ « ف عبر الأردن ، فى أرض مؤاب ، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا : الرب إلهنا كلمنا فى حوريب . . »

(١٨) سفر التثنية (٣٤ : ٥ ـ ٦)

(١٩) جاء فى سفر التثنية (٢٧ : ٢ ـ ٨) : « تبنون مذبحاً للرب من الحجارة . . ، وتكتبون على الحجارة جميع كلام هذه التوراة كتابة واضحة » . وانظر سفر يشوع (٨ : ٣٢) « وكتب هناك تثنية اشتراع موسى التى كتبها بحضرة بنى إسرائيل »

(٢٠) جاء فى التثنية (٣١ : ٩ ـ ١٠) : « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها إلى الكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب . »وأمرهم موسى قائلا . . . »

(يقصد سبينوزا بالراوى : جامع الأسفار الحالية من مرويات تاريخية ومصادر مختلفة مختلطة) رحلة إبراهيم عليه السلام ، فى بلاد الكنعانيين ، ويعلق عليها الراوى (مؤلف التوراة الحالية) بقوله : « والكنعانيون حينئذ فى هذه الأرض »

وهــذا التعليق يدل بوضــوح على أن الأمــر ـ عنـدمـا كان يكتب ـ لم كذلك . . . فلابد أن هذه **الكلمات قد كتبت بعد موت موسى بزمن ليس بالقليل** ، بعد أن طرد بنو إسرائيل الكنعانيين من هذه المناطق .

ويشـير ابن عزرا إلى هذا المعنى فى شرحه لهذا النص نفسه ، فيقول : « وكـان الكنعانيون حينئذ فى هذه الأرض » قد يعنى هذا أن كنعان حفيد نوح ، استولى على هذه الأرض التى كان يحتلها من قبل شخص آخر (والأمر ليس كذلك فى واقع الأمر) . فإن لم يكن الأمر كذلك : **فهناك سرٌ على من يعـرفـه ألاّ يبـوح به !!** » . ولم يكن هنـالم شخص قبل كنعان يحتل هذه الأرض ؛ لأنه حسب ما جاء فى سفر التكوين : الإصحاح العاشر : كنعان هو أول من فلح هذه البقاع وقطنها .

فقد الراوى (مؤلف الأسفار الحالية) إذاً أن وضع هذه الأرض لم يكن كذلك وقتما كان يكتب ، وإذاً فالراوى (واضع التوراه الحالية) لم يكن موسى قطعـاً ؛ لأن الكنعـانـين ـ فى زمـان موسى ـ كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض . . . وهذا هو السرّ الذى يلوح به ابن عزرا ، وينصح بكتمانه !!!

٥ ـ ذكر الحبر أنه جاء فى سفر[٢١] : أن جبل موريا سمى جبل الله ، ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلاّ بعد الشروع فى بناء الهيكل ، وهذه التسمية متأخرة جداً عن زمان موسى عليه السلام . واضح أن الراوى هو الذى يحكى أن هذا المكان يسمى اليوم جبل الله .

---

(٢١) (٢٢ : ١٤) : « وسمى إبـراهيم ذلك الموضع يهوه يرأه ؛ حتى أنه يقال اليوم : جبل الرب يرى . »

٦ ـ وأخيراً يذكر ابن عزرا أن مؤلف سفر التثنية يدخل بعض الكلمات في الرواية الخاصة بـ (عوج : ملك باشان [٢٢]) على النحو التالي : « ولقد بقي عوج ملك باشان وحده من بين الرفائيين الآخرين ، وها هو سريره . . سرير من حديد ، هذا السرير الذي طوله تسعة أذرع الموجودة في الرباط عند بني عمون . . . إلخ [٢٣] »

هذه الإضافة تدل بوضوح تام على أن من كتب هذه الأسفار ، عاش بعد موسى ، عليه السلام ، بمدة طويلة . . . وطريقته في الحديث عن الأشياء طريقة مؤلف يروى قصصاً قديمة جداً ، ويذكر بعض الآثار التي مازالت باقية من هذا الزمن البعيد ؛ ليجعل كلامه موثوقاً به . . . وفضلاً عن ذلك ، فلا شك أنه لم يعثر على هذا السرير الحديدي إلا في عصر داود عليه السلام ، الذي استولى على الرباط المذكور ، كما ورد في سفر صموئيل الثاني : (١٢ : ٣٠) .

وليست هذه هي الإضافة الوحيدة ، إذ يضيف الراوي ـ بعد ذلك بقليل ـ إلى كلمات موسى عليه السلام ، التي يرويها ، هذا الشرح :

« وقد مدّ يائير بن منسّى حكمه على عرجوب حتى حدود الجثوريين والمعكيين ، وأطلق اسمه على هذه المناطق ، كما أطلق عليها اسم باشان ، وهناك قرى حتى الآن باسم يائير [٢٤] » أقول : ـ والكلام لسبينوزا ـ إن المؤرخ (يقصد كاتب التوراة الحالية) أضاف هذه الكلمات ليشرح بها كلمات موسى التي أوردها قبل ذلك بقليل .

« وقد أعطيت ما بقي من لعاد وكل مملكة باشان التي كان يملكها عوج إلى نصف قبيلة منسّى ، وسيمتد حكم عرجوب على باشان كلها التي كانت تسمى بأرض العمالقة »

---

(٢٢) أحد الملوك الذين حاربهم الإسرائيليون وأخذوا أرضهم .

(٢٣) انظر : سفر التثنية ٣ : ١١

(٢٤) ، (٤) سفر التثنية ٣ : ١٣ : ١٤

ولا شك أن العبرانيين المعاصرين لهذا الكاتب كانوا يعرفون بلاد يائير التى تنتمى إلى قبيلة يهوذا ، ولكنهم لا يعلمون أنها تحت حكم عرجوب ، وأنها أرض العمالقة ؛ لذلك اضطر إلى أن يشرح ما هى هذه البلاد التى كان يطلق عليها قديماً هذا الاسم ، وأن يخبرنا ـ فى الوقت نفسه ـ لم سماها سكانها فى هذا الوقت باسم يائير ، مع أنهم يتتمون إلى قبيلة يهوذا وليس إلى قبيلة منسى (٢٥) .

بهذا الفكر الواضح الواثق شرح سبينوزا ألغاز وأحاجي ابن عزرا التى قدمهـا على أنها حيثيات دالـة على خطأ نسبـة الأسفـار الخمسـة الحـالية (التكـوين ، والخـروج ، والأحبار ، والعدد والتثنية) المسماة بالتوراة ـ إلى موسى عليه السلام ، وعلى أنها ـ أى هذه الأسفار ـ روايات تاريخية جمعها مؤلف أو أكثر من مأثورات أو محفوظات أو تواريخ موضوعة لا نعرف عنها شيئاً ، ثم نسبها الأحبار الفريسّيون إلى موسى زوراً وإفتراءً .

ويحسن بنا أن نوجز للقارىء الكريم هذه الحيثيات فى نقاط ، على النحو التالى :

١ ـ أشـارت الأسفـار الخمسـة إلى وقائع لم تحدث إلا بعد موسى عليه السلام يقيناً ، وجعلته شريكاً فى صنعها .

٢ ـ أنّ توراة موسى الحقيقية كانت ـ بنص الأسفار الحالية ـ أصغر ـ فى الحجم ـ بكثير من هذه الأسفار الخمسة المعروفة .

٣ ـ أسلوب صياغة هذه الأسفار الحالية يجزم بأن موسى ، عليه السلام ، لم يكن واضعها ؛ وذلك من طريقة إسناد الضمائر ، أو التعليق على نصّ الرواية وشرحها . . . إلخ .

(٤) تشير هذه الأسفار إلى أسماء أماكن لم تعرف بهذه الأسماء إلاّ بعد

---

(٢٥) رسالة سبينوزا فى اللاهوت والسياسة صـ ٢٦٦ ـ ٢٦٨

موت موسى عليه السلام بزمن طويل ؛ ولم يكن ذلك على سبيل التنبؤ الإعجازى من موسى ، ولكن كان على سبيل القصّ الروائي .

سبينوزا يفحص سند الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى على أنها التوراة :

تمثل جهد سبينوزا نفسه ـ إلى جانب شرحه التحليلى لفكر ابن عزرا ـ فى إضافة حيثيات أخرى فاتت الحبر ابن عزرا ، ثم تعميق بعض أفكاره بأمثلة أخرى لم يتطرق لها ، ومشروحات أخرى . واين كان المفسرّ اليهودى ابن عزرا قد وقف عند الأسفار الخمسة فى نقده ، فإن الفيلسوف اليهودى سبينوزا ، قد طبّق منهجه النقدى الرصين على أهم أسفار العهد القديم الأخرى ، ثم أعلن النتيجة التى انتهى إليها فى لغة واثقة قاطعة ، فقال :

« من هذه الملاحظات كلها **يظهر واضحاً وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ؛ بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة !!** [٢٦] »

علينا إذاً أن نتتبعه فى ملاحظات تلك التى أوصلته إلى هذه النتيجة الحاسمة ، فنراه أولاً ينقد سلفه ابن عزرا ، لأنه « قد فاته أن يذكر أهم الأمور ؛ إذ يمكن ابداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على هذه الأسفار » . . . . ثم يقدم أربع ملاحظات جديرة بالتأمل ، هى :

١ ـ لا تتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب ، **وإنما تعطى عنه شهادات عديدة ، لا يصح البتة أن يكون هو الذى أعطاها عن نفسه ؛ ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها . . . وهذه الشهادات مثل :**

« تحدّث الله مع موسى »

« وكان الله مع موسى وجهاً لوجه »

« وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس [٢٧] »

---

(٢٦) الرسالة صـ ٢٧١

(٢٧) سفر العدد ٢٥ : ٣

« فسخط موسى على وكلاء الجيش [٢٨] » .

« موسى رجل الله [٢٩] »

« لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعده بنى إسرائيل كموسى [٣٠] »

وعلى العكس من ذلك ، فإن موسى يتحدث ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى سفر التثنية التى التى كتبت فيها الشريعة ، التى شرحها موسى للشعب ، والتى كتبها بنفسه ، فيقول مثلا :

« كلّمنى الرب »

« رجوت الرب » . . . إلخ [٣١]

إلاّ فى آخر السفر ، حيث يستمر المؤلف بعد أن نقل أقوال موسى - يحكى فى روايته كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة ، التى شرحها موسى كتابةً ، ثم أعطاهم تحذيراً أخيراً ، وبعد ذلك انتهت حياته .

« كل ذلك ، أعنى : **طريقة الكلام ، والشواهد ، ومجموع نصوص القصة كلها تدعو إلى الإعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر** [٣٢] » .

---

(٢٨) سفر العدد ٣١ : ١٤

(٢٩) سفر التثنية ١٣ : ١

(٣٠) يرى سبينوزا أن سفر التثنية الحالى هو السفر الوحيد الذى يمكن نسبة محتواه إلى موسى ؛ لأنه قد احتوى على الشريعة التى شرحها موسى لبنى إسرائيل . ومن جانبنا نقول : إن هذا السفر قد احتوى على وصايا خلقية ، وآداب شرعية لاريب أن فيها بقية وحى وأثارة نبوة ؛ لأنها من معدن التعاليم والآداب التى يدعو الأنبياء إليها ، ولا بأس برأى سبينوزا هذا ؛ لأن مثل هذه التعاليم قد حث عليها القرآن الحكيم والسنة المطهرة ، ومن ثم فهى صادقة فى - سفر التثنية - فى جزء كبير من مضمونها ومحتواها .

(٣١) التثنية ٢ : ١ / ١٧

(٣٢) الرسالة صـ ٢٦٩

٢ ـ يجب أن نذكر أيضا أن هذه الرواية ـ الواردة فى الأسفار الحالية ـ لا تقص فقط موت موسى . ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين عليه ؛ بل تروى ـ أيضا ـ أنه فاق جميع الأنبياء ، إذا ما قورن بالأنبياء الذين جاؤا بعده :

« ولم يقم من بعده نبى فى إسرائيل كموسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه (٣٣) »

هذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلى بها موسى نفسه ، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ؛ بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة ، وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى . . . ولا سيما أن المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبرّة :

« ولم يقم من بعد نبى فى إسرائيل » .

ويقول عن القبر :

« ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا » .

٣ ـ يجب أن نذكر ـ أيضا ـ والكلام للفيلسوف سبينوزا ـ أن بعض الأماكن ، لم تطلق عليها الأسماء التى عرفت بها ، فى زمن موسى ؛ بل أطلق عليها أسماء عرفت بها بعده بوقت طويل ؛ إذ يقال ـ فى التوراة ـ إن إبراهيم تابع أعداءه حتى (دان)(٣٤) ، وهو اسم لم تأخذه المدينة ـ التى تحمله ـ إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة (ويشوع هو فتى موسى عليه السلام وخليفته) جاء فى سفر القضاة :

« سموا المدينة (دان) ، باسم أبيهم الذى ولد لإسرائيل ، وكان اسم المدينة قبل ذلك : لا ييش (٣٥) » فكيف يذكر موسى ـ وهو يقص قصة إبراهيم عليه السلام : أنه جد فى طلب أعدائه إلى مدينة دان ، وهى لم يطلق عليها هذا الاسم إلا بعده بزمن طويل جداً . ؟ !!

---

(٣٣) التثنية ٣٤ : ١

(٣٤) سفر التكوين ١٤ : ١٤

(٣٥) سفر القضاة ١٨ : ٢٩

٤ ـ تمتد روايات التوراة ـ فى بعض الأحيان ـ إلى ما بعد موسى . . فيروى سفر الخروج : أن بنى إسرائيل أكلوا المنّ أربعين سنة حتى وصلوا إلى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان (٣٦) ، أى حتى اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع (٣٧) .

ويتحدث سفر التكوين عن ملوك حكموا الأدوميين زمن داود ـ بعد موسى بزمان طويل جداً ـ « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل أن يملك ملك فى بنى إسرائيل (٣٨) »

هذه هى الملاحظات أو البراهين التى أوردها باروخ سبينوزا ، وهى تضاف إلى ما أورده ابن عزرا ، وبناءً عليها يقرر سبينوزا :
« من هذه الملاحظات كلها ، يظهر واضحاً وضوح النهار ، أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص آخر ، عاش بعد موسى بقرونٍ عديدة ! ! (٣٩) »

أين توراة موسى ؟ !

يبحث سبينوزا بحثاً دقيقاً عن السفر الحقيقى الذى كتبه موسى عليه السلام ، والعلاقة بينه وبين هذه الأسفار الخمسة التى لم يكتبها موسى قط ، وإن كان الأحبار الفريسيون يصرون على نسبتها إليه كذباً وزوراً .

---

(٣٦) سفر الخروج ١٦ : ٣٥ « وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة إلى أن ذهبوا إلى أرض عامرة ، أكلوا المنّ إلى حين وافوا أرض كنعان »

(٣٧) يشوع : ٥ : ١٢ « فانقطع المن من الغد منذ أكلوا من غلة الأرض . . »

(٣٨) التكوين ٢٦ : ٣١

(٣٩) الرسالة صـ ٢٧١ وينبغى علينا أن نذكر القارىء الكريم بأن سبينوزا لم يبن أحكامه هذه على استناجات العقل من مصادر خارج نصوص التوراة ذاتها أو على الأحكام السابقة عنها ، وإنما بنى أحكامه على ملاحظاته المرتكزة على قراءة هذه الأسفار ، وفحصها فحصاً دقيقاً . أى أن نص هذه الأسفار ـ بما احتوى عليه ـ يتضمن هذه النتيجة الحاسمة التى قطع بها سبينوزا ، ومن قبله الحبر اليهودى ابن عزرا

يرى سبينوزا ، طبقا لإشارات الأسفار الحالية ، أن موسى كتب بنفسه ـ بأمر الرب ـ سفراً يسمى : « سفر حروب الرب » ، يحتوى على قصة الحرب ضد العماليق (٤٠) .

وهناك إشارة إلى سفر آخر يسمى : (سفر العهد) ، قرأه موسى أمام الإسرائيليين (٤١) عندما عقدوا عهداً مع الرب ، ويرجح سبينوزا أن مضمون هذا السفر مُتضمَّن فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج الحالى (٤٢) .

وهنالك ذكر لسفر يسمى : « توراة الرب » أو « توراة الله » . . . ثم شرح موسى الشرائع التى سنها ، وأخذ من الشعب ميثاقاً جديداً بأن يظلوا خاضعين للشريعة ، ثم كتب ذلك كله فى سفر توراة الله (٤٣) .

ثم قطع يشوع عهداً مع بنى إسرائيل بعد موت موسى ، وكتبه فى سفر « توراة الرب » . أين سفر (توراة الله) أو (توراة الرب) ؟
يجيب سبينوزا :
« لما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى على عهد موسى وفى نفس الوقت على ، عهد يشوع ، فيجب أن نعترف ضروة بأن هذا السفر قد فقد . !! » . .
و« نستنتج إذا أن سفر توراة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية ؛ بل كان سفراً مختلفاً كلية (٤٤) »

---

(٤٠) جاء فى سفر الخروج ١٧ : ١٤ « وقال الرب لموسى : اكتب هذا ذكراً فى الكتاب . . إلخ » وجاء فى سفر العدد ٢١ : ١٤ « ولذلك يقال فى كتاب حروب الرب . . »
(٤١) يشعر هذا بأن ذلك السفر كان وجيزاً جداً فأمكن له قراءته أمام الشعب فى موقف واحد ، وكلمة سفر تطلق على الرسالة أو الورقة أو الكتاب .
(٤٢) ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٤
(٤٣) جاء فى سفر التثنية ٣١ : ٩ « كتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الكهنة بنى لاوى حاملى . . »
(٤٤) الرسالة صـ ٢٧٢

ويرى سبينوزا ـ بناءً على ما جاء فى الأسفار الحالية ـ أن سفر توراة الله ، الذى كتبه موسى كان صغيراً جداً ؛ لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطان الأحبار ، ثم طلب قراءته أمام الشعب فى وقات معلومة ، وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة ؛ إذ كان من الممكن قراءته كله فى مجمع عام بحيث يفهمه الجميع[٤٥] . معنى ذلك : **أن التوراة الأصلية ، ليست هى هذه الأسفار الحالية** .

ثم يذكرنا سبينوزا ، ويعيد علينا ، نتيجة فحصه لسند التوراة قائلا :

« وأخيراً ، لما كانت توجد نصوص كثيرة فى الأسفار الخمسة أن يكون موسى كاتبها ، فإنّ أحداً لا يستطيع ن يؤكد ، عن حق ، **أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة** ؛ بل على العكس ، **يكذّب العقل هذه النسبة**[٤٦] »

سبينُوزا ينقد سَنَدَ بَقِيَّة أَسْفَارِ العَهْد القَدِيم :

بحث الرجل فى الجزء السابق سند الأسفار الخمسة ، ويفحص فى هذا الجزء بعض أسفار العهد القديم الأخرى ، وهل نسبتها إلى من نسبت إليهم صحيحة لها ما يؤيدها ، أو أنها نسبت إليهم نسبة باطلة لا تستند إلى برهان . ويرتكز الرجل ـ فى فحصه ـ على معطيات هذه الأسفار ذاتها ، دونما تعديل على الأحكام الشائعة الموروثة ، أو على افتراضات العقل البعيدة عن واقع النص ومعطياته ، وهو ـ فى رأينا ـ منهج سديد ، رشيد فى نقد النصوص .

سفر يشوع :

بدأ بسفر يشوع ؛ لأن أهم أسفار العهد القديم بعد الأسفار الخمسة ، وقال : « سنبرهن ـ لأسباب مماثلة ـ أن سفر يشوع ليس من وضع يشوع[٤٧] » ، وتتلخص هذه الأسباب فى : أن شخصاً يشهد ليشوع ـ فى

---

(٤٥) الرسالة صـ ٢٧٣

(٤٦) الرسالة صـ ٢٧٣

(٤٧) الرسالة صـ ٢٧٤

السفر المنسوب إليه ـ بأن شهرته قد طبقت آفاق الأرض . . . فقد ورد فى السفر المذكور : « وكان الرب مع يشوع وذاع خبره فى كل الأرض[٤٨] »

كما شهد له بأنه لم يغفل شيئاً مما أوْصى به موسى : « لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يناد بها يشوع بحضرة جماعة إسرائيل . . . [٤٩] »

وبأنّه عندما تقدم به السن دعا الجميع كلى المجمع ، ثم قضى نحبه : « وجمع يشوع أسباط إسرائيل . . وقال يشوع لجميع هذا الشعب . . . فقال الشعب ليشوع . . . وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر شريعة الرب . . . وكان بعد هذا الكلام أن مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائه وعشر سنين ، فدفنوه فى تخم ملكه[٥٠] »

وعلاوة على ذلك ، فإن الرواية تمتد إلى الوقائع التى حدثت بعد موته ، فيذكر مؤلف سفر يشوع مؤكداً : أن الإسرائيليين كانوا يعظمونه بعد موته ما عاش المسنون الذين عرفوا يشوع .

ويذكر السفر : أن أفرائيم ومنسى لم يطردا الكنعانيين المقيمين بجازر . . . فأقام الكنعانيون بين أفرائيم إلى هذا اليوم ، وكانوا عبيداً يؤدون الجزية : « فلم يطردوا الكنعانيين . . فسكن الكنعانيون فى وسط أفرائيم إلى هذا اليوم[٥١] » . . والغريب المدهش أن هذه القصة المروية فى سفر يشوع ، قد رويت بنصها فى سفر القضاة[٥٢] .

ويعلّق الفيلسوف سبينوزا على ذلك بقوله :

« وتدل هذه الطريقة فى الحديث باستعمال كلى يومنا هذا ، على أن من

---

(٤٨) سفر يشوع ٦ : ٢٧

(٤٩) ٨ : ٣٥ يشوع

(٥٠) سفر يشوع : ٢٤ : ١ ـ ٣٠

(٥١) سفر يشوع ١٦ : ١٠

(٥٢) القضاة ١ : ٢٨ ـ ٣٠

يكتب ذلك يتحدث عن شيء قديم للغاية (٥٣) » . وهنالك أمثلة أخرى على هذه الملاحظة المهمة وردت فى نـص السفر (٥٤) .

وأخيرا ، يظهر بوضوح من رواية السفر : « ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده ، سمع فيه الرب صوت إنسان . . . إلخ (٥٥) » **أن هذا السفر كتب بعد يشوع بقرون عديدة** (٥٥) .

ويجزم سبينوزا بأن يشوع إذا كان قد كتب سفرا ، فهو سفر مفقود أشير إليه فى سفر يشوع ذاته باسم : « سفر المستقيم (٥٦) » ، ولا نعرف عنه شيئاً سوى تلك الإشارة .

فنسبـة سفـر يشـوع بن نون فتى موسى وخليفتـه ـ فى تحليل سبينـوزا واستنتاجه ـ باطلة ، ومن ثم فهو ـ مثل الأسفار الخمسة ـ مجهول المؤلف ، وهذا قدح فى سلطته الدينية ؛ بل إلغاء لها .

سفر القضاة :

وإن سفـر القضاة ليس أفضل سنداً من سابقه ـ فى رأى سبينوزا ـ فهو لا يظن « أن شخصاً سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه ؛ لأن نهاية الرواية تكشف ـ بوضوح ـ أن مؤرخاً واحداً هو الذى كتبه كله ، من أوله إلى آخره ؛ إذ جاء فيه :

« وفى تلك الأيام لم يكن لبنى إسرائيل ملك ، وكـان كل إنسان منهم يعمل ما حَسُنَ فى عينيه (٥٧) » ومن جهة أخرى ، فلما كان مؤلفه يكرر دائما أنه لم يكن هناك فى عصره أى ملك لإسرائيل ، فلا شك أنه لم يكتب إلاّ بعد

---

(٥٣) الرسالة صـ ٢٧٥

(٥٤) سفر يشوع ١٥ : ٦٣ ، ١٥ : ٤ ـ ١٩ ، ٢٢ : ١٠

(٥٥) يشوع ١٠ : ١٤

(٥٦) الرسالة صـ ٢٧٥

(٥٦) سفر يشوع ١٠ : ١٣

(٥٧) القضاة ٢١ : ٣٥

أن كان لبنى إسرائيل ملوك [٥٨] .

سفر صموئيل :

وأسفار صموئيل كذلك ، قد كتبت بعد صموئيل ، بعدة قرون ؛ لأن القصة تستمر بعد وفاته بوقت طويل . ثم يعرض سبينوزا لأسفار أخرى بنفس المنهج ، وينتهى - بعد فحص سندها - إلى هذه النتيجة :

« وبذلك تنتهى إلى أن كل الأسفار التى عرضنا لها - حتى الآن - قد كتبها مؤلفون آخرون ، غير الذين تحمل هذه الأسفار أسماءهم [٥٩] » أو تنسب إليهم .

هل وضع هذه الأسفار مؤلف واحد أو أكثر ؟ !

بعد أن قرر سبينوزا أن نسبة التوراة الحالية إلى موسى ، وكذا الأسفار الأخرى التى وضعت أسماؤهم عليها ، كذب وباطل ، يسأل : هل كتب كل هذه الأسفار مؤلف مواحد أو أكثر ؟ ! ، ثم يقرر جواباً لهذا السؤال بنفس المنهج النقدى الذى تبناه ، فيقول :

« إذا نظرنا إلى تسلسل الأسفار كلها ، وإلى محتواها ، رأينا بسهولة ، أن الذى كتها مؤرخ واحد ؛ أراد أن يروى تاريخ إسرائيل القديم منذ نشأتهم الأولى ، حتى هدم المدينة (يقصد أورشليم) لأول مرة [٦٠] »

فمن ملاحظة ثلاثة أمور ، هى :

١ - وحدة الغرض فى جميع الأسفار التى فحصها .

٢ - طريقة تسلسل هذه الأسفار ، أو طريقة ربطها ببعضها ، وتخلص المؤرخ من سفر إلى آخر .

---

(٥٨) الرسالة صـ ٢٧٦ ، وملك بنى إسرائيل قام إثر عهد قضاتهم الذين ينسب لهم هذا السفر .

(٥٩) الرسالة صـ ٢٧٦

(٦٠) الرسالة ، نفس الموضع .

٣ ـ المحتوى .

استنتج سبينوزا أن مؤرخاً واحداً هو الذى كتب جميع هذه الأسفار ، ثم نسبها إلى موسى وغيره زوراً وكذباً .

هل عِزْرا هو الذى كتب هذه الأسفار :

لا يقطع سبينوزا بأنّ عزرا هو مؤلف التوراة والأسفار السبعة الأخرى ، لكنه يرجح أن يكون هو كاتبها ، ويستند فى ترجيحه هذا على بعض الاعتبارات ، وهى :

١ ـ أن رواية هذه الأسفار جميعها ـ رواية واحدة ، لكاتب واحد ، أو مؤرخ واحد ، له غرض واحد ، وطريقته فى التسلسل والعرض واحدة ، كما ذكر من قبل .

٢ ـ هذا الراوى أو المؤرخ الواحد ـ كما يحكى عن نفسه ـ كان جالساً طيلة حياته على مائدة الملك ؛ وسواء كان هذا الملك (يواكين) الذى تمتد الرواية إلى عصره ، أو (نبوخذ نصر) فالأمر غير محقق فى النص ـ فإن سبينوزا يقطع بأنه لا يمكن أن يكون الراوى سابقاً على عزرا ؛ لأنه هو الذى جلس على مائدة الملك طيلة حياته .

٣ ـ كما أنه لم يبرز أو لم يزدهر عالم من علماء بنى إسرائيل فى هذه الفترة التى امتدت إليها الرواية ، والتى جلس راويها على مائدة الملك سوى عزرا ، . . . وقد أشارت الأسفار إلى أن عزرا قد عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها ، وكان كاتباً ملماً كل الإلمام بشريعة موسى . . . ، ولم يعكف على فهم الشريعة فحسب ؛ بل عكف على عرضها (٦١) .

---

(٦١) انظر سفر عزرا ٧ : ٦ « صعد عزرا هذا من بابل وهو كاتب ماهر فى توراة موسى التى أعطاها الرب إله إسرائيل ، فبذل له الملك كل ما طلبه بحسب يد الرب إلهه » . وفى (٧ : ١٠) : « لأن عزرا وجه قلبه لالتماس شريعة الرب وليعمل ويعمل فى إسرائيل بالرسوم والأحكام » .

٤ - يرى سبينوزا أن سفر التثنية الحالى يشتمل على أكبر جزء من سفر (توراة الله) أو هو يفترض أن سفر التثنية الحالى هو سفر توراة الله برواية عزرا ، وهو يشتمل على سفر توراة الله الذى كتبه موسى ، مع الشروح التى أضافها إليه عزرا . وأمر إضافة الشروح له أمثلة أخرى كثيرة- يشير إليها سبينوزا - فى هذا السفر (٦٢) .

ويقارن سبينوزا الوصايا العشر فى سفر التثنية ، بالوصايا العشر الواردة فى سفر الخروج ، ويقول عنها : « أجد اختلافات من جميع النواحى . . . ، لذلك أعتقد أن عزرا هو الذى أجرى كل هذه التغييرات هنا وهناك ؛ لأنه شرح الشريعة لمعاصريه »

كما يعتقد أن أول سفر كتبه عزرا ، هو سفر التثنية ؛ لأن فيه قوانين الأمة التى يحتاجها الشعب خاصة ؛ ولأنه لا يرتبط بسابقه كما هى الحال فى الأسفار الأخرى جميعا ؛ بل يبدأه فجأة : « هذه هى أقوال موسى . . . إلخ » .

ويرى سبينوزا أن عزراً بعد أن أكمل هذا السفر ، وعلّم الشرائع للشعب ، شرع فى رواية تاريخ الأمة العبرية كله ، منذ خلق العالم ، حتى التدمير الأعظم لمدينة أورشليم . . وربما كان سبب تسمية الأسفار الخمسة الأول باسم موسى ؛ لأنها تدور حول حياته ؛ لا لأنه هو الذى كتبها ، ولهذا السبب نفسه سمى السفر السادس باسم يشوع ، والسابع باسم القضاة ، والثامن باسم راعوث ، والتاسع وربما العاشر باسم صموئيل ، والحادى عشر والثاني عشر باسم الملوك (٦٣) »

---

(٦٢) التثنية : (٢ : ١٢) وهى شرح ٣ ، ٤ ، (١ : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) ، (٩ : ٢٠)

(٦٣) الرسالة صـ ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

والوصايا العشر هى الكلمات التى كتبت لموسى عليه السلام فى اللوحين ، ولها صياغتان ، واحدة فى سفر الخروج (٢٠ : ١ - ١٧) والثانية فى سفر التثنية (٥ : ٦ - ٢١) وصياغة سفر الخروج وجيزة مركزة ، أما صياغة التثنية فهى مطولة مفصلة ، وهذا =

سند الأسفار الأخرى :

هذه هى الأسفار التى يرجح سبينوزا أن عزرا هو مؤلفها لجملة الأسباب السالفة أمّا بقية أسفار العهد القديم ، فإن سبينوزا يرى أن سفرى الأخبار مثلا « قد كتبا بعد عزرا بمدة طويلة ؛ ربما بعد أن أعاد يهوذا المكابي بناء المعبد . » وعن رأيه فيها يقول : « وأنا لا أعلم شيئاً يقيناً عن مؤلفيها الحقيقيين ، وعن السلطة التى يجب الاعتراف بها لها ، وعن فائدتها ، والعقيدة التى تعرضها ؛ بل إنى لأعجب كيف أدخلت هذه الأسفار فى عداد الكتب المقدسة ! ؟ (٦٤) »

ورأيه فى المزامير ، أنها قد جمعت وقسمت إلى خمسة أسفار بعد إعادة بناء المعبد ، ويستشهد برواية الفيلسوف الإسكندرى اليهودى فيلون Phillo فى ذلك . كما يعتقد أن أمثال سليمان قد جمعت فى نفس العصر ، وهنا يظهر حسرته على سلطة الأحبار المطلقة فى إدخال ما يشاؤون فى الكتب المقدسة ، وإخراج ما يشاؤون منها(٦٥) .

= التفصيل - فيما يستنتج سبينوزا - شرح ألحقه عزرا بالنص الأصلى ؛ لأنه من المعروف أن هذه الوصايا كتبت لموسى مرة واحدة ، بصياغة واحدة فقط ، وهذه الوصايا هى :

١ - لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى . ٢ - لا تصنع لك منحوتا . ٣ - لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً . ٤ - اذكر يوم السبت لتقدسه . ٥ - أكرم أباك وأمك . ٦ - لا تقتل . ٧ - لاتزن . ٨ - لاتسرق . ٩ - لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ، ولاثورة ، ولا حماره . ١٠ - لا تشهد شهادة زور .

(٦٤) الرسالة ٣٠٩

(٦٥) فيلون هو الفيلسوف المعروف الذى ولد سنة ٢٠ ق . م ، وقام بشرح رمزى على سفر التكوين ، ورأى أن الفلسفة اليونانية قد استمدت كثيراً من الحكمة الموسوية ، ولفيلون هذا تأثير فلسفى كبير على كل من يوحنا الإنجيلى ، وبولس فى رسائله :

انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، صـ ٢٤٧ - ٢٥١ ، طبعة دار القلم ، بيروت ..

وسفر أرمياء ، عنده ، مجموعة نصوص مأخوذة من مؤرخين مختلفين ، وهذا هو سبب الخلط الواقع فيه ، ولا يوجد سبب آخر يفسر هذا الخلط [٦٦]

أمّا سفر حزقيال ، فإنه شذرة باقية من كتاب [٦٧] . ويؤكد أن سفر هوشع كان أطول مما هو عليه [٦٨] ، ويقرر أن سفر دانيال قد أخذ من كتب الأخبار الكلدانية [٦٩] .

وسفر عزرا يرتبط بسفر دانيال بحيث يسهل إدراك أن كاتبهما واحد استمر فى كتابة تاريخ اليهود منذ وقوعهم فى الأسر الأول [٧٠] . ولا يتردد سبينوزا فى ربط سفر إستير بسفر عزرا هذا ، ويقول : « وإذن فنحن نؤكد أن هذه الأسفار الأربعة : دانيال ، وعزرا ، وإستير ، ونحميا ، قد كتبها مؤرخ واحد . . أمّا من يكون هذا المؤرخ ؟ فإنى لا أستطيع حتى مجرد التخمين به [٧١] »

وعلى الجملة ، فهذه هى تحليلات سبينوزا وتقريراته حول أسفار العهد القديم ، وما نذكر به هنا هو أن سبينوزا قد توفى سنة ١٦٧٧ م التى توافق سنة ١٠٨٧ هـ ، وأن الحبر اليهودى ابن عزرا الأندلسى ـ الذى حلل سبينوزا رأيه النقدى الرامى إلى عدم صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ـ قد توفى سنة ١١٦٧ م التى توافق سنة ٥٦٢هـ

ابن حزم الأندلسى يفحص سند التوراة وأسفار العهد القديم :

ننتقل إلى دراسة رأى بعض علماء مقارنة الأديان المسلمين حول سند

---

(٦٦) الرسالة صـ ٣٠٩
(٦٧) الرسالة صـ ٣١٣
(٦٨) الرسالة صـ ٣١٥
(٦٩) الرسالة صـ ٣١٦
(٧٠) الرسالة صـ ٣١٦
(٧١) الرسالة صـ ٣١٨

التوراة وأسفار العهد القديم الأخرى ، ونبدأ بعرض فكر ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، أى قبل وفاة ابن عزرا الذى عده سبينوزا أول من شك فى نسبة أسفار موسى إليه - بمائة سنة تقريبا ، وقبل وفاة سبينوزا نفسه بأكثر من ستة قرون (٧٢) .

قرر ابن حزم أن هذه الأسفار الخمسة المسّماة بالتوراة والرّائجة بين اليهود والنصارى ، ليست هى التى أوحاها الله إلى موسى عليه السلام . وأنه لم يكتبها لبنى إسرائيل ، وأنها لا تثبت إليه بالسند المتصل الذى ترويه الكافّة التى يستحيل اتفاقها على الكذب ، عن الكافّة مثلها إلى موسى عليه السلام . ويرى أن اليهود والنصارى ينسبون هذه الأسفار إلى موسى كذباً وباطلاً .

---

(٧٢) ودراسة فكر ابن حزم النقدى للأسفار المقدسة ، تبرهن على خلاف ما يذهب إليه الدكتور حسن حنفى فى ترجمته القيمة لرسالة سبينوزا ، حيث يقول : « يعتبر النقد التاريخى للكتاب المقدس ، أحد المناهج العلمية التى وضعتها الفلسفة الحديثة ، كما يعتبر من أهم مكاسب الحضارة الأوربية بالنسبة لدراسة التوراة والإنجيل ، نتجت عن تأليه العقل فى القرن السابع عشر ، وإخضاع الطبيعة له ، فكما أن هناك نظاماً للطبيعة ، هناك أيضا قوانين لضبط صحة الرواية ، ولافرق بين الظاهرة الطبيعية والنص الدينى . . . كلاهما يخضع للعقل وقواعده » (صـ ١٨ الرسالة) والنقد التاريخى للكتاب المقدس لم يكن وليد الفلسفة الحديثة بحال ، وليس من أهم مكاسب الحضارة الغربية الحديثة ، وليس وليد القرن السابع عشر الميلادى ؛ بل هو وليد الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى وابن حزم مثلا سابق للقرن السابع عشر والفلسفة الحديثة بستة قرون أو أكثر ، وإن حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب قد تأثر فلاسفتها وأعلامها بالفكر الإسلامى واستمدوا منه بشكل مباشر ، وغير مباشر ، وقد برهنت على ذلك فى تعليق سابق . وأما قوانين ضبط صحة الرواية والإسناد فأبوتها الشرعية فى الفكر الإسلامى وهذا « الجانب تنفرد به الحضارة الإسلامية ، ولا نعرف له فى الحضارات الأخرى شبيهاً » د . ف . سزكين : « محاضرات فى تاريخ العلوم » صـ ٤٣ طبعة ١٩٧٩ م بالرياض . وهذا أمر ثابت مقرر لا يحتاج إلى زيادة تدليل أو براهين ، فالإسناد (فى النصوص الدينية) من الدين ذاته ؛ كما قرره علماؤنا الثقات .

وأن الذى كتب لهم هذه الأسفار الحالية هو عزرا الورّاق (٧٣) . ذلك حكم ابن حزم ، وهو قد ارتكز فى تأسيسه على مقدمات ضرورية استقاها من دراسة الأسفار نفسها ، وما تقدمه من معطيات ، وتتمثل براهينه على عدم صحة نسبة التوراة الحالية إلى موسى فى التالى :

١ ـ ما ورد فيها من نصوص تقطع بأن موسى عليه السلام لا يصح البتة أن يكون هو كاتبها ، مثل : « فتوفي موسى عبد الله بذلك الموضع من أرض مؤاب . . مقابل بيت فغور . . ، ولم يعرف آدمى موضع قبره إلى اليوم . . ، وكان موسى يوم توفى ابن مائة وعشرين سنة . . لم ينقص بصره ، ولا تحركت أسنانه . . ، فنعاه بنو إسرائيل ثلاثين يوماً ، وأكملوا نعيه . . . ، ثم إنّ يشوع بن نون امتلأ من روح الله (يقصد تنبأ وأوحى إليه) . . وسمع له بنو إسرائيل (بعد أن دعاهم بالطبع) . . ولم يخلف موسى فى بنى إسرائيل نبئُ مثله (٧٤) » .

يعلق ابن حزم على نص التثنية هذا بقوله :

« هذا آخر توراتهم ، وتمامها ، وهذا شاهد عدل ، وبرهان تام ، ودليل قاطع ، وحجة صادقة فى أنّ توراتهم مبّدلة ، **وأنها تاريخ مؤلّف** ، **كتبه لهم من تخرّص بجهله** ، **أو تعمّد بكفره** ، **وأنها غير منزلة من عند الله تعالى** ؛ إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى فى حياته .

. . . وقوله : « لم يعرف قبره آدمىٌ إلى اليوم » بيان كافٍ لما ذكرنا ، **وأنّه تاريخ أُلِّف بعد دهر طويل ولابد** (٧٥) » .

---

(٧٣) ابن حزم : الفصل ، حـ ١ صـ ٢٨٨ ، نشرة عكاظ بالرياض ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م وهى محققة تحقيقا غير علمى .

(٧٤) سفر التثنية ٤٣ : ٥ ـ إلى آخره .

(٧٥) الفصل حـ ١ صـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ويجمل بالقارىء أن يقارن بين كلام ابن حزم هذا ، وكلام كل من ابن عزرا وسبينوزا السابق .

٢ ـ ما احتوت عليه هذه الأسفار من أغاليط وأكاذيب وتناقضات بيّنه ، لا يمكن دفعها ولا تأويلها . . . ، وما اشتملت عليه من تطاول على مقام الله تعالى وملائكته ورسله . . . ، وقد حشد ابن حزم من هذه الأغاليط والأكاذيب أمراً عجباً ، وقال فى آخره :

« ها هنا انتهى ما وجدنا فى توراة اليهود التى اتفق عليها الربانيون ، والعانانيون ، والعيسويون ، والصدقيون (٧٦) منهم ـ مع النصارى أيضا ـ بلا خلاف منهم فيها ـ من الكذب الظاهر فى الأخبار ، وفيما يخبر به عن الله تعالى ، ثم عن ملائكته ، ثم عن رسله عليهم السلام من المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة إلى الأنبياء . . . ، ولو لم يكن فيها إلّا فصل واحد من الفصول التى ذكرنا ، لكان موجباً ـ ولابد ـ لكونها موضوعة محرّفة مبدّلة مكذوبة ، فكيف وهى سبعة وخمسون فصلاً (٧٧) ؛ من جملتها فصول يجمع الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات ، سوى ثمانية عشر فصلا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعيانها عند النصارى . . . والكذب لائح ولابد فى إحدى الحكايتين ، فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة فى مقدار توراتهم ؟ ! وإنما هى مقدار مائة ورقة وعشرة ورقات ، فى كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطراً ، إلى نحو ذلك ، بخط هو إلى الإنفساح أقرب ، يكون فى السطر بضع عشرة كلمة ! ! (٧٨) »

٣ ـ هذه الأسفار الخمسة ـ فى رأيه ـ لا يمكن أن تكون (توراة موسى) ؛ لأن هذه الأخيرة كانت وجيزة جداً بحيث تقرأ فى مجلس واحد ، يقول ابن حزم : . . . وأيضا فإنه (يقصد المؤرخ أو واضع الأسفار الحالية) قال : ثم كتب موسى هذا الكتاب ، ويرى به إلى الكهنة من بنى لاوى . . ، وقال لهم موسى : إذا اجتمعتم للتقديس بين يدى الرب إلهكم فى الموضع الذى

---

(٧٦) هذه بعض فرق اليهود ، وسندرس هذه الفرق فى فصل مستقل إن شاء الله .

(٧٧) سنورد أمثلة لذلك عند حديثنا عن تناقض متن التوراة إن شاء الله .

(٧٨) الفصل حـ ١ صـ ٢٨٥

تخيرَه الـرب ، فاقرأوا ما فى هذا المصحف ، فى جماعة بنى إسرائيل ، عند اجتماعهم فقط ، ليسمعوا ما يلزمهم (٧٩) »

هذا ما يتعلق بالنقـد الداخلى لنص الأسفار الخمسة ، والشواهد التى قدمها ابن حزم ، شواهد مسلّمة تبرهن على قراره القاطع بعدم صحة نسبة التوراة الحالية إلى موسى ، كما يلاحظ أن سبينوزا الذى جاء بعده بستة قرون ونصف قد أورد نفس الشواهد تقريباً ، وعلق عليها بألفاظ ابن حزم مثل قوله : « إنها تاريخ مؤلّف » و « ألّف بعد موسى بقرون عديدة » و « أن كتاب **موسى كان يقـرأ فى مجلس واحد** » . . **الخ** . وهذا يجعلنا نقرر أن باروخ سبينوزا لم يكن منصفاً عندما ذكر أن ابن عزرا الغرناطى كان أول من شك فى نسبة التوراةإلى موسى عليه السلام .

وإنّ ابن حزم كان ـ بحق ـ صاحب جهد عظيم فى بناء منهج الدراسة النقـدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس ، يجعله الدارس الأكبر فى هذا الحقـل العلمى ؛ حقـل مقـارنـة الأديان . . ، وقد سبق ابن حزم بجهود الجاحظ والكندى الفيلسوف ، وعلى بن ربّن الطبرى ، والقاضى عبد الجبار وغيرهم .

وجوه من النقد الخارجى :

أفـاض ابن حزم ـ بما لم يسبق إليه فيما نعلم ـ فى درس وجوه من النقد الخارجى تتعلق بهذه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام . . ، فقال :

« نحن نصف إن شاء الله حال كون التوراة عند بنى إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام ، إلى انقراض دولتهم . . إلى رجوعهم إلى بيت المقدس . . إلى أن كتبها لهم عزرا الورّاق » . فهو سيشرح موقف بنى إسرائيل ـ عبر تاريخهم كله ـ من التوراة ، و بعبارة أخرى : سيبحث مدى عنـاية بنى إسرائيل بالتـوراة ، ومن كان يقـوم على حفـظها من

---

(٧٩) الفصل حـ ١ صـ ٣٠٠

بينهم ؟ . . . وأين كانت تحفظ ؟ . . وهـل نقلت من جيل إلى جيل نقلاً متواتراً . . الخ . وغرض ابن حزم من ذلك أن يضع أيدينا على برهان حاسم آخـر مؤداه : أن الظروف التى مرّت بها التوراة الأصلية عند بنى إسرائيل كانت مناسبة جداً ؛ بل كانت أنسب ظروف يمكن للتوراة ؛ بل ينبغى لها أن تحرّف ، وتبدّل ، وتغيرّ ، وتزيّف فيها .

يقـول : « فاعلمـوا ـ الآن أنّ التـوراة لم تكن ـ من أول دولتهم إلى انقضائها ـ إلاّ عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده ، فى الهيكل فقط (٨٠) » .

« وفى سفر التثنية : ومِنْ بعد أن كتب موسى هذه العهود فى مصحف ، واستوعبها ، أمر بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب ، وقال لهم : خذوا هذا المصحف واجعلوه فى المذبح ، واجعلوا عليه تابوت عهد الرب إلهكم ليكون عليكم شاهداً (٨١) »

« وقـال موسى فى السفـر المـذكـور : إذا استجمعتم على تقـديم ملك عليكم ، فلا تقـدمـوا إلاّ من ارتضـاه الـرب من اخـوتكم ، ولا تقـدمـوا أجنبياً . . فإذا قعد على سرير ملكه فليكتب من هذا التكرار (سفر موسى) فى مصحف ما يعطيه الكوهن المتقدم من بنى لاوى ، بما يشاكله ، ويكون ذلك معه ، فيقرأه كل يوم ، طول ولايته ليخاف الرب إلاهه ، ويذكر كتابه وعهده (٨٢) »

فهذا كله بيان واضح « بصحة ما قلناه من أن العشر كلمات ، مصحف التـوراة إنـما كانت فى الهيكـل فقط ، تحت تابـوت العهد ، والتابوت عند الكاهن الأكبر وحده ؛ لأنه ـ بإجماعهم ـ لم يكن يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه »

---

(٨٠) الفصل حـ ١ صـ ٢٩٤ ، ١٩٧ والكاهن الهاروني من أولاد هارون من سبط لاوى ، وهم أحبار بنى إسرائيل وسدنه الهيكل .

(٨١) الفصل حـ ١ صـ ٣٠٠

(٨٢) نفس المصدر والموضع .

« وفى نص توراتهم : أنهم كانوا لا يلزمهم المجىء إلى بيت المقدس إلاّ ثلاث مرات ، فى كل سنة فقط ، وإنما أمر ـ نبص التوراة ـ أن يقرأها عليهم الكوهن الأكبر الهاروني عند اجتماعهم فقط ، فثبت أنها لم تكن إلاّ فى الهيكل فقط ، عند الكوهن الهاروني ، لا عند أحد سواه ؛ إلاّ سورة واحدة ذكر فى توراتهم أن موسى عليه السلام أمر بأن تكتب وتعلم جميع بني إسرائيل ؟ ليحفظوها . . ولا يمنع أحد من نسلهم من حفظها . . وهذا نصها . . (٨٣) »

والسؤال الذى يثور هنا هو : هل كان هذا الكاهن الأكبر ـ على امتداد تاريخ بنى إسرائيل ـ أميناً على حفظ هذه التوراة التى لم تكن توجد عند أحد غيره ؟ !

يجيب أبو محمد على هذا بقوله : « قد كان فى الكهنة الهارونيين ما كان فى غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الأوثان ، كالذى يذكرون عن ابنى الكوهن عالى الهاروني ، وغيرهما ، ممن يقرّون ـ فى كتبهم ـ أنهم خدموا الأوثان وبيوتها من بنى هارون وبنى لاوى . . ، ونحن إن شاء الله نذكر طرفاً يسيراً من كثير جداً من كلام أحبارهم الذين أخذوا عنهم كتابهم ودينهم وإليهم يرجعون فى نقــل توراتهم ، وكتب الأنبياء ، وجميع شرائعهم ، ليرى كل ذى فهم مقدارهم من الفسق والكذب ، فيلوح له أنهم كانوا كذابين مستخفين بالدين (٨٤) »

والنتيجة المحتمة : « أن من هذه صفته ، فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به (٨٥) » .

---

(٨٣) الفصل جـ ١ صـ ٣٠٠

(٨٤) الفصل جـ ١ صـ ٣٠٠ ، ٣٢٠ ، ٣٠١ ، ١٩٦

(٨٥) ابن حزم : الرد على ابن النغريلة اليهودى ، صـ ٧٧ ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ١٣٨٠ هـ بالقاهرة و « ابن النغزيلة » رجل يهودى استوطن غرناطة ، وكان قد درس التلمود بقرطبة على الربي حنوك ، واتقن الكتابة العربية ، وألف مقدمة التلمود .

ويلح ابن حزم على هذه الفكـرة . فيسـوقهـا فى رده على ابن النغـريلة اليهودى ، فيقول : « وهم معترفون بأن التوراة ـ طول أيامهم ـ فى دولتهم ، لم تكن عند أحد إلّا عند الكاهن وحده . وبقوا على ذلك نحو ألف ومائتى عام » .

« وما كان هكذا ـ لا يتداوله إلّا واحد فواحد ـ فمضمون عليه التبديل ، والتغيير ، والتحـريف ، والـزيادة ، والنقصـان ، لا سيما وأكثر ملوكهم ، وجميع عامتهم ، فى أكثر الأزمان . كانوا يعبدون الأوثان ، ويقتلون الأنبياء ؛ فقد وجب ـ باليقين ـ هلاك التوراة الصحيحة وتبديلها مع هذه الأحوال ، ولا شك »

« وهـذه كلهـا براهـين أضـوأ من الشمس على صحـة تبـديل توراتهم وتحريفها . . ، وبالجملة ـ : فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلها ، وكانا محظورين على من سواهما ، فالتبديل والتحريفُ مضمونٌ فيهما [٨٦] » ولا يطعن فى هذا ذلك القدر اليسير الذى لا يجاوز صحيفة واحدة أو أقـل ، الـذى كان يقـرأه الشعب الإسرائيلى كل يوم ، ليكـون شاهداً عليهم ، فهو سورة واحدة فقط منها ، ولا يطعن فى ذلك كذلك ، هذا القدر اليسير الذى كان يسلمه الكاهن الأكبر لملوكهم يقرأونه كل يوم . . فإن أكثر ملوكهم ، فى أكثر فترات تاريخهم كانوا وثنيين مشركين على ما سنشرح إن شاء الله تعالى . فحظرُ تداول التوراة ، واحتجازها عند الكاهن الأكبر وحده ، مع إنحراف كثير منهم ، قد شكل مناخاً مناسباً جداً لتحريفها وتبديلها .

وكان عنده ـ حسب رواية صاعد الأندلسى ـ علم بشريعة اليهود والذب عنها ، مالم يكن عند أحد من أهل الأندلس ، وكسب جاها واسعا ، وأصبح وزيراً لحاكم غرناطة ، ولم يتـورع عن نقـد الـدين والتطاول عليه والطعن فى القرآن الكريم ، فثار الناس عليه وقتلوه . وقيل انه من طعنه على الإسلام كتابا رد عليه ابن حزم فى رسالة مطولة بعد أن كان قد ألف كتاب الفصل ، وابن النغزيلة هذا معاصر لابن حزم .

(٨٦) الفصل جـ ١ صـ ١٩٦

يضاف إلى كل ما تقدم ، ما كان عليه ملوك إسرائيل وعامتهم من كفر ، ووثنية ، ومعاندة لتوراة موسى ، وانسلاخ من أحكام شريعته ، وجرى وراء أصنام الأمم الأخرى لعبادتها ، وجلبها إلى أورشليم ، وحمل الناس على الذبح لها ، وتقديسها ـ وفى ظل هذه المناخ الجافي للتوراة ، المعاندها ، يصبح حفظ التوراة أمراً عسيراً بالغ العسر ، . . خصوصاً إذا عرفنا ـ من أسفارهم ـ أن بعض ملوكهم أمر بإحراقها وتمزيقها ، وأن بعض الكهنة الحراس عليها ، قد تحولوا إلى خدمة الأوثان ، والقيام بالكهانة لها .

ومن جانبنا نسجل إعجابنا وتقديرنا لعلّامة الأندلس ابن حزم الذى احتفى بهذه النقطة الجوهرية وفصلها تفصيلاً ممتازاً ، معتمداً على ما جاء فى أسفارهم . . وهذه مسألة انفراد ابن حزم ـ فيما نعلم ـ بفضل سبق التنبيه إليها ودراستها دراسة وثائقية دقيقة ، ونحن نوجز هذا الاستقصاء ـ بعد تنسيقه وتهذيبه وتوثيقه بالدلالة على مواضعه فى الأسفار الحالية ـ ان شاء الله تعالى :

أولا : حال ملوكهم وحكامهم وقضاتهم ، بين الإيمان والكفر ، من بعد موسى إلى موت سليمان وانقسام المملكة الإسرائيلية الى مملكتين : يهوذا ، وإسرائيل :

ـ دخل بنو إسرائيل الأردن وفلسطين والغور مع يوشع بن نون مدبر أمرهم ـ إثر موت موسى عليه السلام ، وكان معه العازار بن هارون صاحب السرادق (خيمة الرب) بما فيه ، . . وعنده التوراة لا عند أحد غيره . فدبرهم يوشع فى استقامة وألزمهم الدين إحدى وثلاثين سنة .

ـ ثم دبرهم فنحاس بن العازار بن هارون ـ وهو صاحب السرادق والكاهن الأكبر ، والتوراة عنده لا عند أحد غيره ، خمساً وعشرين سنة ، فى استقامة والتزام للدين .

ـ ثم كفر بنو إسرائيل كلهم (٨٧) وارتدوا وعبدوا الأصنام علانية (٨٨) ، ثم دبر أمرهم عثنئيل أربعين سنة على الإيمان ، ثم كفروا كلهم ، وارتدوا ، وعبدوا الأوثان علانية .

ـ فملكهم عجلون ثماني عشرة سنة على الكفر .
ـ ثم دبر أمرهم أهو ذجيرا البنيا مينى على الإيمان .
ـ فدبرهم شمجر على الإيمان ، ثم كفر بنو إسرائيل كلهم بعده ، وعبدوا الأوثان جهاراً .

ـ ثم ملكهم يابين الكنعاني على الكفر .
ـ ثم دبرت أمرهم دبورة النبية على الإيمان أربعين سنة ، فلما ماتت كفر بنو إسرائيل .
ـ فملكهم غراب ملك مدين سبع سنين على الكفر .
ـ ثم دبر أمرهم جدعون على الإيمان أربعين سنة .
ـ فوليهم ابنه أبو مالك وكان فاسقاً خبيث السيرة ، فارتد جميع بنى إسرائيل وكفروا وعبدوا الأوثان جهاراً ، وأعانه أخواله ببناء تسعين ديراً لـ (ماعل) الصنم .
ـ ثم دبرهم تولع ، وهو مجهول الحال .

---

(٨٧) قول ابن حزم كفر بنو إسرائيل كلهم : فيه نظر ، وليس على إطلاقه ، لأن من الثابت أنه قد ظلت طائفة منهم قائمة بالقسط . .

(٨٨) تصور كتبهم هذا الكفر بتفصيل دقيق ، انظر مثلا ما جاء فى سفر القضاة (٢ : ١١ ـ ١٩) « . . . وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ، وعبدوا البعليم ، وتركوا الرب إله آبائهم ، الذى أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها ، وأغاظوا الرب ، تركوا الرب ، وعبدوا البعل وعشتاروت » . وانظر مبحث : (مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم) من هذا الكتاب .

- ثم دبرهم بابين بن جلعاد ثلاثاً وعشرين سنة على الإيمان . ولما مات حكمهم أولاده على الكفر ، فارتد بنو إسرائيل ، وعبدوا الأوثان جهاراً .

- ثم ملكهم بنو عمون ثماني عشرة سنة على الكفر .

- ثم قام فيهم يفتاح بن جلعاد ، ولا يختلفون على أنه كان ابن زانية ، فاسقاً ، خبيث السيرة .

- ثم وليهم أبصان ، والظاهر على حاله الاستقامة .

- ثم وليهم أبلون - من سبط زبولون - ثم عبدون بن هليل على الإيمان ، ولما مات ارتدوا ، وعبدوا الأوثان ، فملكهم الفلسطينيون - وهم الكنعانيون - أربعين سنة على الكفر .

- ثم دبرهم شمشون ، وكان مشهوراً عندهم بالفسق واتباع الزواني عشرين سنة .

- فبقى بنو إسرائيل أربعين سنة بلا رئاسة يدبر بعضهم بعضاً .

- ثم دبرهم الكاهن الهاروني عالى على الإيمان عشرين سنة إلى أن مات ، فدبرهم شموائيل النبى على الإيمان ، ثم عين لهم ملكا هو طالوت (شاول) . وطالوت أول ملك فى بنى إسرائيل حكمهم عشرين سنة ، ويصفونه بالنبوة والفسق والظلم معا !! (٨٩) .

وعلق العلاّمة ابن حزم على هذا الاستقراءالتاريخى لحال بنى إسرائيل بين الكفر والإيمان قائلا :

« فاعلموا الآن أنه كان مُذْ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم سبع ردّات . . فارقوا فيها الإيمان ، وأعلنوا عبادة الأصنام . . فتأمّلوا !! أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر ، ورفض الإيمان ، هذه المدد الطوال ، فى بلد صغير مقداره ثلاثة أيام فى مثلها فقط ،

---

(٨٩) انظر فى تفصيل هؤلاء الذين ذكرناهم من حكامهم ومدبرى أمرهم أسفار : « القضاة » و « صموئيل » .

ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم ؟ !! (٩٠)»

ـ ولما مات شاول (مقتولاً) ولى أمرهم داود النبى الملك عليه السلام ، وهم ـ قاتلهم الله ـ ينسبون إليه الزنى علانية بأم سليمان (٩١) ـ أربعين سنة .

ـ ثم حكمهم سليمان النبى الملك عليه السلام ، وقد وصفوه بأشد وأنكى مما وصفوا به أباه ، وهو الذى بنى لهم الهيكل فى بيت المقدس ، وجعل لهم فيه السرادق والمذبح والتوراة والتابوت وسكنه بنى هارون ـ أربعين سنة .

ـ ولما مات افترق أمر بنى إسرائيل ، فصار (بنو يهوذاوبنيامين) مع أبناء سليمان (حكام بيت المقدس) ومملكتهم تسمى يهوذا .

وصار ملك الاسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم يسكن بنابلس على ثمانية عشر ميلا من أورشليم ، ومملكتهم تسمى إسرائيل ، وبقوا كذلك إلى أفول شمسهم وتدميرهم على يد نبو خذنصرّ ملك بابل .

ثانيا : بيان حال ملوك الأسباط العشرة :

يقول أبو محمد : « وأمّا ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط . . ولا واحد فما فوقه ، بل كانوا كلهم معلنين عبادة الأوثان ، مخيفين للأنبياء ، مانعين القصد إلى بيت المقدس ، لم يكن فيهم نبى قط إلاّ مقتولاً أو هارباً مخافاً (٩٢) » . . . وفيما يلى استقراء حالهم واحداً فواحداً :

ـ أول ملوكهم يربعام بن نباط ، وليهم إثر موت سليمان عليه السلام ، فعمل فى حينه عجلين من ذهب ، وقال : هذان إلا هاكم اللذان خلصاكم من مصر ، وبنى لهما هيكلين ، وجعل لهما سدنة ، من غير بنى لاوى ، وعبدهما هو وجميع أهل مملكته ، ومنعهم من الحج إلى بيت المقدس ، وهو

---

(٩٠) الفصل جـ ١ صـ ٢٩٠ ، وانظر جـ ١ صـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ وراجع سفر القضاة

(٩١) راجع المبحث المعقود لبيان ذلك بعنوان (مكانة الأنبياء فى التوراة والقرآن : دراسة مقارنة) .

(٩٢) الفصل جـ ١ صـ ٢٩٤

كان شريعتهم ، لا شريعة لهم غيره . . القصد إليه . . والقربان فيه ، فملك أربعاً وعشرين سنة (٩٣) .

ـ وولى ناداب بن يربعام على الكفر المعلن ، (وعمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وفى خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطىء (٩٤))

ـ ثم ولى أيلة بن بعشا على الكفر ، وقتله أحد قواده (زمرى) وملك مكانه وانتحر بعد أسبوع (٩٥)

ـ ثم حكم عمرى ، واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتي فضة ، وبنى على الجبل هيكلا ينافس به هيكل سليمان الذى بناه على جبل بيت المقدس ، ودعا اسم المدينة باسم صاحب الجبل : السّامر وتقول أسفارهم عنه : « أنه عمل الشر فى عينى الرب ، وأساء أكثر من جميع الذين قبله ، وسار فى طريق بربعام ، وفى خطيته ، التى جعل بها اسرائيل يخطىء ؛ لإغاظة الرب آله إسرائيل بأباطيلهم (٩٦) »

ـ ثم ملك أخاب بن عمرى على أشد ما يكون من الكفر والوثنية اثنين وعشرين سنة « فعبد البعل وسجد له ، وأقام معبداً للبعل فى بيت البعل الذى بناه بالسامرة (٩٧) » وفى أيامه كان إلياس النبى (٩٨) .

ـ وولى بعده أخريا بن أخاب بن عمرى على أسوأ ما يكون من الكفر

---

(٩٣) الفصل صـ ٢٩٥ ، وراجع سفر الملوك الأول ١٧ : ٧ ـ ٢٣ وراجع مبحث : (مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن) .

(٩٤) سفر الملوك الأول ١٥ : ٢٦ ـ ٢٧

(٩٥) سفر الملوك الأول ١٦ : ١٥ ـ ٢٢

(٩٦) سفر الملوك الأول ١٦ : ٢٣ ـ ٢٥

(٩٧) سفر الملوك الأول ١٦ : ٢٩ ـ ٣٤

(٩٨) انظر قصة إلياس النبى (إيليا) فى الإصحاح ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سفر الملوك الأول .

وعبادة الأوثان « وعمل الشر فى عينى الرب ، وسار فى طريق أبيه » وفى أيامه كان اليسع النبى (٩٩) .

ـ ثم ولى مكانه أخوه يهورام على الكفر .

ـ ثم ولى ياهـو بن نمشي «وأستأصل ياهو البعل من إسرائيل ، ولكن خطايا يربعام بن نباط الذى جعل إسرائيل يخطىء ـ لم يحد عنها ياهو . . أى عجـول الذهب التى فى بيت إيل والتى فى دان . . ولم يتحفظ للسلوك فى شريعة الرب من كل قلبه . . لم يحد عن خطايا يربعام(١٠٠)»

ـ وولى مكانه ابنه يهوياحاز سبع عشرة سنة ، وبنى بيوت الأوثان ، وأعلن عبادتها هو ورعيته إلى أن مات ، وقد ضعف حال مملكة الأسباط فى عهده ضعفاً شديداً .

ـ ثم ولى يؤاش بن يهويا حاز ست عشرة سنة على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان ، وغزا بيت المقدس ، وهرب أمامه ملكها الداودى ، فأتبعه ، فقتله .

ـ وولى ابنه زكريا على أشد من كفر ابيه ، ثم ولى شلّوم على الكفر وقتل ،

ـ وملك منحيحم بن حادى عشرين سنة على عبادة الأوثان إلى أن قتل [وفى عهده أجلى ملك الأشوريين قبائل من الأسباط ومن سكان مملكة إسرائيل من بلادهم ، وحملهم معه إلى أشور ، وأسكن بلادهم قوماً من شعبة ورعاياه(١٠١)] .

ـ ثم ملك هو شيع على الكفر والوثنية سبع سنين « وصعد عليه شلمنأ سر

---

(٩٩) الملوك الثانى : ١ : ١٦ ويذكر عنه أنه أرسل إلى الصنم بعل زبوب إله عقرون يستشفى من مرض ألم به ، فأهلكه الله . وانظر سفر الملوك الأول ٢٢ : ٥١ ـ ٥٣ وقصة اليسع النبى فى سفر الملوك الثانى : الإصحاح الثانى والثالث والرابع والخامس .

(١٠٠) سفر الملوك الثانى ١٠ ـ ٢٨ ـ ٣١

(١٠١) سفر الملوك الثانى ١٥ : ٢٧ ـ ٣١

ملك أشور ، فصار له هوشع عبداً ، ودفع له الجزية ثم خانه ، وأرسل رسلاً إلى مصر ، فقبض عليه ملك أشور ، وحاصر السّامرة عاصمة إسرائيل ، واستولى عليها ، وسبى إسرائيل إلى أشور . . حتى نحىّ الرب إسرائيل من أمامه [١٠٢] » والذين أسكنهم ملك أشور فى السّامرة هم أصل الفرقة اليهودية السامرية [١٠٣] .

وتعلل أسفارهم محو مملكة إسرائيل من الوجود بأنهم « قد أخطأوا إلى الرب . . وعملوا ضده . . . وأقاموا الأنصاب والأوثان . . وعبدوها . . ولم يسمعوا للرب ؛ بل صلبوا أقفيتهم له . . وتركوا جميع وصايا الرب إلههم [١٠٤] » فاستحقوا المحو من الوجود .

ويعلق أبو محمد على هذا قائلا :

« فقد صح يقيناً أن جميع أسباط بنى إسرائيل - حاشا سبطى يهوذا ونبيامين ومن كان بينهم من بنى هارون - بعد سليمان عليه السلام - مدة مائتى عام وواحد وسبعين عاماً لم يظهر فيهم - قط - إيمان ، ولا يوماً واحداً ، فما فوقه ، وإنّما كانوا عباد أوثان ، ولم يكن قط فيهم نبى إلاّ مخافاً ، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر . ولا كان عندهم شىء من شرائعها أصلاً . مضى على ذلك جميع عامتهم ، وجميع ملوكهم ، وهم عشرون ملكا ، وقد سميناهم إلى أن أجلوا ودخلوا فى الأمم وتديّنوا بدين الصابئين ، وانقطع اسمهم ورسمهم إلى الأبد . فلا يعرف منهم عين أحد [١٠٥] »

بعد استقراء حال ملوك الأسباط فى مملكة إسرائيل (السامرة) ، وقد

---

(١٠٢) سفر الملوك الثانى ١٧ : ١ - ٢٣

(١٠٣) ابن حزم : الفصل صـ ٢٩٧ حـ ١

(١٠٤) سفر الملوك الثانى ١٧ : ٧ - ٢٣ ، وانظر مبحث : مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم .

(١٠٥) الفصل صـ ٢٩٧ حـ ١

اعتمدنا فى عرضه على ما أورده ابن حزم (١٠٦) بعد توثيقه وتحقيقه وتهذيبه من حكاية أسفارهم ذاتها ، ودللنا على ذلك فى الحواشى ، نقدم - فيما يلى - استقراء لحال ملوك يهوذا :

ثالثا : حال ملوك مملكة يهوذا بعد موت سليمان إلى تدمير أورشليم :

- ولى - بعد سليمان عليه السلام - ابنه رحبعام بن سليمان ، فأعلن الكفر وعبادة الأوثان جهاراً طول ولايته ، هو وجميع رعيته ، وفى أيامه غزا ملك مصر بيت المقدس ، واحتلها وانتهبها المدينة والهيكل ، وأخذ كل ما فيه ، ورجع إلى مصر غانماً ، ومات رحبعام على الكفر (١٠٧) .

- ثم ولى ابنه أبيام . . « وسار فى جميع خطايا أبيه . . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب (١٠٨) »

- ثم ملك آسا . . « وعمل ما هو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه . . وأزال المأبونين من الأرض ، ونزع الأصنام . . وكانت بينه وبين بعشا ملك إسرائيل حروب طويلة (١٠٩) »

- وولى ابنه يهو شافاط ، فعمل المستقيم فى عيني الرب (١١٠) .

- ثم ولى ابن يهورام ، وعمل الشر فى عينى الرب (١١١)

- ثم ولى أخذيا ابنه ، (فعمل الشر فى عينى الرب (١١٢)) وأم هذا هى بنت عمرى ملك إسرائيل .

---

(١٠٦) الفصل حـ ١ صـ ٢٩٠ - ٢٩٧

(١٠٧) سفر الملوك الأول ١٤ : ٢١ - ٢٥ « وعمل يهوذا الشر فى عينى الرب أكثر من جميع آبائهم » .

(١٠٨) سفر الملوك الأول ١٥ : ١ - ٥

(١٠٩) سفر الملوك الأول ١٥ . ١٠ - ٢٤

(١١٠) سفر الملوك الأول ٢٢ · ٤١ - ٤٤

(١١١) سفر الملوك الثانى : ١ : ١٦ - ١٩

(١١٢) سفر الملوك الثانى ٨ : ٢٥ - ٢٨

- ثم وليت أمه واسمها عثليا مملكة يهوذا ، فتمادت على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان ، وقتلت الأطفال ، وأمرت بإعلان الزنى فى البيت المقدس ، وعهدت الاّ تمنع امرأة ممن أراد الزنى معها ، وعهدت ألا ينكر ذلك أحد . . . ثم قتلت (١١٣) .

- وملك يهوآش ، وعمل ما هو مستقيم ، إلاّ أنه لم يقض على الأصنام وبقيت الوثنية رائجة منتشرة إلى أن قتل (١١٤) ، ويذكر ابن حزم : أن فى أيام هذا الملك قتل النبى زكريا الحجارة (١١٥) .

- ثم ولىّ ابنه أمصيا ، وبقى الكفر رائجاً فى عهده ، وفى أيامه أغار ملك الأسباط على بيت المقدس مرتين وانتهبوه (١١٦) .

- ثم ولى ابنه عزيا ، ولم تزل الوثنية رائجة فى رعيته ، وقد عاقبه الله من اجل ذلك بالبرص .

- وملك ابنه يوثام ولم يزل الكفر مستعلناً فى مملكته .

- ثم ملك آخاز « ولم يعمل المستقيم فى عينى الرب إلهه كداود أبيه ، بل سار فى طريق ملوك إسرائيل ، حتى أنه عبر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم ، وذبح للأصنام (١١٧) »

- وملك حزقيا بن آخاز . . عمل المستقيم حسب كل ما عمل داود أبيه . . . وأزال المرتفعات ، وكسر التماثيل ، وسحق حية النحاس التى عملها موسى . . وبعده لم يكن مثله فى ملوك يهوذا ، ولا فى الذين كانوا قبله (١١٨) . . وكان فى أيامه أشعيا النبى ، وقد غزاه سنحارب ملك أشور .

---

(١١٣) سفر الملوك الثانى ١٢ : ٢٠

(١١٤) سفر الملوك الثانى ١٢ : ١ - ٢٠

(١١٥) الفصل حـ ١ صـ ٢٩٢

(١١٦) سفر الملوك الثانى ١٤ : ٨ - ١٤

(١١٧) سفر الملوك الثانى ١٦ : ١ - ١٠

(١١٨) سفر الملوك الثانى ١٨ : ١ - ٢

ـ ثم ملك منسّى فعمل الشر حسب رجاسات امم (١١٩) ، وبنى مذابح للأصنام فى بيت الرب ، وأضل منسى شعب إسرائيل ، فعمل ما هو أقبح من الأمم ، ثم مات .

ـ وتولى ابنه آمون الذى أعلن الكفر مثل أبيه .

ـ ثم ملك ابنه يوشيًا آمون . . فعمل المستقيم ، وأعلن الإيمان ، وأمر بترميم الهيكل ، وأعلم حلْقيا الكاهن أنه وجد سفر الشريعة فى بيت الرب ، وسلّم حلقيا السفر لشافان كاتب الملك ، فقرأه على الملك . . ، فلما سمع ذلك مزّق ثيابه ! إشفاقاً وخشية من غضب الله الذى اشتعل على بنى إسرائيل من أجل أنه آباءهم لم يسمعوا لكلام الله الذى فى هذا السفر (١٢٠) . ثم جمع الشعب وشيوخ اسرائيل وقرأ فى آذانهم « كل كلام سفر الشريعة الذى وجده فى بيت الرب » . وأمر حلقيا الكاهن الأكبر وحراس الباب أن يخرجوا من الهيكل كل ما يتعلق بالأصنام التى كانت تعبد داخل بيت الرب . ثم أمر بعمل فَصْح للرب كما هو مكتوب فى السفر الذى وجده « ولم يعمل مثل هذا الفصح منذ أيام القضاة . . ولا فى أيام ملوك إسرائيل ويهوذا من قبل ، ثم قتل .

ـ ثم حكم بعده ابنه يهوا فعمل الشر ، وأخذ التوراة من الكاهن الهاروني ، وبشر منها اسماء الله حيث وجدها ووضع مكانها أسماء الأصنام ، وقد أسره ملك مصر .

ـ وحكم الياقيم وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ما عمل آباؤه (١٢١) . وتسمى باسم يهوياقيم ، وقطع الدين جملة ، وأخذ التوراة من الكاهن الهاروني فاحرقها بالنار وقطع أثرها .

---

(١١٩) سفر الملوك الثانى ٢١ : ١ ـ ١٧

(١٢٠) سفر الملوك الثانى ٢٣ : ١ ـ ١٥ ، ٢١ إلى آخره

(١٢١) سفر الملوك الثانى ٢٣ : ٣٧

وفى أيامه غزا بنو خذ نصر ملك بابل يهوذا ، واستعبد ملكها ، لكنه تمرد عليه بعد ثلاث سنوات

ـ ثم ملك يهوياكين ، وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ما عمل أبوه[١٢٢] . . وفى زمانه صعد نبو خذ نصر الى أورشليم ، فسبى الملك وأمه ورجاله ، وأخرج جميع خزائن بيت المال ، وخزائن الملك ، وكسر كل آنية الذهب التى عملها سليمان فى الهيكل ، وسبى كل أورشليم ، ولم يبق أحد إلّا مساكين الشعب .

ـ وملّك بنو خذ نصر صدقيا ، فعمل الشر فى عينى الرب ، وتمرد على ملك بابل فجاء نبو خذ نصر هو وكل جيشه على أورشليم ، فأحرق بيت الرب ، وكل بيت فى بنى إسرائيل ، وقلب المدينة كما يقلب الصحن[١٢٣] . وهذا هو الأسر البابلى المعروف .

هؤلاء ملوك يهوذا ، وهذا موقفهم من التوراة والشريعة . . ويعلق ابن حزم قائلاً :

« ظهر يقيناً أن بنى يهوذا وبنى بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمائة سنة ـ على اختلاف بين كتبهم ، وقد قلنا إنها كتب مدخولة فاسدة ـ ملك هذين السبطين تسعة عشر رجلاً منهم وامرأة من غيرهم ، وقد سميناهم كلهم ، . . كانوا كفارا معلنين عبادة الأوثان حاش خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولامزيد . . فعمّهم الكفر وعبادة الأوثان : فى أولهم واخرهم . فأى كتاب . . ، وأى دين يبقى مع هذا ؟ ! ولم يل بعد يوشيا المؤمن إلّا كافر معلن عبادة الأوثان ، منهم من بشر أسماء الله من التوراة !! ، ومنهم من أحرقها وقطع أثرها !! . . إلى أن انقطع أمرهم بغارة بخت نصر الذى سباهم كلهم ، وهدم البيت . واستأصل أثره .

---

(١٢٢) سفر الملوك الثانى ٢٤ : ٩

(١٢٣) سفر الملوك الثانى ٢٥ : ١ ـ ٢٢

هذا إلى غارات كانت على بيت المقدس وهيلكها الذى لم تكن التوراة عند أحد إلاّ فيه ؛ أغار عليهم مرة صاحب مصر ، وأغار عليهم صاحب إسرائيل مرتين . . . إلى أن أملاها عليهم عزرا الورّاق الهاروني . ثم مقرّون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه، وهذا يكفى .

وكانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس !! . وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم أو لم يصلحها إلا بعد نحو أربعين سنة من رجوعهم إلى البيت ، بعد السبعين عاماً التى كانوا فيها مسبيين ، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلاً ولا القبة ولا التابوت (١٢٤) »

قد لخصنا فى معالجة هذه النقطة تاريخ بنى إسرائيل الدينى من بعد سليمان عليه السلام إلى سقوط بيت المقدس على يد بختنصر البابلى . . وقد رأينا الأعاجيب من هذا الشعب المختار ! ، طبقاً لما ورد فى كتبهم التى يقدسونها .

وأعتقد أن ابن حزم قد برهن بصورة منهجية وثائقية قاطعة ـ لم يُسبَقْ إليها ـ على أن الظروف كانت مهيأة تماماً لفقدان التوراة كليةً ، أو أنّ المناخ كان مهيأ لإمكانية تحريفها وتزييفها على الأقل ،ولا أتصور أن عاقلاً يجرؤ على المنازعة فى هذا بعد البراهين والشواهد التى قدمها ابن حزم .

وخلاصة رأى ابن حزم : **أنّ نسبة هذه التوراة إلى موسى غير صحيحة** ، وقد اعتمد أبو محمد ـ كما رأينا ـ على النقد العلمى للنصوص ؛ **النقد الداخلى والخارجى** المرتكز على فحْص ظروف حفظ التوراة فى بنى إسرائيل ، وانتقالها من جيل إلى جيل . . وبيان حالهم ، وحال ملوكهم من الإيمان بها ، والعمل بمقتضاها . . . وكان ابن حزم ـ بحق ـ من كبار علماء مقارنة الأديان فى تاريخ الإنسانية كلها .

---

(١٢٤) الفصل جـ ١ صـ ٢٩٨

(١٢٥) انظر كتاب لابوليه : عن مقارنة الأديان ، نقلا عن الأب روبير شدياق اليسوعى فى تقديمه لكتاب الرد الجميل للغزالى .

هذا رأى ابن حزم فى نسخة التوراة العبرانية ، وهى الأصل المعوّل عليه .
أمّا النسخة السّامرية فأمرها - عنده - أقل شأناً من سابقتها ؛ لأنهم ينكرون التوراة العبرانية حملة ، ولا يؤمنون بنبى بعد موسى عليه السلام ، ولا يقولون ببيت المقدس ، ولا يعرفونه ، ويقولون أنّ المدينة المقدسة هى نابلس . . « فأمر توراتهم أضعف من توراة هؤلاء ؛ لأنهم لا يرجعون فيها إلى نبى أصلاً ، ولا كانوا هنالك أيام دولة بنى إسرائيل ، وإنما عملها لهم رؤساؤهم (١٢٦) »

أما رأيه فى النسخة السبعينية التى ترجمها السبعون شيخاً فى الإسكندرية - بعد ظهور توراة عزرا وفشوها قبل الميلاد بحوالى ثلاثة قرون فإنها : مخالفة للتى كتبها لهم عزرا الوراق ، وتدعى النصارى أن تلك التى ترجمها السبعون لا توافق هذه فى اختلاف أسنان الآباء بين آدم ونوح عليها السلام ، ومن أجل ذلك الاختلاف تولد بين تاريخ اليهود والنصارى زيادة ألف عام ونّيف على ما نذكر إن شاء الله تعالى . . . فإن كان هو كذلك ، فقد وضح اليقين بكذب السبعين شيخاً ، وتعمدهم لنقل الباطل ، وهم الذين أخذ عنهم النصارى دينهم . . وأفٍ أف لدين أخذ عن متيقنٍ من كذبه (١٢٧)

بقيت نقطة نختم بها حديثنا عن تحليل ابن حزم لسند التوراة ، وهى أنه يذكر أن التورة التى كتبها عزرا الوّراق قد ظهرت ظهوراً ضعيفاً ولم تنتشر انتشاراً واسعاً بحيث تتداولها الأيدى ، إلى أن جاء انتيكوس الملك الرومانى الذى بنى أنطاكية ، ووضع وثناً للعبادة فى بيت المقدس ، وأخذ بنى إسرائيل بعبادته ، وقربت الخنازير على مذبح الرب .

ثم ولى أمرهم قوم من بنى هارون - بعد مئات السنين - فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التى بأيديهم إلى اليوم . . . ، وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن

---

(١٢٦) الفصل حـ ١ صـ ٢٩٧
(١٢٧) المصدر السابق .

عندهم جعلوها بدل القرابين ، وعملوا لهم ديناً جديداً ، وبنوا لهم كنائس فى كل قرية ، بخلاف حالهم طول دولتهم ، وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة سنة ، وأحدثوا اجتماعاً كل سبت ، . . . ، . . [128]

ومعنى ذلك أن التوراة الرائجة اليوم هى التى انتشرت بعد كتابة عزرا لنسخته بمئات السنين بعد أن رتب لهم أحبارهم الهارونيون الديانة والأسفار من جديد .

والكلمة التى يلخص بها ابن حزم موقفه كله من التوراة وبطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام قوله : « . . . . ففى دون هذا (من الشواهد والبراهين) كفاية لمن عقل فى أنها كتاب مبدل مكذوب موضوع [129] »

ويبين مما قدمنا من شروحات لفكر ابن عزرا وسبينوزا وابن حزم ، الحقيقتين التاليتين :

١ ـ أن نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام باطلة ومكذوبة .

٢ ـ أن ابن حزم ـ فى فحصه لسند التوراة ونقده ـ كان أستاذاً للحبر العزناطى ابن عزرا ، وكان ابن عزرا قنطرة نقل بواسطته فكر ابن حزم النقدى إلى سبينوزا وحركة نقد الكتاب المقدس الحديثة فى الغرب .

أمّا تحليلات الناقد كارلشتات Carlstat فى القرن السادس عشر حول سند التوراة ، والأعمال العظيمة التى وضعها الراهب ريتشارد سيمون R. Simon سنة ١٦٧٨ م مثل « التاريخ النقدى للعهد القديم » الذى أكد فيه على صعوبة التسلسل ، والتكرار ، والإختلافات فى الأسلوب . . ، وقد تسبب هذا الكتاب فى فضيحة ، وفقد سيمون بسببه منصبه الكنسى المرموق ،

وأمّا الجهد الذى بذله طبيب الملك لويس الخامس عشر جان أستروك J. Astruc فى كتابه « قرائن عن المذكرات الأصلية » التى يظهر أنها استخدمت

---

(١٢٨) الفصل حـ ١ صـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩

(١٢٩) الفصل حـ ١ صـ ٢٩٩

فى صياغة سفر التكوين (١٣٠) ، وقد نشر هذا الكتاب سنة **١٧٥٣** م ، أقرر أن هذه الجهود ـ وغيرها ـ كانت ولا ريب جهوداً ممتازة ، شكلت حركة علمية منهجية لنقد الكتاب المقدس فى الغرب (١٣١)، وقد استمدت من مصادر إسلامية رائدة يعد ابن حزم فى طليعتها (١٣٢) ، وهى بحاجة إلى دراسات مقارنة تكشف عن الأهمية البالغة لها فى دفع حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب ، وسنفرد لها مبحثا مستقلاً إن شاء الله تعالى .

ابن حزم يفحص سَنَدَ سِفْر يشوع :

يقرر ابن حزم أن يوشع بن نون لم يكتب هذا السفر المنسوب إليه **« والبراهين قاطعة على أنه ـ أيضا ـ تاريخ ألفه لهم بعض متأخريهم بيقين ، وأن يوشع لم يكتبه قط ، ولا عرفه ، ولا أنزل عليه (١٣٣) »** ومن هذه البراهين **أن فيه : « فلما انتهى ذلك إلى دوسراق ملك يبوس التى بنى فيها سليمان بيت المقدس فعل أمراً . . ذكره . . . فمن المحال أن يخبر يوشع أن سليمان بنى بيت المقدس ، ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة . ولم يأت هذا النص على سبيل الإنذار أصلا ، وإنما مساقه ـ بلا خلاف منهم ـ مساق الإخبار عما مضى .**

---

(١٣٠) من هذه القرائن التى قدمها أستروك أن سفر التكوين يطلق اسم يهوه Yohveh مرة واسم الوهيم Elohim على الله مرة أخرى . ومعروف من الدراسات النقدية الحديثة أن المصدر الإليهومى Elohist للأسفار الخمسة ، كان متأخراً عن المصدر اليهوى Yohuist .

(١٣١) انظر للدكتور موريس بوكاى كتابه : ماأصل الأنسان فى ضوء العلم والكتب المقدسة ؟ صـ ١٥١ نشر مكتب التربية للخليج العربى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م

(١٣٢) أقر بذلك بعض الدراسين الغربيين ، ومنهم دى لابوليبه فى : الدراسات المقارنة للأديان حـ ١ صـ ١٠٨ ، نقلا عن مقدمة الأب روبير شديداق لكتاب الرد الجميل .

(١٣٣) الفصل حـ ١ صـ ٣٠٦

ـ وفيه روايات منسوبة إلى يوشع يحيل الشرع والعقل أن يفعلها نبى أو يأمر بها ؛ مثل الرجل الذى غلّ شيئا من الغنيمة ، فأمر يوشع برجمه ، ورجم بنيه ، ورجم بناته بالحجارة حتى الموت ، وأمر بإحراقه وإحراق مواشيه كلها . . وهذا مناف للعدل جملة وتفصيلا .

ـ وفيه أن موسى لم يختن بنى إسرائيل ممن ولد بعد خروجه من مصر ، وعندما دخلوا الأرض المقدسة لم يكونوا مختونين ، فختنهم يوشع بعد أن جاوزوا الأردن . وهذا معناه أن موسى عليه السلام ، قد ضيّع شريعة الرب الوكيدة بأن « من لم يختن فى يوم أسبوع ولادته فلتنف نفسه من أمته ، أى : فليقتل . فهذه ، ومثلها تقطع بأن يوشع لم يكتب هذا الكتاب الذى نسب إليه باطلا .

ثم يبحث ابن حزم الزبور ، وبعض أسفار العهد القديم الأخرى ، بنفس المنهج النقدى الذى فصّلنا ـ فيما سبق ـ الكلام فيه .

أبُو المعَالِى الجُوَيْنى يفحص سَنَدَ التَّوْراة :

إن المجال لا يتسع لدراسة كل تحليلات علماء الأديان المسلمين لسند التوراة ، وشرح كل ما قيل فى التراث الإسلامى الثرى حول هذه المسألة ؛ لذا سنقدم نماذج فقط مما عرضه الجوينى والسموأل والقرطبى ، ونبدأ بفحص رأى إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

يقطع إمام الحرمين بأن هذه الأسفار الخمسة المسماة التوراة ليست هى التى أنزلها الله على موسى عليه السلام . ولكن هى التوراة التى كتبها عزرا الورّاق ، بعد فتنتهم مع بخت نصر ، وقتله جموعهم وطوائفهم ، . . وإتلافه ما بأيديهم من الكتب ؛ لعدم انقياده لأحكام شريعتهم ، وجزمه بفسادها ، . . وتحذيره من التفوّة بذكرها . . . إلى أن انقرض ـ والحال كذلك ـ جيل ، حتى كان من بقى ، وظفر بشىء من أوراقها ، يقصد

المغائر ، ويتحّيل فى قراءتها خلسة (١٣٤) .

« وهذه النسخة كتبها عزرا قبل بعثة المسيح ، عليه السلام ، بخمس مائة وأربعين سنة . . أمّا عزرا - وإن رفعوا قدره - فناسخها من نسخة ، فوقوع التبديل ممكن ، لحرصه على استمرار رياسته ، وعدم القول بعصمته ، لما نعلم له من الإقدام على فعل الصغائر والكبائر . . ورئاسة بنى إسرائيل كان شأنها عظيماً (١٣٥) . » ، فتبديلها إذاً ممكن .

ويبرهن على خطأ نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام ، بأن اليهود والنصارى قد صرحوا بوقوع الكذب فى نسخ التورراة التى بيد كل فريق . . . ؛ فاليهود يزعمون بأن النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ . . ، والنصارى يزعمون أن اليهود بدّلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عناداً وحذراً من الاعتراف برسالة المسيح عليه السلام . . ، فقد أجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل ، وكل طائفة تجعله صفدا فى عنق الأخرى (١٣٦) »

ومما يبرهن به إمام الحرمين على تبديل التوراة والإنجيل : أنه قد نطق بالخبر اليقين صريح القرآن أن نصوص التوراة والإنجيل اشتملت على ذكر سيد المرسلين صلوات الله عليه . . . وهذا السبب هو الحامل علماء الإسلام على القول بالتبديل (١٣٧) .

يقصد الجوينى أن القرآن الكريم قد صرح بأن الكتب السابقة ، أعنى التوراة والإنجيل قد بشرّت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكرت صفته

---

(١٣٤) الجوينى : « شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل » طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية ؛ الرياض ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

(١٣٥) شفاء الغليل صـ ٣٠ - ٣١ - ٣٢

(١٣٦) المصدر السابق صـ ٣٢ - ٣٣

(١٣٧) المصدر السابق صـ ٢٨

ونعت أمته وحاله . . . إلخ . وكل ذلك بالتفصيل التام والاسم الصريح للرسول عليه الصلاة والسلام . والأسفار الحالية ـ وإن وجدت فيها بشارات ـ فهى لم تذكر بالتفصيل والصراحة التى أشار إليها القرآن الكريم .

ثم يسوق الجوينى حجج الفريقين فى إنكار وقوع التبديل فى التوراة ، ثم يفندها ويدحضها ، ـ بعد أن يوجه إليهم لوماً وتقريعاً بسبب ركونهم إلى قول أكابرهم الجهلاء من غير نقد وتمحيص . . . ومن حججهم أنهم قالوا :

« إن القول بالتبديل مشروط بإمكانه ، وإمكانه مشروط بتعلق العلم بحصر نسخ التوراة والإنجيل المبثوثة فى أقطار الأرض ، مع اتساع رقعتها ، ومشروط ـ أيضا ـ بانقياد كل فرد من أفراد الفريقين : عالمهم ، وجاهلهم ، وزاهدهم ، وعابدهم ، وبَرّهم ، وفاجرهم ، وإجماعهم على رأى واحد ، ومقالة واحدة ، مع تباين الآراء واختلافها (١٣٨) .

ثم إن التوراة منها نسخة بيد اليهود ، ونسخة بيد النصارى ، وعداوة هاتين الطائفتين وتباين آرائهم ، وعدم إنقياد كل عدو منهم لرأى عدوه معلوم ضرورة !! . . يقصد عدم إمكانه اتفاقهم على تبديل التوراة ، أو على صورة هذا التبديل (١٣٩) .

وقيل أن يرد الجوينى على هذه الشبهة يقرر قاعدة منهجية قيمة ، هى : « أنّ أكثر العَمايات فى العلوم إنما جاءت من أخذ الحجج مسلمةً ، مِنْ غير امتحان الفكر ، وتدقيق النظر فى تصحيح مقدماتها (١٤٠) »

---

(١٣٨) هذه شبهة أثارها علماء النصارى القدماء مثل : يوحنا الدمشقى ، ويحيى بن عدى اليعقوبى ، والمطران أيشرعاب بن ملكون مطران نصيبين وهو نسطورى المذهب ، ذكروا ذلك فى استدلالهم على صحة الكتاب المقدس !! ، وخلوه من التحريف والتبديل . . . وسنتناول ذلك فى مبحث مستقل .

(١٣٩) انظر التعليق السابق .

(١٤٠) شفاء الغليل صـ ٣٠

ثم يرد عليهم اليهـود بما سبق آنفـاً من أن اليهـود يتهمـون النصـارى بالتبـديل ، والنصـارى يتهمـون بالتبـديل ، وهـذا حاصـل منهم ، أقرَّبه علماؤهم الموثوقون عندهم (١٤١) .

ويد حصـن حجّتهم بسـوق التناقض والتكاذب الواقع فى النسختين ؛ العبرية التى بيد اليهود ، واليونانية التى بيد النصارى.(١٤٢) . . . ، والتى تزعم كل طائفة أن ما بيدها هو المنزل على موسى عليه السلام ، وهو عين التبديل .

كما أنه ـ حين كتب عزرا هذه النسخة المحّرفة المبدلة المكذوبة « لم يكن على وجـه الأرض نصراني . . فحينئـذ التبـديل ممكن ، لعدم تعلق العلم بحصر نسخ التوراة المثبوتة فى أقطار الأرض ، ولعدم توقفه على انقياد كل فرد من أفراد الفريقين ، ولعدم كون نسخها فى أيدى اليهود والنصارى ؛ لأنها لم تصر إلى أيدى النصارى إلى بعد تبديلها (١٤٣) » . ثم يلتفت إلى النسخة التى بأيدى طائفة السّامريين اليهودية ، ومباينتها لسائر النسخ التى بأيدى من عداهم من الطوائف ، فيقول فى عبارة مركزة . . لو اقتصر عليه ، لكان فيه ثبت لمن يقول بوقوع التبديل (١٤٤) » .

---

(١٤١) اقرأ مثلا ما جاء فى تفسير هنرى واسكات لأسفار العهد القديم المطبوع فى لندن ، على لسـان أكسـتاين ، وهو من كبار علمائهم القدماء : إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمان الأكابر الذين كانوا قبل زمان الطوفان ، وبعده ، إلى زمن موسى !!

. فعلوا ذلك لتصير الترجمة اليونانية غير معتمدة ، ولعناد الدين المسيحى » نقلا عن (إظهار الحق)

(١٤٢) شفاء الغليل صـ ٣٣ ـ ٣٨

(١٤٣) شفاء الغليل صـ ٣١

(١٤٤) السابق صـ ٣٨

السموأل بن يحيى المغربي (المتوفى سنة ٥٧٠ هـ) يفحص سند التوراة :

يقرر السموأل [١٤٥] (شموائيل بن يهوذا سابقاً) أن « هذه التوراة التى بأيديهم - على الحقيقة - كتاب عزرا ، وليست كتاب الله [١٤٦] » كما يقرر بأنه « لا يعتقد أحد من علماء اليهود وأحبارهم البتة أن هذه التوراة التى بأيديهم ، هى المنزلة على موسى [١٤٧] . »

وبتحليل الفكر النقدى للسموأل الذى درس به سند التوراة ، نراه يرجع الظروف ، والملابسات التى حرّفت - فى ظلها - التوراة ، أوقل الأسباب وراء هذا التحريف - إلى عنصرين رئيسين ، هما :

أولاً : الأسلوب السائد فى حفظ التوراة وتناقلها عند بني إسرائيل .

ثانيا : الأحداث الجسام التى مرت بالأمة الإسرائيلية من داخلها ومن خارجها على السواء .

ثم يشرح السموأل ذلك بقوله :

« إن موسى ، عليه السلام ، صان التوراة عن بنى إسرائيل ، ولم يبثها فيهم ؛ وإنما سلمها إلى عشيرته . بنى ليوى .. ودليل ذلك قول التوراة ذاتها : (وكتب موسى هذه التوراة ، ثم دفعها إلى الأئمة أولاد ليوى) .. وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم ؛ لأن الإمامة وخدمة القرابين ، وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم » .

---

(١٤٥) هو العلامة المهتدى السموأل بن يحيى المغربي المتوفى سنة ٥٧٠ هـ ، كان عالماً يهودياً بارزاً ، وطبيباً نطاسياً ، ورياضياً بارعاً ، درس الأديان دراسة متعمقة مستنيرة مقارنة ، فشرح الله صدره للإسلام ، فأسلم . ثم كتب كتاباً أسماه : « إفحام اليهود » ثار فيه جملة من أمهات قضايا الأديان ، كما كتب لنفسه (سيرة ذاتية) دقيقة . وقد حققنا الكتاب والسيرة الذاتية ، ونشرتها دار الهداية بالقاهرة .

(١٤٦) ، (١٤٧) : السموأل : إفحام اليهود ، فصل : (ذكر السبب فى تبديل التوراة) صـ ١٣٥ - ١٤٥ ، دار الهداية ، ١٩٨٦ م القاهرة

« ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها : (ها أزينو) ، فإن هذه السورة من التوراة هى التى علمها موسى بنى إسرائيل : (وكتب موسى هذه السورة وعلّمها بنى إسرائيل) . وأيضاً فإن الله قال لموسى : (وتكون لى هذه السورة شاهداً على بنى إسرائيل) . وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة : (لأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم (١٤٨)) .

ويرى السّموأل أن فى هذا دليلاً على « أن غيرها سوف ينسى ، ودليل على أن موسى لم يعط بنى إسرائيل من التوراة إلاّ هذه السورة . . أمّا بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون ، وجعلها فيهم ، وصانها عمّن سواهم . »

كما أنه « لم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سُنةً ؛ بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة » وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ، ويحفظون أكثرها ، « قتلهم بخت نصر على دمٍ واحد يوم فتح بيت المقدس (١٤٩) »

وبهذا أصبحت الظروف مواتية لوضع توراة جديدة بدل توراة موسى التى ضيّعت : « فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم ، وزالت دولتهم ، وتفرّق جمعهم ، ورفع كتابهم ؛ جمع من محفوظاته ، ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفّق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن (١٥٠) »

---

(١٤٨) يذكر الدكتور Owen Cole أستاذ الأديان فى جامعة إكسفورد ـ بناءً على دراسة لفائف البحر الميت أن الكلمات المعينة التى يقرأها اليهود اليوم فى مجمعهم Synagogue هى نفس تلك الكلمات التى كانت تقرأ فى أورشليم قبل ألفي سنة ، أنظر كتابه :
Six Religions ..., P.67, Hulton, 1984

(١٤٩) إفحام اليهود ، صـ ١٣٨

(١٥٠) المصدر السابق ، ومن أجل ذلك بالغ اليهود فى تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة ، وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذى عند بطائح العراق ؛ لأنه عمل لهم كتابهم الذى يحفظ دينهم . . ، كما غلا بعضهم فيه وزعموا أنه ابن الله ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

أى أن بنى إسرائيل قد اصطلحوا على أنّ تلفيقات عزرا هذه هى توراة موسى : « ولا ينبغى للعاقل أن يستبعد اصطلاح كافة هذه الطائفة على المحال ، واتفاقهم على فنون من الكفر والضلال !! (١٥١) »

ثم يشرح السموأل العنصر الثاني الذى كان بمثابة السبب المهىء لتحريف التوراة ، وأعنى به : الحوادث الجسام التى عرضت لبنى إسرائيل من داخلهم ومن خارجهم ، فيقول : « إن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها . وأخذها بلادها ، انطمست حقائق سالف أخبارها ، واندرس قديم آثارها ، وتعذّر الوقوف عليها . . ولا تزال هذه الفنون (الحوادث الجسام) متتابعة عليها إلى أن تستحيل علومها جهلاً ؛ وكلما كانت الأمة أقدم ، واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالإذلال والإيذاء ، كان حظها من اندراس الآثار أكثر . .

« . . وهذه الطائفة ـ بلا شك ـ أعظم الطوائف حظاً مما ذكرناه ؛ لأنها من أقدم الأمم عهداً ، ولكثرة الأمم التى استولت عليها ؛ من الكنعانيين ، والبابليين ، والفرس ، واليونان ، والنصارى ، والاسلام

« . . وما من هذه الأمم إلاّ قصدهم أشد القصد ، وطلب استئصال شأفتهم ، وبالغ فى إحراق بلادهم وإخرابها ، وإحراق كتبهم إلاّ المسلمين (١٥٢) » . خذا بعض ما نال اليهود من غيرهم .

أمّا ما نالهم من ملوكهم العصاة الطغاة الكفرة فهو « أشد على اليهود من جميع هذه المماليك » .

« وإن ما نالهم من ملوكهم الطغاة الجبابر ة مثل (أحاب ، وأحزيا ، وأمصيا ، ويهورام ، ويربعام بن بناط ، وغيرهم من الملوك الإسرائيلين الذين قتلوا الأنبياء ، وبالغوا فى تطلبهم ، ليقتلوهم ، وعبدوا الأصنام ، وأحضروا

---

(١٥١) المصدر السابق صـ ١٤٣

(١٥٢) إفحام اليهود ، صـ ١٤٤

من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها ، وتعليم رسوم عبادتها ، وابتنوا لها البيع العظيمة والهياكل ، وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بنى إسرائيل ، وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة وأعصاراً متصلة

« فإذا كان هذا تواتر الآفات على شرعهم من قبل ملوكهم ، ومنهم على أنفسهم ، فما ظنك بالآفات المتفننة التى تواترت عليهم من استيلاء الأمم - فيما بعد - عليهم ، وقتل أئمتهم ، وإحراق كتبهم ، ومنعهم إياهم عن القيام بشرائعهم ؟ !(١٥٣) »

وبما أن حفظ الكتاب لم يكن فيهم فرضاً ولا سنة ، وأنه قد صين عنهم فلم يحفظ إلّا عند الأحبار بنى ليوى ، وأن هؤلاء قد قتلوا عن بكرة أبيهم فى غزوة بخت نصرّ البابلى ، كما أن بعضهم لم يكن أميناً عليها ، وكذلك فإن الحوادث الجسام التى ألمت بهم وعطلت شريعتهم ، وأحرقت كتبهم ، منهم على أنفسهم ، ومن الأمم الأخرى . . كل ذلك قد هيأ الفرصة لضياع التوراة المنزلة ، ودفع عزرا ومعاونية أن يلفقوا هذه الأسفار الحالية .

إن تحليل السموأل هذا ، يتفق - فى مجمله - مع تحليل إبن حزم الأندلسى الذى سبقه بأكثر من مائة سنة ، ويكتسب رأى السموأل أهمية عميقة لأنه كان حبراً يهودياً مبرزاً قبل إسلامه (١٥٤) .

---

(١٥٣) المصدر السابق ، صـ ١٤٥

(١٥٤) وقد أزعج كتاب السموأل (إفحام اليهود) اليهود إزعاجاً كثيراً ، يظهر ذلك فى كتاب فيلسوفهم المعروف بسعد بن منصور بن كمونة المتوفى سنة ٦٨٣ هـ ، وقد ألف ابن كمونه كتاب « تنقيح الأبحاث للملل الثلاث » للرد - فى المقام الأول - على كتاب (إفحام اليهود) للسموأل بن يحيى المغربي المتوفى سنة ٥٧٠ هـ .

رحمة الله الهندى الكيرانوى ت ١٣٠٨ هـ ١٨٩١ م . يفحص سند التوراة وبقية أسفار العهد القديم :

عاش الشيخ رحمة الله فى الهند فى القرن التاسع عشر الميلادى، تحت سيطرة الأستعمار الإنجليزى البرونستانتى على البلاد والعباد ، وقد تطاول علماء النصارى البروتستانت الذين وفدوا فى ركاب المستعمر ، على الدين الإسلامى : عقيدةً وشريعةً وتاريخاً وحضارةً وكتاباً وسنّة . وقد دفعت هذه الأوضاع السّيئة العلامة رحمة الله إلى مقاومة هذه الغارة التبشيرية المتجنيّة المتطاولة على الإسلام مقاومة علمية عقلية . . فبدأ بدراسة التراث الإسلامى فى حقل مقارنة الأديان والجدل مع أهل الكتاب ، ثم درس تراث النصارى المتمثل فى كتبهم الدينية وتفاسيرهم وتواريخهم ، وقد أتاح له سفره إلى حاضر الخلافة العثمانية الاطلاع على مزيد من نفائس المؤلفات المحفوظة فى خزائنها ومكتباتها . . . وقد ركز الشيخ رحمة الله على دراسات علماء البروتستانت بصفةٍ خاصة ؛ لأن هؤلاء هم الذين جاءوا فى معية المستعمر ، ومن ثم راجت كتبهم وذاعت فى بلاد الهند .

وإذا أخذنا فى الحسبان أن طائفة البروتستانت ـ منذ ظهورها على أيدى لوثر وكالفن وزونجلى وتلاميذهم من بعد ـ هى التى أخذت على عاتقها دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد دراسة نقدية حرة إلى حدٍ ما ، عرفنا أن رحمة الله الهندى قد وفق إلى تحصيل قدر وفير من تراثين مهمين فى مجال دراسة الكتاب المقدس ، فتضلّع منهما ، وهضم وتمثّل ، ثم نسّق وهذب ، واستقرأ واستنتج ، وأخرج كتابه القيم المسمى بـ (إظهار الحق (١٥٥)) .

---

(١٥٥) ومع أن هذا الكتاب المهم قد طبع مراتٍ عديدة ، فإنه لم يحقق تحقيقاً علمياً مرضياً . . ولايزال بحاجة ماسة إلى التحقيق العلمى المنهجى . ومعروف أن هذا الكتاب كان رداً مفحماً على كتاب المبشر الدكتور فندر Funder المسمى : (ميزان الحق) .
=

ويمكن أن يقال إن دراسة رحمة الله الهندى لقضية سند التوراة والعهد القديم يعد تلخيصاً ممتازاً لأطراف هذه المسألة ، وإن ما رأيناه عند ابن حزم الأندلسى ، وابن عزرا ، واسبينوزا ، والجوينى والسموأل بن يحيى والقرطبى المفسرّ والقرافي نجد صداه فى تحليلات رحمة الله الهندى ، كما نجد له اقتباسات مطوّلة من علماء البروتستانت كما أشرنا إلى ذلك آنفا .

يقرر رحمة الله أنه لابد من السَّند المتصل لأى كتاب يدعى أنه كتب بوحى ، فيقول : « لا نعتقد بمجرد استناد كتاب من الكِتب إلى نبى أو حوارى أنه الهامى أو واجب التسليم . . ، وكذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم ذلك ؛ بل نحتاج إلى دليل ؛ ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السَّند المتصل لكتبهم ، فما قدروا !! ، واعتذر بعض قسيسيهم فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم (١٥٦) فقال : إن سبب فقدان السّند عندنا ، وقوع

ونشيرها إلى أننا كنا نود أن نعرض دراسة إمامين كبيرين لسند التوراة ؛ هما : الإمام القرطبى المفسر المتوفى سنة ٦٧١ هـ ، والإمام القرافي الصنهاجى ٦٨٤ هـ . لكنا خشينا التطويل ، ويمكن للقارىء الكريم مراجعة كتاب القرطبى : (الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، وإظهار محاسن دين الإسلام ، وإثبات نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام) فصل : (بيان ماطرأ فى التوراة من الخلل وأنها لم تنقل نقلاً متواتراً فتسلم لأجله من الخطأ والزلل) صـ ١٨٨ - ٢١١ نشرة دار التراث العربي بالقاهرة .

وانظر كتاب القرافي المسمى : (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة) مصورة رقم ٤٠٤ بجامعة الإمام عن نسخة الفاتح بتركيا .

(١٥٦) وقعت هذه المناظرة بينه وبين القسيس المنصر الدكتور فندر Funder فى الهند سنة ١٢٧٠ هـ - ١٨١٨ م وقد الزم الشيخ فى هذه المناظرة علماء النصارى القول بوقوع النسخ والتحريف فى كتبهم ، وقد ألف الشيخ - على إثر هذه المناظرة - كتابه (إظهار الحق) . وقد طبعت هذه المناظرة مرات عديدة ، ثم حققها أخيراً محمد عبد القادر خليل ونال بهذا التحقيق درجة الدكتوراة ، ونشرها بالرياض ١٤٠٥ هـ .

المصائب والفتن (عليهم) . . ، وتفحّصْنا في كتب الاسنادِ لديهم (١٥٧) ، فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين . . . ، وقد قلت : إنّ الظن ـ في هذا الباب ـ لا يعني شيئاً (١٥٨) » .

ثم يبدأ رحمة الله بفحص سندا التوراة ـ وهي أُسُّ الملة اليهودية والملة النصرانية ـ فيقطع بأنه « لا سند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من تصنيفاته (١٥٩) » ومن ثم فهي كتاب موضوع منحول ، وليست وحياً منزلاً ، ونسبتها إلى موسى ، عليه السلام ، كذب وباطل وزور .

هذا رأي الشيخ وحكمه الذي يدلل عليه بأمورٍ ، رتّبناها ونسقناها وهذّبناها كما يلي :

أولها : أن الظروف التي مرت بها التوراة لم تعمل على حفظها وصيانتها ، ولم تجعل تحريفها أمراً بعيداً ؛ بل إن هذه الظروف هيّأت مناخاً مناسباً جداً يغري بالتحريف والتبديل والوضع ؛ ذلك أن « تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيّا بن آمون ، والنسخة التي وجدت (١٦٠) بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقيناً . . ، ومع كونها غير معتمدة

---

(١٥٧) مثل كتاب نورتن المطبوع في بوسطن سنة ١٨٣٧ م حسب إشارة رحمة الله نفسه .

(١٥٨) إظهار الحق ١ / ١٠٢ ـ ١٠٣ طبعة قطر (مصورة عن طبعة عمر الدسوقي) .

(١٥٩) السابق / نفس الموضع

(١٦٠) يقصد تلك النسخة التي أعلن الكاهن الهاروني الأكبر حلقيا أنه عثر عليها في الهيكل عند إشرافه على ترميمه بتكليف من الملك يوشيا بن آمون ، وسلمها الكاهن إلى مستشار الملك ، الذي سلمها بدوره إلى الملك ، فما أن رآها الملك حتى عظمها ووقرها وقرأ فيها وبكى بكاءً شديداً ، وجمع بني إسرائيل وقرأها عليهم ، وفي هذا بيان واضح أن هذه التوراة كانت مفقودة ، ومفقودةً من زمان بعيد جداً . . وكل هذا مسجل في أسفارهم التي يقدسونها بتفصيل تام . . انظر سفر الملوك الثاني ٢٣ : ١ ـ ١٥ ، ٢١ ـ إلى آخره .

فقـد ضاعت هذه النسخة قبل حادثة بختنصرّ . . ، وفى حادثته انعدمت التوراةُ وسائر كتب العهد القديم عن صفحة العالم رأساً ، ولما كتب عزرا هذه الكتب ـ على زعمهم ـ ضاعت نسخها وأكثر نقولها فى حادثة انتيوكس (١٦١) »

وقد وقعت على اليهود حوادث أخرى ، منها حادثة طيطوس الروماني ، وهى حادثـة عظيمـة وقعت بعـد عروج المسيح عليه السلام بسبع وثلاثين سنـة ، وهى مكتـوبـة بالتفصيل التـام فى تاريخ يوسيفـوس (١٦٢) وتواريخ

---

(١٦١) إظهار الحق ، حـ ١ صـ ٤٨٨ ـ ٤٩٥ ، وأرى ان هذه الأمور قد صارت واضحـة للقـارىء الكـريم . وحـادثـة أنتيوكـس المشار إليها هى التى ورد ذكرها فى الأصحاح الأول من السفر الأول للمكابيين : . . لما فتح أنتيوكس ملك ملوك الروم أورشليم أحـرق جميع نسـخ العهـد القديم التى حصلت له من أى مكان ، بعد ما قطعها ، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق ، أو يؤدى رسم الشريعة يقتل ، وكان يتحقق من هذا الأمر فى كل شهر ، فكان يقتل من وجد عنده نسخة من كتب العهد القديم ، أو ثبت أنه أدى رسماً من رسوم الشريعة ، وتعدم تلك النسخـة ، وكانت هذه الواقعة سنة ١٦١ ق . م ، واستمرت هذه الواقعة إلى ثلاث سنوات ونصف السنة كما ذكر فى تاريخ يوسيفوس الشهير ، فانعدمت الكتب التى كتبها عزرا ، وقـد أقر بذلك المفسر اللاهوتى الكاثوليكى جان ملنر ، فقال : « . . . لما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ، ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة انتيوكس ،

(١٦٢) هو فلافيوس يوسيفوس Fiavius Josephus من أشهر مؤرخى اليهود ولد فى أورشليم سنة ٣٧ ميلادية ، وهو ينحدر من أسرة عريقة ، أرسل من قبل رؤساء اليهود فى سفارة إلى روما ، ثم اشترك فى ثورة اليهود ضد الرومان ، وهزم اليهود ، ثم صحب القائد الرمانى طيطوسTiTus إلى أن مات فى روما سنة ٩٨ م ، وألف كتاب : (حروب اليهـود) فى سبعة أجزاء بالأرامية ، ثم ترجم إلى اليونانية ، وألف كذلك : (تاريخ اليهود القديم) فى عشرين مجلداً من بدء الخليقة إلى سنة ٦٦ م

وقد كان شاهد عيان لكثير من الوقائع ، ومن ثم اكتسبت كتبه قيمة عظيمة لدى علماء التاريخ ، ومن الجدير ذكره أنه لم يذكر شيئاً عن المسيح عليه السلام غير إشارات مقتضبةٍ جداً !! . . . وقد قرأ ابن حزم الأندلسى بعض كتبه ، وامتدحه وأحسن القول فيه (انظر : الفصل

أخرى . . وهلك فى هذه الواقعة فى أورشليم وما حولها من بلاد اليهود أكثر من ألف ألف ومائة ألف يهودى بالجوع ، والنار ، والسيف ، والصَّلب ، وأسر سبعة وتسعون ألفاً وبيعوا فى الأقاليم . . وهلك جموع كثيرة فى أقطار الأرض اليهودية ، وانعدمت فيها تماماً نقول عزرا (١٦٣) .

إن كثرة هذه الحوادث فى بنى إسرائيل ، إلى جانب كون التوراة غير متواترة فيهم ، بمعنى أنه لم ينقلها الكافّة عن الكافّة فى كل زمان ؛ كل ذلك قد هيّأ مناخاً مناسباً للتحريف والتزييف .

الدليل الثاني : يتمثل فى أن الكتب التى يزعم أهل الكتاب أن أنبياءهم مثل : عزرا ، وحجّاى ، وزكريا وحزقيال ، وغيرهم قد كتبوها وحياً ، وقع فيها مخالفات صريحة ـ لا يمكن دفعها ـ مع التورراة الحالية . وقد وقعت هذه المخالفات بين التوراة وأسفار هؤلاء الأنبياء فى : الأسماء ، والأعداد ، والأحكام ، والأنساب وغير ذلك .

وما دام هؤلاء أنبياء ـ بإقرارهم ـ فقد كانوا متبعين لتوراة موسى يقيناً . . « ولو كانت توراة موسى هى هذه التوراة المشهورة لما خالفوها ، ولما وقعوا فى الغلط . . . ، ولما أمكن لعزرا أن يترك التوراة ويعتمد على الأوراق الناقصة . . وكذا لو كانت التوراة التى كتبها عزرا مرة أخرى بالإلهام ـ على زعمهم ـ هى هذه التوراة المشهورة لما خالفها ، فعلم أن هذه التوراة المشهورة ليست التوراة التى صنّفها موسى ، ولا التى كتبها عزرا ، بل الحق أنها مجموع من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود ، جمعها لهم أحبارهم فى هدا المجموع بلا نقدٍ للروايات (١٦٤) » .

---

(١٦٣) إظهار الحق حـ ١ صـ ٤٩٥

(١٦٤) السابق حـ ١ صـ ١٠٤ ـ ١٠٥ . وهذا رأى مهم لرحمة الله الهندى مؤداه : أن عزرا لم يكتب هذه التوراة الحالية المشهورة ، وهو بهذا الرأى يخالف ما أجمع عليه جمهور علماء اليهود والنصارى القدماء والمحدثين ، وما قد وافق عليه جمهور علماء المسلمين . . فقد نسب الجميع التوراة الحالية إلى عزرا كما هو معلوم .

=

ونذكر على سبيل المثال أن أهل الكتاب مجمعون على أن عزرا قد ألّف سِفْرَىْ أخبار الأيام ، بمعاونة نبيين آخرين هما : زكريا وحجّاى . وقد وقع الاختلاف الفاحُش بين ما جاء فى هذين السفرين ، وما جاء فى سفر التكوين ؛ أحد الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، على النحو التالى :

ـ ورد فى السفر الأول لأخبار الأيام : الإصحاح السابع : ٦

« نبو بنيامين : بالع ، وبكر ، ويديع ؛ ثلاثة أشخاص » .

ـ وجاء فى نفس السفر هكذا :

« ولد بنيامين ولده الأكبر بالع ، والثاني إشبيل ، والثالث أحرح ، والرابع نوحاه ، والخامس رافاه » .

ـ وجاء فى التكوين ٤٦ : ٢١ (١٦٥)

« بنو بنيامين : بالع ، وباخور ، وإشبيل ، وحيرا ، ونعمان ، وأحى ، ورُوش ، وما فيم ، وحوفيم ، وارد » .

= وقد كان رحمة الله على وعي بهذا ، لكنه استند إلى دليل قوى ذكره فى النص الذى أوردناه فى متن كلامنا هنا . وقد شرح رحمة الله رأيه هذا فى (ص ٣٥٣ حـ ١) وهو ينفى نسبة التوراة الحالية الى عزرا ، رغم أنه ينقل عبارات قاطعة لعلماء النصارى تؤكد أن عزرا قد كتب هذه الأسفار الخمسة المسماة التوراة ، مثل قول كليمنس اسكندريانوس : « إن الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى . » وقول ترتولين : « المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب المقدسة بعد ما أغار البابليون على أورشليم . » ، ومثل قول جان ملنر الكاثوليكى فى كتابه الذى طبع فى مدينة دربي سنة ١٨٤٢ م صـ ١١٥ « أتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية ضاعت على أيدى عسكر بختنصر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ، ضاعت تلك النقول أيضاً فى حادثة أنتيوكس » المشار اليها ، وقول تهيوفلكنت : « إن الكتب المقدسة انعدمت تماماً فأوجدها عزرا مرة أخرى بإلهام راجع : إظهار الحق حـ ١ صـ ٣٥٣ ـ ٣٥٤

(١٦٥) من طبعة سنة ١٨٤٨

ثم يعلق رحمة الله على ذلك قائلاً : « ففى العبارات الثلاث اختلاف فى الأسماء والأعداد !! » . . ولما كانت العبارتان الأوليان من سفر واحدٍ ، لمصنّفٍ واحدٍ ، لزم تناقضُ المصّنف ، وهو عِزْرَا النبىّ . . . ولاً شك أن إحدى العبارات تكون صادقة ، والباقيتان تكونان كاذبتين . وتحيرّ علماء أهل الكتاب فيه واضطربوا ، ونسبوا الخطأ إلى عزرا النبىّ ؛ فقال (آدم كلارك [١٦٦]) ذيل العبارة الأولى :

كُتب ههنا ـ لأجل عدم التمييز للمصنّف ـ ابنُ الابن موضعَ الابن ، وبالعكس !! ، والمطابقة فى مثل هذه الاختلافات غير مفيدة ، وعلماء اليهود يقولون : إن عزرا الذى كتب هذا السفر ما كان له علم بأن بعض هؤلاء بنون أو بنوأ بناء !! ، ويقولون أيضا : إن أوراق النّسب التى نقل عنها عزرا كان أكثرها ناقصاً !! ، ولابد لنا أن نترك أمثال هذه المعاملات [١٦٧] .

ومن جانبنا نقول : إن كان عزرا قد كتب لهم هذه الأسفار ، طبقاً لدعواهم ، وقد اعترفوا أنه أخطأ فى سفر أخبار الأيام وناقض نفسه فيه ، وناقض به سفر التكوين ، فإن الخطأ واقع منه فى جميع أسفار العهد القديم التى تنسب إليه ، ولا مناص .

ـ وكذلك من قابل بين الإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال

ـ وهو أحد أنبيائهم باتفاق ـ بالإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد ، وجد تخالفاً صريحاً فى الأحكام . وظاهر أن حزقيال كان متبعاً لموسى عليه السلام فى توراته . فلو كانت التوراة فى زمانه (يعنى لو كانت توراة موسى فى زمان حزقيال) مثل هذه التوراة الحالية ، لما

---

(١٦٦) آدم كلارك واحد من كبار مفسرى العهدين القديم والجديد ، وقد طبع تفسيره فى لندن سنة ١٨٥١ م

(١٦٧) إظهار الحق حـ ١ صـ ٢٥٢ ـ ٣٥٣

خالفها فى الأحكام يقيناً (لأنه نبي) ؛ مما يدل على أن هذه التوراة الحالية ليست توراة موسى عليه السلام . . وهذه مجرد نماذج فحسب لأننا سنشرح بعض ذلك فى مبحث تالٍ إن شاء الله .

الـدليـل الثالث : « تشهد عبارة التوراة ـ أى صياغتها ـ أنّ كاتبها غير موسى عليه السلام ، وهذا الغير جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود ، وميّز بين الأقوال ؛ فما كان ـ فى زعمه ـ قول الله ، أو قول موسى ، أدرجه تحت : (قال الله) ، أو (قال موسى) . وعبرّ عن موسى فى جميع المواضع بصيغة الغائب ، ولو كانت التوراة من تصنيف موسى لكان عبرّ عن نفسه بصيغة المتكلم ، ولو فى موضع واحد من المواضع ؛ لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضى زيادة الإعتبار . . ، وهذا هو الظاهر ، ومن ادّعى خلاف الظاهر فعليه البيان (١٦٨) .

الدليل الرابع : يستدل العلامة رحمة الله الهندى بالطابع العام الموحد فى أسلوب صياغة جميع أسفار العهد القديم ، والمتوقع هو اختلاف الأسلوب وتفاوته وتنوعه ؛ لتباعد الزمان ، واختلاف الأشخاص الذين تسند إليهم هذه الأسفار ، ويسوق قول القسيس نورتن : « إنّه لا يوجد فرقٌ معتدٌ به فى محاورة التوراة ، ومحاورات سائر الأسفار من العهد العتيق الذى كتب فى زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل ؛ مع أنّ بين هذين الزمانين تسع مائة عام ؛ وقد علم بالتجربة أنه يقع الاختلاف فى اللسان بحسب اختلاف الزمان ؛ فمثلا إذا لاحظنا لسان الإنجليز وقسنا حال هذا اللسان بحال ذلك اللسان الذى كان قبل أربعمائة سنة ، وجدنا تفاوتاً فاحشاً ، ولعدم الفرق المعتد به بين محاورة هذه الكتب ظن الفاضل (ليوسلن) الذى له مهارة كاملة فى اللسان العبراني أن هذه الكتب صُنِّفت فى زمان واحد (١٦٩) » . ولم يزعم

(١٦٨) إظهار الحق حـ ١ صـ ١٠٦ ـ ١٠٧

(١٦٩) السابق صـ ١٠٨ ـ ١٠٩

أحد أن موسى عليه السلام قد وضع أسفار العهد القديم كلها ، إذاً فقد وضع هذه الأسفار جميعها شخص آخر غير موسى .

وينقل عن الدكتور اسكندر كيدس قوله فى ديباجة العهد الجديد :

« ثبت لى بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزماً :

الأول : أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى .

والثانى : أنها كتبت فى كنعان أو أورشليم ، يعنى لم تكتب فى عهد موسى الذى كان بنو إسرائيل فيه فى الصحارى .

والثالث : لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود . . ؛ بل قبل ألف سنة من ميلاد المسيح . . فى الزمان الذى كان فيه هومر الشاعر ، فالحاصل أن تأليفها بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى [١٧٠] » .

الدليل الخامس : ما جاء فى التوراة الحالية من إشارات وتصريحات يفهم منها أن التوراة الموسوية الأصلية كانت وجيزة جداً أمكن نقشها على أحجار المذبح [١٧١] ؛ ولو كانت التوراة الأصلية عبارة عن هذه الأسفار الخمسة الحالية لما أمكن ذلك ؛ وقد فصّل هذه النقطة من قبل العلّامة ابن حزم ، والحبر ابن عزرا ، وسبينوزا .

الدليل السادس : أن رسم التوراة الحالية ـ فى أقدم مخطوطاتها ـ ليس هو رسم الكتابة فى زمان موسى عليه السلام ؛ كما تبرزه كتب التاريخ والآثار والحفريات ، وينقل رحمة الله عبارة القسيس (نورتن) عن رسم الأسفار الخمسة : « **أنه لم يكن رسم الكتابة فى عهد موسى [١٧٢]** »

الدليل السابع : أن الأسفار الخمسة الحالية قد وقع فيها أغاليط كثيرة فاحشة ؛ وكلام الله تعالى ، وكلام موسى عليه السلام أرفع وأجل من أن يقع

---

(١٧٠) السابق حـ ١ صـ ١٠٨

(١٧١) سفر الاستثناء ٢٧ : ٨ ، سفر يوشع : ٨

(١٧٢) إظهار الحق حـ ١ صـ ١١٠

فيه مثل ذلك . . . ثم يسوق قائمة مفصّلة تبين هذه الأخطاء التى وقعت فى التوراة الحالية (١٧٣) . وقد نبّه إلى هذه الأخطاء من قبل كثير من علماء مقارنة الأديان المسلمين ، ثم أقرّ به علماء اللاهوت اليهود والنصارى مثل الرّبي قمحي ، والمفسرٍ هارسلى ، والدكتور كرى ، والدكتور لايت فت وغيرهم ، وسنورد نماذج مفصّلة لهذه الأخطاء فى مبحثٍ تالٍ إن شاء الله تعالى .

الدليل الثامن : ورود عبارات فى الأسفار الخمسة الحالية المسماة التوراة والمنسوبة إلى موسى عليه السلام ، لا يصح عقلاً البتة أن يكون موسى هو قائلها أو كاتبها أو واضعها ومصنفها ، وقد نبّة العلماء إلى ذلك من قبل ، وأقرّ علماء اليهود والنصارى بذلك مثل ابن عزرا ، وسبينوزا ، وآدم كلارك ، وهورن ، وجامعى تفسير هنرى وإسكات ، وكنى كات ، وهارسلى ، وغيرهم . وسأقتبس فيما يلى نماذج من تعليقات بعض علماء النصارى على بعض هذه العبارات المدرجة فى التوراة والتى يستحيل نسبتها إلى موسى عليه السلام بحال من الأحوال .

★ **النموذج الأول** : جاء فى سفر التكوين : « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أدوم قبلما ملك لبنى إسرائيل ملك . . ثم يعددهم (١٧٤) »

ولا يمكن البتة أن تكون هذه الفقرة من كلام موسى عليه السلام ؛ لأنها تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قيام ملك بنى إسرائيل . . ومعروف أن أول ملوك بنى إسرائيل هو شاؤل أو طالوت ، وهو قد عاش بعد موسى عليه السلام بأكثر من ثلاثمائة سنة .

ويعلّق الباحث اللاهوتى والمفسرّ الكتابي العلاّمة آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره (١٧٥) ، على هذه الآية قائلاً :

---

(١٧٣) انظر المصدر ذاته من صـ ١١١ ـ ١٢٨

(١٧٤) (٣٦ : ٣١)

(١٧٥) المطبوع فى لندن سنة ١٨٥١ م

« غالب ظني أن موسى ما كتب هذه الآية والآيات التى بعـدهـا إلى التاسعة والثلاثين ؛ بل هذه الآيات هي آيات الباب الأول من السفر الأول من كتاب أخبار الأيام ، وأظن ظناً قوياً قريباً من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة ، فظن الناقل (الناسخ) أنها جزء من المتن ، فأدخلها فيه !!! » .

ويعلّق رحمة الله على كلام كلارك قائلاً :

« فاعترف هذا المفسر بالحاق الآيات التسع ، وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحـة للتحـريف ؛ لأن هذه الآيات التسـع ـ مع عدم كونها من التوراة ـ دخلت فيها ، وشاعت ـ بعد ذلك ـ فى جميع نسخها [١٧٦] »

★ نموذج آخر : ورد فى سفر الاستثناء [١٧٧] : « يائير بن منسى أخذ كل كورة أرجوب . . إلى . . . ، ودعاها على اسمه باشان حدّوث يائير إلى هذا اليوم »

وهـذه العبـارة يستحيل أن تكـون من كلامِ موسى عليه السلام ؛ لأن المتكلم بها لابد أن يكون متأخراً عن يائير تأخراً كثيراً ، كما يشعر به قوله : **إلى هذا اليوم !** وقد بسطنا ذلك عند تحليل رأى الحبر ابن عزرا فى صدر هذا المبحث .

وأهم من تكراره نسوق رأى الباحث اللاهوتى المعروف هورن . . إذ يقول [١٧٨] :

« هاتان الفقرتان لا يمكن أن تكونا من كلام موسى ؛ لأن الفقرة الأولى دالة على أن مصّنف هذا الكتاب كان بعد زمن قيام سلطنة بنى إسرائيل ، والثانية دالّة على أن مصنفه كان بعد زمان إقامة اليهود فى فلسطين . .

---

(١٧٦) إظهار الحق ١ / ٣٧٠

(١٧٧) ٣ : ١٤

(١٧٨) تفسيره على العهدين ، المطبوع فى لندن سنة ١٨٨٢ م

لكن لو فرضناهما الحاقيتين (يقصد منحولتين) لا يتطرق الخلل إلى حقيقة الكتاب !!

ومن نظر بالنظر الدقيق ، علم أن هاتين الفقرتين ليستا بلا فائدة فقط ؛ بل هما ثقلان على متن الكتاب ؛ سيما الفقرة الثانية ؛ لأن مصنفه ـ موسى كان أو غيره ـ لا يقول لفظ : إلى هذا اليوم . فالأغلب أنه كان فى الكتب بهذا القدر : (يائير بن منسى ورث كل أرض أرجوب إلى تخوم . . وسمى باشان باسمه حدّوث يائيير) . . ثم بعد قرون زيد هذا اللفظ فى الحاشية ليعلم أن الاسم الذى سماها به يائير هو اسمها إلى الآن . . ، ثم انتقلت تلك العبارة عن الحاشية إلى المتن فى النسخ المتأخرة . . . ومن كان شاكاً فى هذا الأمر فلينظر النسخ اليونانية ليجد فيها أن الإلحاقات التى توجد فى متن بعض النسخ ، توجد ـ أيضاً ـ فى النسخ الأخرى ـ على الحاشية !! » .

ثم يعلق العلّامة رحمة الله على ذلك قائلا :

« . . فاعترف (هورن) أن هاتين الفقرتين لا يمكن أن تكونا من كلام موسى عليه السلام ،وأنّ هذاالكتاب ـ بعد القرون ـ كان صالحاً لتحريف المحرّفين ؛ لأن هذا اللفظ ، بحسب اعترافه ، زيد بعد قرون ! ، ومع ذلك صار جزءاً من الكتاب !! ، وشاع فى جميع النسخ المتأخرة !! ، وقوله : لو فرضناهما . . إلخ ، فهو يدل على التعصّب ، وهو ظاهر(١٧٩) »

أمّا جامعو تفسير هنرى واسكات فيقولون : « الجملة الأخيرة (يقصد : إلى هذا اليوم) ألحقها أحد ، بعد موسى ، ولو تركت لا يقع الفساد فى المضمون (١٨٠) » .

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس الذى شارك فى وضعه كالمنت وزابت وتيلر وطبع فى كل من أمريكا وبريطانيا والهند ـ : « بعض الجمل التى توجد فى

---

(١٧٩) السابق جـ ١ صـ ٣٧١ ـ ٣٧٢

(١٨٠) نفس المصدر .

كتب موسى تدل صراحة على أنها ليست من كلامه مثل (الفقرة ٤٠ من الباب ٢٢ من سفر العدد ، الفقرة ١٤ من الباب ٣ من سفر الاستثناء ، وكذلك بعض عبارات هذا الكتاب ليس على محاورة كلام موسى ، ولا نقول جزماً إن أىَّ شخص ألحق هذه الجمل والعبارات ، لكن نقول بالظن الغالب إن عزرا النبى ألحقها [١٨١] . . . »

فهؤلاء العلماء جزموا أن بعض الجمل والعبارات ليست من كلام موسى ، لكنهم لم يستطيعوا أن يبيِّنوا اسم الملحق لها على سبيل التعيين ؛ بل نسبوا على سبيل الظن إلى عزرا .

★ نموذج آخر : يعلق آدم كلارك [١٨٢] على ما جاء فى سفر العدد (٢١ : ٣) : « فسمع الله دعاء آل إسرائيل ، وسلَّم فى أيديهم الكنعانيين ، فجعلوهم وقراهم . . ، وسمى ذلك الموضع حرماً .

يقول كلارك : « إنى أعلم أن هذه الآية الحقت بعد موت يوشع ؛ لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا فى عهد موسى ؛ بل بعد موته » ، ومن ثم لا يسوغ أن يكون موسى عليه السلام واضع هذه العبارة .

كما يعلق كلارك على ما جاء فى سفر التكوين (٢٢ : ١٤) ، وما جاء فى سفر التثنية (٢ : ١٢) ، وما جاء فى سفر التثنية أيضاً (٣ : ١١) بأن هذه العبارات لم يكتبها موسى فى التوراة ؛ لكنها إلحاقية ، أى : منحولة موضوعة . ولم يعين كلارك من وضعها أو ألحقها على وجه التحديد .

★ نموذج آخر : ورد فى سفر الخروج (١٦ : ٣٥) : « وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة ؛ أكلوا المن حتى جاءوا إلى طرف أرض مؤاب [١٨٣] » .

---

(١٨١) السابق صـ ٢٧٣

(١٨٢) حـ ١ صـ ٩٩٧ من تفسير آدم كلارك لأسفار العهدين المشار إليه آنفاً .

(١٨٣) من ترجمة البروتستانت سنة ١٩٧٠ م

هذه الآية ليست من كلام موسى ؛ لأن الله لم يمسك المنّ من بنى إسرائيل طيلة حياته ، ولم يدخل بنو إسرائيل أرض كنعان فى حياة موسى عليه السلام ، وقد علّق المفسرّ المعروف آدم كلارك على ذلك قائلاً :

« ظن النّاس من هذه العبارة أن سفر الخروج كتب بعد ما أمسك الله المنّ عن بنى إسرائيل ؛ لكنه يمكن أن يكون عزرا ألْحَقَ هذه الألفاظ (١٨٤) » .

★ نموذج آخر : جاء فى سفر التكوين (١٣ : ١٨ ، ٣٥ : ٢٧ ، ٣٧ : ١٤) لفظ (حَبْرون) علماً على قرية فى فلسطين كان اسمها فى أيام موسى عليه السلام قرية (رابع) ، ثم غيرّ الإسرائيليون اسمها فى زمان يوشع ، وأسموها قرية حبرون ، وقد نص فى سفر يشوع (١٤) صراحة على الاسم الجديد لهذه القرية . . . وفى هذا دليل واضح قاطع على أن هذا كلام شخص آخر غير موسى عليه السلام . وأنه كتبه بعد زمان يوشع .

وكذلك ورد فى سفر التكوين (١٤ : ١٤) لفظ (دان) علماً على قرية ، كان اسمها قرية (ليث) ، وهى قد عمرت بعد زمان موسى ؛ وبالتحديد فى زمان القضاة ، بعد موت يوشع ، ثم أطلق عليها اسم (دان) . . . وهذا مصرّح به فى سفر (القضاة : ١٨) . وفى هذا دلالة على أن موسى لم يكتب هذا الكلام ، وإنما كتبه شخص آخر ، جاء بعد وقوع هذه الحوادث .

وتأمل كلام المفسر اللاهوتى هورن ، وهو يعلق على هذا : « يمكن أن يكون موسى كتب قرية رابع وليث ، لكن بعض الناقلين حرّف هذين اللفظين إلى حبرون ودان » . وفى كل الأحوال هو اعتراف من هذا المفسرٍّ بالتحريف ولا ريب .

★ نموذج آخر : يعترف جامعو تفسير هنرى واسكات بإلحاق العبارتين التاليتين بسفر التكوين (١٣ : ٧) ، (١٢ : ٦) ، وهما : « والكنعانيون والفرزيون حينئذ مقيمون بالبلد » ، « والكنعانيون حينئذ بالبلد » .

---

(١٨٤) تفسير كلارك جـ ١ صـ ٢٩٩

يقر المفسرون المسيحيون بأن موسى لم يكتب هاتين العبارتين فى توراته ، ويقولون :

« هذه الجملة . . . وكذا الجمل الأُخر ، فى مواضع شتى ، ملحقة لأجل الربط ؛ ألحقها عزرا أو شخص إلهامي آخر فى وقت جمع الكتب المقدسة [١٨٥] » .

ويعترف آدم كلارك بأن الآيات الخمس من أول هذا الباب بمنزلة المقدمة لباقى الكتاب وليست من كلام موسى ، والأغلب أن يوشع أو عزرا ألحقها [١٨٦] .

والحق أن علماء الكتاب المقدس !! لا يقتصر إقرارهم بالوضع والإلحاق على بعض العبارات أو الجمل ؛ بل يتعداه إلى الإقرار بإلحاق أو وضع باب أو إصحاح بأكمله إلى سفر التثنية . . ، فيعترف جامعو تفسير هنرى واسكات بأنه قد « تمّ كلام موسى على الباب السابق (يقصد الإصحاح ٣٣) ، وهذا الباب (يقصد الرابع والثلاثين من سفر التثنية) من الملحقات ، والملْحِقُ : إمّا يوشع ، أو صموئيل ، أو عزرا ، أو نبى آخر من الأنبياء بعدهم ، لا يعلم بالجزم ، ولعل الآيات الأخيرة ألحقت بعد زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل [١٨٧] »

أمّا اللاهوتى آدم كلارك فإنّه يقول : « تمّ كلام موسى على الباب السابق ، وهذا الباب (٣٤ من سفر التثنية) ليس من كلامه ، ولا يجوز أن يقال إن موسى كتب هذا الباب أيضا بالوحي ؛ لأن هذا الاحتمال بعيد من الصّدق والحُسْن ؛ بل ويجعل المطلب كله لغواً . . وإنى أجزم بأن هذا الباب كان باباً أولاً لكتاب يوشع ، والحاشية التى كتبها بعض الأذكياء من أحبار

---

(١٨٥) إظهار الحق حـ ١ صـ ٣٧٨

(١٨٦) تفسير كلارك لسفر التثنية حـ ١ صـ ٧٤٩

(١٨٧) عن إظهار الحق حـ ١ صـ ٣٨٠

اليهود على هذا الموضع مرضية ، قابلة للقبول . . ، وإن أكثر المفسرين قالوا إن سفر الاستثناء قد تم على الدعاء الإلهامى الذى دعا به موسى لاثنى عشر سبطاً ، أى على هذه الفقرة (فطوباك يانسل إسرائيل ليس مثلك شعب مغاث بالله . . .) . وأن هذا الباب (الذى أدرج بعد ذلك) كتبه المشائخ السبعون بعد موت موسى ، وكان هذا الباب أول أبواب كتاب يوشع ، لكنه انتقل من ذلك الموضع إلى هذا الموضع !! » وأصبح جزءاً من التوراة المنسوبة إلى موسى (١٨٨) !!

ثم ينقل كلارك ـ وهو يعلق على سفر التثنية الإصحاح العاشر ـ تقريراً مسهباً لكنى كات ؛ خلاصته : « أن عبارة المتن السّامرى صحيحه ، وعبارة المتن العبرى غلط ، وأربع آيات ما بين الخامسة والعاشرة أجنبية ، لو أسقطت لارتبطت العبار ة ارتباطاً حسناً . . فهذه الآيات الأربع كتبت من غلط الكاتب ههنا ، وكانت من الباب الثانى من كتاب الاستثناء . . ويعلق كلارك على تقرير كني كات هذا قائلا : ولا ينبغى أن يتعجل فى إنكار هذا التقرير (١٨٩) .

هذه أدلة رحمة الله الهندى على أن هذه الأسفار الخمسة لا يجوز نسبتها البتة إلى موسى عليه السلام ؛ لأنها ليست من وضعه ؛ بل صنّفها كاتب بعد موسى عليه السلام بزمان طويل ، ونسبت إليه باطلاً وزورا .

وفى الواقع إن فَحْصَ رحمه الله لسَندِ التوراة قد لَخَّص لناحجج السابقين من علماء المسلمين واليهود والنصارى مثل : ابن حزم ، والجوينى ، والسّموال ،

---

(١٨٨) نقلاً عن إظهار الحق حـ ١ صـ ٣٧٩

(١٨٩) تفسير كلارك حـ ١ صـ ٧٧٩ ـ ٧٨٠ (عن إظهار الحق)

والقرطبى ، وابن عزرا وسبينوزا ، وهورن ، وهارسلى ، وآدم كلارك ، وغيرهم (١٩٠) .

هذا فيما يتعلق بسند الأسفار الخمسة ـ وهى أهم كتب اليهود والنصارى وأوثقها عندهم ـ ، أمّا بقية أسفار العهد القديم ،فحالها ـ من حيث السند ـ أسوأ من حال الأسفار الخمسة ، وقد أقرّ علماء اليهود والنصارى بالوضع والإلحاق والتحريف فيها ، ولا نحب ـ تطلباً للإيجاز ـ أن نسوق كلام علمائهم عن سند كل سفر من هذه الأسفار ، لكنا نكتفى بسوق نموذج واحد فحسب :

جاء فى سفر صموئيل الأول ـ من النسخة العبرانية ـ (٦ : ١٩) : « وأهلك الرب أهل بيت الشمس ؛ لأنهم فتحوا صندوق الرب ورأوه ، فأهلك منهم خمسين ألفاً وسبعين إنساناً » يعلق كلارك على ذلك قائلاً : « الغالب أن المتن العبرى محرّف ، إمّا سقط منه بعض الألفاظ ، وإمّا زيد فيه لفظ خمسون ألفاً جهلاً أو قصداً ؛ لأنه لا يعلم أن يكون أهل تلك القرية الصغيرة بهذا المقدار مشتغلاً بحصدالزرع ،وأبعد من هذا أن يرى خمسون ألفاً الصندوق دفعة واحدة فى جرن يوشع على حجرإيل . . . ثم قال كلارك :

« فى النسخة اللاتينية : سبعون رئيساً وخمسون ألفاً ، وسبعون إنساناً ، . . . وفى النسخة السريانية : خمسة آلاف وسبعون إنسانا ، وكذلك فى العربية خمسة آلاف وسبعون إنسانا . . . وكتب المؤرخ يوسيفوس (سبعون إنسانا فقط) ، وكتب سليمان الجارحى الرّبي والرّبيّون الآخرون ، كذلك .

---

(١٩٠) مثل جان أوستروك ، وكريسباخ ، وريتشارد سيمون ، والأب دى فو ، الأسقف دى كولنو ، وإدمون جاكوب ، وبرونوباور ، ودافيد شتراوى ، ورنان ، وغيرهم .

فهـذه الاختـلافـات ـ وذلـك لعـدم إمكان المذكور ـ تعطينا اليقين أن التحريف وقع ههنا يقيناً ؛ فإمّا زيد شيء ، أو سقط شيء (١٩١) »

وكتب مثل ذلك جامعو تفسير هنرى وإسكات ، فقالوا : « فى صدق هذه الحـادثة شك (١٩٢) » وهنالك عبارات كثيرة من هذا السفر توجد فى نسخة اسكندريانوس ، ولا توجد فى الترجمة اليونانية .

ويرى كنى كات ـ فيما نقل عن كلارك وهاررسلى ـ أنها ليست جزءاً من الأصل ، وإنما هى الحاقية ، ثم يشرح كنى كات ظروف هذا الإلحاق قائلاً :

إن قلت متى وجد هذا الإلحاق ؟ قلت : كان اليهود فى عهد يوسيفوس يريدون أن يزيّنوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغناء ، واختراع الأقوال الحديدة . . انظروا إلى الإلحاقات الكثيرة فى كتاب أستير ، وإلى حكاية الخمر والنساء ، والصدق التى زيدت فى كتاب عزرا ونحميا ، وتسمى الآن بالكتـاب الأول لعـزرا ، وإلى غنـاء الأطفـال الثـلاثة الذى زيد فى كتاب دانيال ، وإلى الإلحـاقـات الكثيرة فى كتاب يوسيفوس . . ويمكن أن هذه العبارات كانت مكتوبة فى الحاشية ثم أدخلت فى المتن ؛ لأجل عدم مبالاة الناسخين !! (١٩٣) »

كما نضيف من جانبنـا إلى كل ما سبق أن أقدم نسخة مخطوطة معروفة للعلماء تعود إلى القرن الرابع الميلادى ، على حسب أكثر التقديرات تسامحاً ؛ ومعنى ذلك أن الفجوة الزمنية شاسعة بين تاريخ التدوين وتاريخ التنزيل !! (١٩٤) .

---

(١٩١) عن إظهار الحق حـ ١ صـ ٣٨٥ ـ ٣٨٦

(١٩٢) عن المصدر السابق

(١٩٣) إظهار الحق حـ ١ صـ ٣٨٧ ، وتفسير هارسلى حـ ١ صـ ٣٣٠

(١٩٤) راجع المبحث السابق : (أقدم مخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها) .

وبعد : فإنَّ الدراسات التى حلّلناها آنفا ، تثبت أنّه لا سند متصل لأى سفر من أسفار العهد القديم ؛ لا الأسفار الخمسة ، ولا بقية الأسفار ، وأن نسبة التـوراة الحالية إلى موسى عليه السلام ، لا دليل عليها ، وأنها مجرد ادعاء تدحضـه تلك الـبراهـين القـواطع التى قدمها علماء مقارنة الأديان اليهود والنصارى والمسلمون[١٩٥] .

---

(١٩٥) ويلخص باحث غربي معاصر هو الدكتور Owen Cole موقف علما الغرب اليـوم من سند التوراة . . فيقول تحت عنوان (أصل التوراة وتطورها) : متى كتبت التوراة لأول مرة ؟ ثم يجيب :

هنـالـك - اليوم - وجهـة النـظر التقليدية - التى يؤمن بها كثـير من اليهود وبعض النصـارى - التى تعتقـد أن موسى قد أوحيت إليه هذه التوراة ، وقد كتبها أو قيدها بنفسه ، ماعدا بعض الفقرات الأخيرة من سفر التثنية التى تصف وفاة موسى .

لكن هنالك عدداً كبيراً من علماء الأديان الغربيين ، فى القرنين الأخيرين ، يرون أن التـوراة إن هى إلا مجموعة من المكتوبات التاريخية الموروثة ، قد جمعت معاً فى كتاب خلال فترة طويلة تصل الى ستة قرون . وأن توراة موسى الأصلية هى التى أدرجت فى سفر التثنية الحالى . . . وهو الكتاب الذى وجده الكاهن حلقيا فى الهيكل ، فى زمان الملك يوشيا .

انظر : Six Religions, P.68, 1984, Oxford

المبحث الــرابع

الأناجيل الأربعة : بين انقطاع السَّنَد وتناقض المتن .

★ نشر هذا المبحث من قبل فى دورية مركز البحوث التابع لجامعة الإمام بالرياض ، كما نشر فى مقـدمتنا لكتاب حجة الإسلام الإمام الغزالى « الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل » ورأينـا نشره فى هذا الكتـاب لتمام الفائدة وحسن المناسبة ؛ ولأنه يكمل - إن شاء الله - موضوعات هذا الكتاب .

« ١ » توطئة :

هذه دراسة موجزة عن الأناجيل الأربعة والرسائل التى تكّون ما يسمى عند النصارى « العهد الجديد » ، الذي يكوِّن إلى جانب « العهد القديم » أو التوراة وأسفار الرسل ـ الكتاب المقدس ، الذى يقدسه النصارى ويعتبرونه كتاب دينهم ، يأخذون منه عقيدتهم في التثليث ، والإلهام الخاص بالرسل ، . . إلى غير ذلك ، ويؤسسون عليه أحكامهم وأخلاقهم ، ويبشرون به وينشرونه بين الناس . وهذا الكتاب ـ العهد الجديد ـ عندهم هو النص المقدس ، أو الوثيقة الدينية التي كتبها أصحابها بإلهامٍ ووحيٍ إلهي في نظر الكنيسة ورجالها وكثير من رعاياها .

ولأن هذا الكتاب « العهد الجديد » بهذه المثابة عندهم ، فهو يستأهل الدراسة والتمحيص والامتحان والنقد المنهجي الموضوعي ، وتلكم الدراسة ينبغي أن تركز على نقطتين مهمتين ، هما :

أ ـ نقد السند .

ب ـ نقد المتن .

ويجدر بي أن أذكر ـ في هذا الصدد ـ أن « علم مقارنة الأديان » أو الجدل الديني ضد اليهود والنصارى بخاصة ، قد حظي بعناية فائقة من كبار العلماء المسلمين ، ولا شك في أن عنايتهم « بعلم مقارنة الأديان » كانت ثمرة مباشرة لتوجيهات القرآن الكريم ، وعنايته بهذه الناحية .

والمتدبر في كتاب الله ـ عز اسمه ـ يجد أنّه قد أهتم بإيراد مقولات الأديام التي كانت سائدة ومسيطرة إبان التنزيل ، وناقشها ، وبرهن على بطلانها وفسادها . تكلم عن اليهود والنصارى والدهريين ومنكرى البعث . . . وغيرهم ، وحلل وفصل ، ومـا ذلك إلا لأن عرض العقيدة الصحيحة

وتثبيتها ، ودعوة الناس إليها ، لا يكون بمعزل أبداً عن مناقشة العقائد والمذاهب الباطلة ، وإماطة اللثام بالحجج والبراهين عن خللها وخطلها وزللها ، ووهاء مبناها ، وتهافت دعواها ، وبضدها تتميز الأشياء ، كما يقال !!

ونقول : إن منهج القرآن الكريم في عرض العقائد والأديان والمذاهب الأخرى كان موضوعيا منهجياً ، تمثل ذلك في عرضه الأمين الدقيق المستوعب لمقالاتها ، كما هي مسطورة في كتبها ، أو مروية على ألسنة معتنقيها . ثم ناقشها وفندها ، وبيّن الحق وأظهره ، وبرهن عليه ، ودعا الناس إليه من خلال إبطال الباطل .

ويحسن أن نذكر بعض من ألفَّ وكتب من علمائنا وسلفنا الصالح في علم مقارنة الأديان ، منهم :
الكندي ، والجاحظ ، وابن حزم ، والشهرستاني ، وأبو المعالي الجويني ، وأبو حامد الغزالي ، والقاضي عبد الجبار ، وأحمد بن تيمية ، والسموأل بن يحيى المغربي ، وابن القيم ، والقرطبي ، وأبو عبيدة الخزرجي ، والفخر الرازي ، وعلي بن محمد الباجي ، وأبو العباس أحمد بن إدريس القرافي ، ورحمة الله الهندي ، وباجهجي زادة ، والسوباطي ، والجزيري ، ومحمد أبو زهرة ، وغيرهم رحمهم الله أجمعين [1] .

« ٢ » منهج الدراسة :
سرنا في هذا البحث على ذكر أصحاب الأناجيل والرسائل ، شخصاً شخصاً ، مبينين الغموض والنقص الشديد في المعلومات عن حياتهم وسيرتهم ، أي الجهل بحالهم ، وبعدهم عن صاحب الرسالة ، عيسى عليه السلام ، وبالجملة بينا انقطاع سند هذه الأناجيل والرسائل .

---

(١) يعد كاتب هذه السطور دراسة عن مصادر علم مقارنة الأديان ، أو الجدل الديني ضد اليهود والنصارى عند المسلمين .

ثم أشرنـا إلى جانب مما تحتوي عليه هذه الأناجيل من تناقض وتهافت وتكاذب وتعاند ووهاء ، ناقلين عن كتابهم ومؤلفيهم ، ومفسري أناجيلهم وشراحها ودوائر معارفهم .

« ٣ » يوحنَا :

سنورد ـ في حديثنا عن يوحنا وإنجيله ـ نصوصاً لعلماء لاهوتيين نصارى ، ثم نعقب على ذلك ببعض ما ذكره الباحثون المسلمون في هذا الشأن إن كان ثمة مجال لذلك .

يقـول « جون مارش » في مقـدمتـه لتفسير إنجيل يوحنا ، تحت عنوان (استحالة التوكيد) :

« حين نأتي لمنـاقشة المشاكل الهامة والمعقدة التي تتعلق بالإنجيل الرابع « يوحنـا » وإنجليه ، نجـد أنـه من المنـاسب والمفيد أن نعترف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة حول التعريف « بالإنجيل وكاتبه » يمكن إيجاد حل مؤكد لها . . .

ـ من كان هذا الـ « يوحنا » الذي قيل : إنه المؤلف ؟
ـ أين عاش ؟
ـ لمن من الجمهورر كتب إنجيله ؟
ـ أي المصادر كان يعتمد عليها ؟
ـ متى كتب مصنفه ؟

حول كل هذه الأسئلة ، وحول كثير غيرها ، توجد أحكام متباينة . . . » .

ويختم « جون مارش » مقدمته بقوله :

« . . . وبعد أن نفرغ كل ما في جعبتنا ، نجد أنه من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، تحقيق أي شيء أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا !! » .

ويرى هذا الباحث اللاهوتي نفسه : « أنه من المستحيل الاعتقاد بأنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي ، قام شخص يدعى « يوحنا » ، من الممكن أن يكون يوحنا مرقص « خلافاً لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي الصياد ، أحد التلاميذ الإثني عشر الحواريين » . . قد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) ، فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع ، اختص بها طائفته الخاصة ، التي كانت تعتبر نفسها عالمية ، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان [٢] .

وترى دائرة المعارف الأمريكية أن العقيدة المسيحية لم تستطع أن تتخلل العالم الروماني الإغريقي ، دون الارتكاز على قوة ما ورثته عن اليهودية والتأثر بالثقافة الجديدة المحيطة بها ، وأن التأثير الإغريقى في المسيحية له شواهده ، ذلك أن الفقرات الأولى من صدر إنجيل يوحنا ، إنما تشير بوضوح إلى أسلوب شعري رواقي فلسفي في : الكلمة [٣] .

ويرى « جرانت » : « أن يوحنا كان مسيحياً ، وبجانب ذلك كان هلِّينياً ، ومن المحتمل ألا يكون يهوديا ، ولكنه شرقي أو إغريقي . . ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب في أنطاكية أو أفسس أو الإسكندرية أو حتى روما ، فإن كلا من هذه المدن كان مركزاً عالمياً للدعاية العقائدية في القرنين الأول والثاني من الميلاد ، كما كانت على اتصال ببعضها [٤] » .

---

(٢) John Marsh, SAINT JOHN, PP 20, 80, Penguin Books 1976

وانظر للأستاذ أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٧٨ م ص ٧٠ - ٧١ ، ٣٢١ .

(٣) ENCYCLOPAEDIA AMERICANA, 1959

(٤) انظر : (الأناجيل ، أصلها وتطورها) للدكتور فريدريك كالفتن جرانت أستاذ الدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادي بنيويورك ط لندن ١٩٥٧ م ص ١٧٤ ، ١٧٨ .

ويرى الدكتور جرانت أن إنجيل يوحنا يعتبر تقديماً دراميا لحياة يسوع ورسالته وموته وتمجيده ، وأنه كتب بغرض التعليم والعبادة في الكنائس ، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة ، وهو يختص بموضوعات كانت محل جدل في العالم المسيحي الأممي (غير اليهودي) في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني ، عندما انتشرت نظرية (غنوصية) حاولت أن تزيد من تبجيل المسيح ، فجعلته شبحاً بلا وجود ، أو مخلوقاً إلهياً تجسد مؤقتاً ، ولم يعان عذاباً ولم يذق الموت !!

ويرى : أن من المعتقد أن يوحنا كان على علم بوجود الأناجيل الثلاثة المتشابهة ، وأنه قد كتب إنجيله ليكملها أو ليصححها !! (٥)

ويسأل الدكتور موريس بوكاي (٦) : من هو المؤلف ؟

ويجيب قائلاً : المسألة موضوع نقاش طويل ، وقد طرحت آراء شديدة الاختلاف في هذا الشأن .

وينقل عن (أ . كولمان) قوله :

إن كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حالياً (لإنجيل يوحنا) ينتمي إلى أكثر من مؤلف واحد ، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم ، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف ، وأنهم قد أضافوا إليه (٧) .

ويعلق الدكتور موريس بوكاي قائلا :

« ودون ذكر الافتراضات الأخرى التي قدمها المفسرون ، فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحين ، والتي أوردناها هنا عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع ، تشير هي وحدها إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط ، فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب !!

---

(٥) انظر : المصدر السابق : ص ٢ ، ٣ ، ١٥٦ ، ١٦٦

(٦) صاحب الدراسة الجيدة عن الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، الذي ترجمته ونشرته دار المعارف بمصر ١٩٧٨ م .

(٧) المصدر السابق ص ٩٠ - ٩١ .

ويذكر : أن القيمة التاريخية لروايات يوحنا ، موضع نزاع كثير ، فالأمور التي تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة !!

ويعلل أ . كولمان هذه الاختلافات الصارخة : أن ليوحنا مرامي لاهوتية تختلف عن مرامي المبشرين الآخرين !!

وأمام هذه الاختلافات ـ بين الأناجيل ـ والتي يصفها بوكاي بأنها على جانب كبير من الأهمية ، يسأل :

« إذن فمن يجب أن نصدق ؟ أنصدق متى أم مرقص أم لوقا أم يوحنا ؟ ! [٨] » .

أما دائرة المعارف البريطانية فقد كانت أكثر صراحة ووضوحاً ممن سبق ، إذ جاء فيها :

« أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك ، كتاب مزوَّر ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان : يوحنا بن زبدي الصياد ومتى » .

وقد ادعى هذا الكاتب المزوِّر في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو : يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً ، مع أن صاحبه غير يوحنا « الحواري » يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة ، التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه .

وإنا لنشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفلسفي ـ الذي ألف هذا الكتاب ـ في الجيل الثاني ـ بالحوارى يوحنا الصياد الجليل ، وإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى [٩] » .

---

(٨) انظر : المصدر السابق ص ٩٢ ، ٩٣

(٩) ENCYCELOPAEDIA BRITANNICA, 1960 (JOHN)

وينقـل الإمـام محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ في كتابه القيم [10] ينقل عن (استادلن) قوله :

« إن كافة إنجيل يوحنا تضيُّف طالـبٍ من طلبة مدرسة الإسكندرية [11] » .

وإنكار علماء النصرانية لنسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الصياد الحواري ، ليست وليدة هذه العصـور المتـأخـرة فحسب ، بل « ابتدأ في القرن الثاني الميلادي ، إذ أنكـروا نسبـة هذا الإنجيل إلى يوحنـا الحواري ، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميد بوليكاررب ، تلميذ يوحنا الحواري ، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه بوليكارب ، ولأعلم تلميذه أرينيوس ، ولأعلن هذا الأخير تلك النسبة عندما شاع إنكارها [12] .

وفي الواقع أن لهذا الإنجيل شأنا وخطراً أكثر من غيره لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقـراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح ، فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها ، ولذلك كان لابد من العناية به ، فالتثليث هو شعار النصرانية وأساس التباين بينها وبين ديانة التوحيد .

ولقـد اختلف الباحثون من النصارى حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختـلافـاً بيناً ، فالدكتور (بوست) (وهو من المؤمنين المتعصبين بأن هذا الإنجيل قد كتبه يوحنا الحواري) يرجِّح أنه كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ ، أو

---

(١٠) (محاضرات في النصرانية) نشر دار الفكر العربي ط ٣ .

(١١) انـظر : المصـدر السابق ، ص ٥٨ ، ومدرسة الإسكندرية مدرسة فلسفية هللينية (مزجت بين الفلسفة اليونانية القديمة والفلسفات الشرقية الأخرى) وكان من أبرز أساتذتها (أمنيسوس) المتوفى سنة ٢٤٢ م ، (أفلوطين) المتوفى سنة ٢٧٠ م ، وقد كان الأول نصرانياً فارتد الى الوثنية ، أما الآخر فقد درس فلسفة اليونان ، ثم رحل إلى فارس والهند واستقى من هناك البوذية والبراهمية .

(١٢) المصدر المسابق ص ٥٨ .

سنة ٩٦ ميلادية ، ويقول : « هورن » في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل : ألفَّ الإنجيل الرابع سنة ٦٨ ، أو ٦٩ ، أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلادية (١٣) .

ويقول الإمام محمد أبو زهرة ـ معتمداً على المصادر المسيحية ـ : « إن هذا الإنجيل قد كتب لغرض خاص ، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة ، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلاً يتضمن بيان هذه الألوهية ، فكتب هذا الإنجيل (١٤) » .

ويصرح بهذا كل من جرجس زوين ، ويوسف الخوري ، وصاحب كتاب مرشد الطالبين ، يقول الأول :

« إن شيرينطوس وأبيسون وجماعاتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنساناً ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم . فلذلك اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا ، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح (١٥) » .

ويرى الثالث أن : « المقصد بكتابته هو إفناء لبعض هرطقات مفسدة ، أشهرها معلمون كذبة ، في شأن ناسوت المسيح وموته وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم . . . (١٦) » .

أما اللاهوتي المعاصر الدكتور Grant فإنه يذكر في كتابه المشار إليه (١٧) :

---

(١٣) ، (١٤) محاضرات في النصرانية ص ٦١ ، ٦٢ .

(١٥) ، (١٦) صـ ٦٢ من المحاضرات .

(١٧) The Gospells; Their origin and their Growth, London 1957, P. 22, 160,

بأن « أخطر الأنواع الفلسفية الغنوصية ـ بلا شك ـ هي التي أثرت بعمق في التعاليم المسيحية ، في المنطقة التي جاء منها الإنجيل الرابع . . .

فنجد أن الرسول الإلهي ، أو الشاهد الذي يأتي بالمعرفة المخلصة هو المسيح . . وبالرغم من أنه دخل العالم فإنه لم يتدنس بمواد الطبيعة . ولقد كان النور الطبيعي والظلام لم يطمسه . إن هذا يعني أنه لم يكن ذا جسد مادي ، فقد كان شبحاً يشبه الإنسان المادي . . إن جسده غير حقيقي » .

فالغنوصية (*) بأنواعها المختلفة ، وأصولها التي جلبتها من الأساطير البدائية ، ثم غلفتها بالأفكار الميتافيزيقية ـ قد أثرت أبلغ الأثر في المسيحية الأولى ، فقد اعتنقها الكثيرون من المسيحين الأوائل ، وخاصة رجال الكنيسة ، ثم ما لبث صراع الأفكار أن اشتد بين هؤلاء وهؤلاء ، وتمخض عن ذلك إنجيل يوحنا ، وهو الإنجيل الرابع وأحدث الأناجيل ، الذي استحدث في الكتب المسيحية الأولى تعبيرات فلسفية جديدة مثل :

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . .
كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان . .
كان في العالم ، وكون العالم به ، ولم يعرفه العالم . .
والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا . . الأب الحالّ في هو يعمل . . (١٨)
في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي ، وأنتم في ، وأنا فيكم . . إلخ » .

(*) الغنوصية نزعة خطيرة تتستر بل بالروحانية ظاهراً ، وهى في حقيقتها مادية خالصة ، وقد عملت على مزج الفلسفة اليونانية بالفلسفات الشرقية القديمة ، وسعت جاهدة إلى توجيه النصرانية وجهة التثليث والوثنية ، وحاولت ـ كذلك ـ إفساد العقيدة الإسلامية ، فبثت لدى غلاة الصوفية فكرة الحلول والاتحاد . . إلخ (انظر : للدكتور حسن الشافعي محاضرته القيمة عن الغزو الفكرى ، التي ألقاها بكلية الشريعة بالرياض في ١٩/٥/١٤٠٤هـ) .

(١٨) انظر افتتاحية الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا . . . ص ١٤٥ . من طبعة البروتستانت بمصر ١٩٧٠ م) .

ولئن كان من أغراض هذا الإنجيل الفلسفي الذي أثار بشكل حاد مشكل لاهوت المسيح ، والذي أدخل فكرة الحلول - حلول الخالق في المخلوق - واستقى ذلك من الفلسفات والأساطير القديمة ، وجعل الله في المسيح ، وجعل المسيح في الله ، والمسيح في التلاميذ ، والتلاميذ في المسيح وجعل الجميع واحداً ، والواحد شاملاً للجميع !!

أقول : لئن كان من أغراض هذا الإنجيل محاربة الفلسفة الغنوصية التي تأثر بها (بولس) وتقرير لاهوت المسيح ، فإنه ما لبث أن سقط في الغنوصية ، ولم يستطع الفكاك منها .

يقول تشارلز بوتر :

« إن الجزء الأول - وبعض أجزاء أخرى - من إنجيل يوحنا مثل : في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله . . . . - إن هذا القول غنوصية محض . . إن تعاليم يسوع وعقيدته وإيمانه الشخصي ، بقدر ما نستطيع استخراجها من الكلمات التي وضعها كتبة الأناجيل - لم تكن أبداً عقيدة التثليث التي استحدثت في الغنوصية التي أنشأها بولس ومن جاء بعده .

ومن المشكوك فيه أن يكون بولس قد اطلع على المجموعة الأولى لمكونات الإنجيل الأصلي الذي تكلم عن تعاليم يسوع وأمثاله ومعجزاته في شفاء المرضى ، وهي الوثائق التي تفترض أن جزءاً منها - على الأقل - كان مصدراً للأناجيل الأربعة القانونية (١٩) »

وأكتفي بهذا القدر من الكلام عن يوحنا صاحب الإنجيل الرابع ، وهل هو يوحنا بن زبدي الصياد الحواري ، كما يذكر النصارى ، وكما يذكر أبو حامد الغزالي مجاراة للخصم لحجاجه وقطعه في كتاب « الرد الجميل لإلهية

---

(١٩) انظر :

Potter : The lost years of Jesusrevealed New York, 1963. PP. 24, 132

وانظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩ .

عيسى بصريح الإنجيل » . أو أنه شخص أخر ؟ ولقد حرصت على أن أجمع مادة هذه الفكرة من مصادر نصرانية ، ولقد ظهر لنا أن الأمر مشكل ، وأننا على حد تعبير اللاهوتي الدكتور جرانت لا نظفر إلا بالاحتمالات فقط .

وأكتفي بهذا ولا أتعرض لما ذكره كل من : ابن حزم [٢٠] ، والشهرستاني [٢١] ، ورحمة الله الهندي [٢٢] ، وأبي عبيدة الخزرجي [٢٣] ، وأبي المعالي الجويني في رسالته : « شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل [٢٤] .

وأختم كلامي بإيراد فقرة من دائرة المعارف الأمريكية ، تقول فيها :

« إن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع . والثلاثة المتشابهة !! إن الاختلاف بينها عظيم ، بحيث إنه لو قبلت الأناجيل الثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة ، وموثوقا بها ، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا [٢٥] .

ولقد كانت عقيدة التثليث التي تضمنها إنجيل يوحنا ، هي ما قبلته الكنسية فيما بعد ، رغم مخالفتها للكثير مما في الأناجيل المتشابهة ، بل رغم مخالفتها لعقيدة التوحيد التي تضمنها هذا الانجيل نفسه [٢٦] .

---

(٢٠) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل حـ ٢ ص ٣٨ وما بعدها ، ط ٢ .

(٢١) انظر : الملل والنحل ، المجلد الأول ص ٢٢٠ وما بعدها ، نشرة محمد سيد كيلاني ١٣٩٦ هـ .

(٢٢) إظهار الحق .

(٢٣) مقامع هامات الصلبان ، حققه د . محمد شامة ونشره بعنوان : « بين الإسلام والمسيحية » نشر مكتبة وهبه بمصر ١٩٧٢ م .

(٢٤) نشرها بمصر د . أحمد السقا ، سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

(٢٥) انظر حـ ١٣ ص ٧٣ .

(٢٦) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩ .

وأخيراً ، نعيد تساؤل الدكتور موريس بوكاي وحيرته : « إذن فمن نصدق ؟ أنصدق متى ؟ أم مرقص ؟ أو لوقا ؟ أم يوحنا ؟ !! [27] » .

« ٤ » بولس :

إن « لبولس » هذا لشأناً في النصرانية الراهنة ، فهي تنسب إليه . أكثر مما تنسب إلى أحد سواه ، فرسائله هي التي شرحتها ، وقعَّدت أهم قواعدها . ورسائله هي :

١ ـ رسالة بولس إلى أهل رومية .
٢ ـ رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس
٣ ـ رسالته الثانية إلى أهل كورنتوس .
٤ ـ رسالته إلى أهل غلاطية .
٥ ـ رسالته إلى أهل أفسس .
٦ ـ رسالته إلى أهل فليبى .
٧ ـ رسالته إلى أهل كولوسي .
٨ ـ رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى .
٩ ـ رسالته الثانية إليهم .
١٠ ـ رسالته الأولى إلى تيمو ثاوس .
١١ ـ رسالته الثانية إلى تيمو ثاوس .
١٢ ـ رسالته إلى تيطس .
١٣ ـ رسالته إلى فليمون .
١٤ ـ رسالته إلى العبرانيين .

وقد كان ـ بنشاطه الجم وتطوافه في الأقاليم مشرِّقاً ومغرِّباً ، لا يستقر في مكان على نية الإقامة فيه ، بل على قصد الرحيل إلى غيره ـ أشد دعاتها .

وقد تأثر المسيحيون خطاه ، وتعرفوا أخباره وأقواله ـ ما دُونِه منها في

(٢٧) ص ٩٣ من : الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة .

رسـائله ، وما ألقاه في الجموع ـ وتناقلوه ، إن لم يدونه هو ، وتأثروا أعماله فاحتذوا حذوه ، وسلكوا مسلكه (٢٨) .

ولكن ما اسم هذا الرجل الخطير ؟ وأين مولده ؟ وما جنسيته ؟ وماذا كان موقفه من اتباع المسيح قبل أن يتنصر ويصبح رسولاً ملهماً ـ بزعمهم ـ يكتب الرسائل المقدسة ويبشر بالتعاليم ؟

وما الذي أضافه إلى النصرانية ؟ وما أثر ذلك في مسيرتها ؟

يشغل تفصيل حياة بولس وأعماله مساحة كبيرة من (سفر أعمال الرسل) جاء في الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني والعشرين منه :

« أنـا رجل يهودي ، ولدت في طرسوس كيليكة ، ولكن ربيت في هذه المدينة ، (يقصد أورشليم) » .

فهـو هنـا يهودي ، وهنـاك تصريح آخـر في السفـر ذاتـه بأنـه يهودي فريسي . . . جاء في الإصحاح الثالث والعشرين ٧ : ٩ .

ولـما علم بولس أن قسـماً منهم صدوقيون (★) ، والآخرون فريسيون ، صرخ في المجتمع : أيها الرجال الإخوة ، أنا فريسي ابن فريسي ، على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم ، ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين (★★)

---

(٢٨) انظر : محاضرات في النصرانية ص ٨٢ .

(★) فرقـة يهودية قديمة ، نسبتها إلى صادوق أحد كبار الكهنة في زمن داود عليه السلام ، فهم من سلالته . قد ظهرت هذه الفرقة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالى مائـة وخمسـين عامـاً ، ونـادت بقبول اليهودية كمعتقد فقط ورفض تحريفات الكهنة وتزييفاتهم (انظر للسموأل بن يحيى المغربى ٥٧٠ هـ إفحام اليهود بتحقيقنا وتعليقنا) .

(★★) هم الفـرقـة المضـادة للصادوقيين ، فهم أنصار التحريف القائمون به ، الـداعـون إلى عزل اليهـود كجنس متميز مختـار عن باقى أجناس العالم (الجوييم) (انظر : إفحام اليهود) وانظر : ترجمة الدكتور على سامي النشار لكتاب جورج فيدا : مقدمة للفكر اليوهدي في العصر الوسيط ص ١٨ وما بعدها ، الإسكندرية ١٩٧٢ م .

وبين الصدوقيين ، وانشقت الجماعة : لأن الصدوقيين يقولون : إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك » .

والسفر نفسه ـ سفر أعمال الرسل ـ يقص علينا أن أصله ـ أصل بولس ـ روماني .

جاء في الإصحاح الثاني والعشرين ٢٦ : ٢٩ ما يلي :

« فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانياً غير مقضي عليه ، فإذ سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً : أنظر ماذا أنت مزمع أن تفعل ؛ لأن هذا الرجل روماني ، فجاء الأمير فقال : قل لي : هل أنت روماني ؟ فقال : نعم »

وتأمل كيف يكون الخلط والخبط في سفر واحد مقدس حول شخص واحد هو بولس !!

اسمـــه :

وكان اسمه قبل أن يتنصر شاول ، ذكر هذا في غير ما موضع من سفر أعمال الرسل (٢٩) .

عداؤه للنصرانية :

تكفل سفر أعمال الرسل بتجلية هذه النقطة ، فقد جاءت فيه عبارات مفصلة تبين أنه كان شديد العداء والخصومة للنصرانية ، شديد التعذيب والتنكيل بأتباعها ومعتنقيها ، ولقد جاء فيه :

« وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق . . إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق ، رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم (٣٠) » .

---

(٢٩) انظر مثلا : الإصحاح الثاني والعشرين : ٨ ، وأول الإصحاح التاسع ، ٢٧ منه ، وكذلك الإصحاح الثامن ٤ . . إلخ .

(٣٠) انظر أول الإصحاح التاسع .

وفي الإصحاح الثامن :

« حدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم ، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ، ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن [٣١] » .

تنصــره :

ليس من الغريب أو المستبعد أن يتحول قلب من الكفر إلى الإيمان ولكن من غير المتوقع أن يتحول رجل من الكفر والعداء العميق للمؤمنين وتعذيبهم والتحريض عليهم والتنكيل بهم ، إلى أن يؤمن ، وأن يصبح رسولاً ملهماً ، يوحى إليه ، يكتب الرسائل وينشر الدعوة ويبشر بها !!

أي أن الغريب هو أن يتحول إلى رسول يوحي إليه [٣٢] بالروح القدس ؛ كما أن القصة التى وردت فى سفر أعمال الرسل ـ وهي تخبرنا بهذا التحول المفاجىء الغريب ـ تدفع القارىء إلى الوقوف عندها فاحصاًمتأملا ،جاء في الإصحاح الثاني والعشرين على لسان بولس مخاطباً اليهود :

---

(٣١) ويصرح بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية قائلا لهم : « فإنكم سمعتم بسيرتى قبلاً في الديانة اليهودية ، أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها . وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي ، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائى » (١ : ١٣ / ١٤) .

(٣٢) يعترف بولس بأنه لم يأخذ إنجيله من بشر ، ولا من رسل سابقين ، أو معاصرين له (غلاطية ١ : ١١) ولكن كتبه وبشر به في العالمين بناء على وحي إلهى وبإعلان من يسوع المسيح ، ويقول في الرسالة نفسها (١ : ١٦ / ١٧) : « ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمي ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم ، للوقت لم استشر لحماً ودماً ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى » بل انطلق ليبشر برسائله وكتبه .

« وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق (النصرانية) حتى الموت مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساء ، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذت أيضاً منهم رسائل للأخوة إلى دمشق ، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا » .

هذا هو بولس ، وهذا هو موقفه من النصرانية ومن معتنقيها . . . تعقبهم للقبض عليهم وسجنهم والتنكيل بهم ، وبقية النص تعرض علينا الحدث المفاجىء التالي :

« فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار ، بغتة ، أبرق حولي من السماء نور عظيم ، فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي : شاول . . شاول ، لماذا تضطهدني ؟

فأجبت من أنت يا سيد ؟

قال لـي ؟

أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده ، والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسعوا صوت الذي كلمني ، فقلت : ماذا أفعل يارب ؟ فقال لي الرب : قم واذهب إلى دمشق . وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل » (٤ : ١١)

بولس والتلاميذ :

« ولما جاء شاؤل (بولس) إلى أورشليم (٣٣) حاول أن يلتصق بالتلاميذ ،

---

(٣٣) يصرح بولس أنه صعد إلى أورشليم بعد ثلاث سنوات من تنصره ، وهناك التقى ببطرس وقضى معه خمس عشرة يوماً (غلاطية ١ / ١٨ ـ ١٩) ثم التقى بعقوب كذلك « ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى أورشليم ـ مع برنابا ـ آخذاً معي تيطس أيضا ، وإنما صعدت بموجب إعلان ، وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ، ولكن بالإنفراد ، على المعتبرين ؛ لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً . (غلاطية ٢ : ١ ـ ٢) . =

وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل (٣٤) » .

وأما برنابا - « الذى كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان (٣٥) » - فهو الذى كان في مواقف كثيرة يرسله التلاميذ مندوباً عنهم ، وهو الذي صاحب بولس في كثير من رحلاته التبشيرية - فما لبث أن تشاجر معه بولس ثم افترقا بعد أن تبين أن لكل منهما آراءه الخاصة فى التعاليم المسيحية والدعوة إليها .

« فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرس ، وأما بولس فاختار سيلاً وخرج ، وخرج مستودعاً من الأخوة إلى نعمة الله ، فاجتاز في سورية وكيليكية يشدد الكنائس » (١٥ : ٤٠) .

تشير هذه النصوص بادىء ذي إلى شك التلاميذ وريبتهم فيه وتوجسهم منه ، وتوضح صدق بصيرتهم فيه ، إذ سرعان ما تشاجر مع من قدَّمه إلى التلاميذ وشهد له عندهم !! كما أن يعقوب (ويسمونه أخ الرب) قد عارضه واتهمه بأنه يعلم الناس الباطل (٣٦) .

= ونحن نسأل : ما هو هذا الإعلان الذي صعد بولس بموجبه إلى أورشليم ؟ ! ولماذ عرضه عليهم على انفراد ؟ ! مع أن عيسى عليه السلام كلم الناس علانية [يوحنا ١٨ : ١٩ / ٢٠]

(٣٤) أعمال الرسل ٩ - ٢٦ / ٢٧ .

(٣٥) أعمال الرسل : ١١ / ٢٤ .

(٣٦) جاء فى رسالة يعقوب (٢ : ٢١ - ٢٤) : « هل تريد أن تعلم أيها الانسان الباطل ؟ ان الإيمان بدون أعمال ميت ، ألم يبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحاق ابنه على المذبح (هذا زعمهم الباطل !!) ؟ فترى أن الإيمان عمل من أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان . . » ، ومعروف أن رأى بولس يرمى إلى أن الإنسان إنما يتبرر (أي يصير مبروراً) بالإيمان وحده . (انظر : رسالته إلى أهل غلاطية ٣ : ١ - ١٠) .

أهمية رسائل بولـــس :

إن أقـدم الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس الأولى ، **كانت رسائل** بولس ، ذلك الداعية الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، **لكنه أعلن فجأة** تحوله إلى المسيحية بطريقة ارتاب فيها رسل المسيح وتلاميذه بحسب كتبهم !! .

لقد كتبت رسائل بولس أو أغلبها ما بين سنتي (٥٠) و (٦١) **ميلادية** طبقا لجدول د . فريدريك جرانت [٣٧] .

وأقدم الأناجيل هو إنجيل مرقس ، قد كتب بعد رفع المسيح بحوالى **٣٥** سنــة ، وأن أحـدث الأناجيل ، وهو إنجيل يوحنا . **قد كتب بعد المسيح** بحوالي **٧٠** أو **٩٠** سنة .

ولقد كتب بولس رسائله قبل كتابة أقدم إنجيل بفترة تصل إلى خمس عشرة سنة .

نظرية بولس في الصلب والخلاص والفداء :

لقد تبنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر ، وروَّج لها في رسائله ـ تلك الرسائل التي لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من خمس عشرة سنة .

لقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على ألا يعرف من المسيحية شيئاً غيره :

يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (٢ : ٢)

« لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً »

ويقول : (١٥ : ١ ـ ٣) كورنثوس الأولى :

«أعـرفكم أيهـا الأخـوة بالإنجيل الـذي بشرتكم به وقبلتموه . . فإنني

---

(٣٧) الأناجيل : أصلها وتطورها ، (مصدر سابق) ص ٢٠ ـ ٢١ .

سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » .

ويبني بولس نظريته هذه على أساس عقيم ، هو أن الناموس الإلهي ليس فيه بر ولا عدل ، يقول في رسالته إلى غلاطية ٢ : ٢١ :

« إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب » .

ذلك ، والأناجيل تصرح بغير ما يذكره بولس :

جاء في إنجيل متى ، الإصحاح الخامس : ١٧ ـ ١٩ : على لسان المسيح : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل .

فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . . » .

ويقول لوقا ١٦ : ١٧ :

« إن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » .

والناموس المعني هنا هو التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام .

مركيون تلميذ بولس :

ظهر هذا التلميذ في القرن الثاني الميلادى ، وكان يعتقد بأن : إله اليهود الذي أعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم كان في الحقيقة إلها شريراً !!!

وكان يعتقد أن إله المحبة قد ظهر في المسيح ، ولقد وضع موقيون إله المحبة في معارضة خالق العالم !! إله موسى .

واعتقد مركيون أن تلاميذ المسيح الاثني عشر لم يفهموه ، ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلاً يخالف إنجيل بولس ، وقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب يسوع المسيح .

من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحي خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله ، عن طريق التزوير [٣٨] .

وينقل (أدولف هارنك [٣٩]) محاكمة بين إله المخلوقات والناموس ، وبين الرب يسوع ، فيقول :

« نزل يسوع إلى رب المخلوقات في هيئة لاهوته ، ودخل معه في قصاص بسبب موته . قال له يسوع : إن الدينونة بيني وبينك .. شرائعك تقضي لي ، ألم تكتب في ناموسك إن من قتل يقتل ؟

فأجاب إله المخلوقات : لقد كتبت هذا . . .

فقال له يسوع : سلم نفسك إذن ليدي . . . .

قال خالق العالم : لأني قد ذبحتك فإني أعطيك عوضاً . كل أولئك الذين يؤمنون بك تستطيع أن تفعل بهم ما يرضيك !!

وعندئذ تركه يسوع ، وحمل بولس بعيداً ، وأراه الثمن ، وأرسله ليكرز بأننا اشترينا بهذا الثمن ، وأن كل من يؤمن فقد بيع عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب » .

هذه ثمرة من ثمار بولس !!! وهذا غرسه !! [٤٠] .

كنت أود أن أورد بعض ما كتبه الإمام ابن حزم والدكتور موريس بوكاي عن بولس ، لكني عدلت عن ذلك إلى إيراد فقرة يعترف فيها بولس بعجزه أمام شهوات الجسد وبضعف إرادته ، فيقول :

« لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه فاياه أفعل . . .

---

(٣٨) أدولف هارنك « تاريخ العقيدة » ، لندن ١٩٦١ ص ٢٧٢ ، ص ٢٨٠ .

(٣٩) المصدر السابق ، الموضع نفسه .

(٤٠) نقلت هذه الفقرة عن كتاب الباحث الأستاذ أحمد عبد الوهاب : (المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٧٩ ص ٢٨٠) .

إني أعلم أنه ليس ساكناً في ، أي في جسدي شيء صالح لأن الإرادة حاضرة عندي ، وأمّا أن أفعل الحسنى فلست أجد . لأني لست أفعل الصالح الذي أريده ، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل . . لكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي . . . [٤١] » .

وهو الذي يقول :

« أظن أنا أيضا عندي روح الله [٤٢] »

« كل الأشياء تحل لي . . . [٤٣] » .

وهو الذي قال عن الله :

« الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله [٤٤] » .

« جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس [٤٥] » .

والمسيح في رأيه لعنة :

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة من أجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة [٤٦] »

والمسيح عنده ـ قد صلب وعلق على خشبة » .

« ٥ » مرقــس :

هنالك إشارات ودراسات عن (مرقس) وإنجيله ، لكاتبين مسلمين ، على درجة كبيرة من الموضوعية والتثبت العلمي مثل :

---

(٤١) انظر : رسالته إلى أهل رومية : الإصحاح السابع ١٥ ـ ٢٤ .

(٤٢) رسالته الأولى إلى أهل كورنيثوس ٧ : ٤٠ .

(٤٣) « ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ » السابق .

(٤٤) ٢ : ١٠ السابق .

(٤٥) ٢ : ١٠ السابق .

(٤٦) رسالته إلى أهل غلاطية ٣ : ١٣ .

- ما كتبه ابن حزم في كتابه المعروف « الفصل في الملل والأهواء والنحل » .
- وما كتبه الشهرستاني في كتابه : (الملل والنحل) .
- وكذلك إشارات بي الحسن العامري ت ٣٨١ هـ في :
(كتاب الإعلام بمناقب الإسلام) .
- وما كتبه حجة الإسلام ، إمام الحرمين ، أبو المعالي الجوينى في رسالته :
(شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل) .
- وما أورده أبو عبيدة الخزرجي في (مقامع هامات الصلبان) .
- وكذلك ما سجله القرطبي في (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) .
- وما جاء في كتاب شيخ الإسلام والإمام أحمد بن تيمية (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) .
- والذي ورد في (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) ، لابن القيم .
- وما ذكره القرافي في كتابه المسمى بالأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة .
- وما كتبه رحمة الله بن خليل الهندي في كتابه : « إظهار الحق » .
- وكذلك ما جاء في كتاب الشيخ عبد الرحمن الجزيرى (أدلة اليقين) .
- وفيما كتبه الإمام محمد أبو زهرة في محاضراته عن النصرانية .

أقول : لن أنقل هنا - وأنا أعرف (بمرقس وإنجيله) - عن هذه المصادر ، وأكثرها كما ذكرت على درجة ممتازة من التثبت العلمي والتحقيق الموضوعي ، وجل هذه المصادر - مخطوطة أو منشورة - بين يدي ، لكني سأنقل عن مصادر نصرانية ، لكتاب من المتخصصين في دراسة اللاهوت ، وممن لهم باع في التعريف بالكتاب المقدس وتفسيره وحل مشكلاته ، أو ممن تخصصوا في دراسة مقارنة الأديان من بينهم .

يعتبر إنجيل مرقس ـ من حيث الحجم ـ أقصر وأوجز الأناجيل الأربعة ، فهو يقع في ثنتين وثلاثين صحيفة من الكتاب المقدس (٤٧) .

« والقول بأن متى ولوقا قد اتخذا من إنجيل مرقس مصدراً لهما يكاد يكون مسلماً به (٤٨) » .

ولكن من هو مرقس محرر هذا الإنجيل ؟

لا أحد يملك حجة أو وثيقة تعرفنا بشخص مرقس !!

وكل ما يذكر هو آراء شائعة لا حجة قاطعة عليها ، أو دليلاً مقنعاً يثبتها !!

ينقل الدكتور موريس بوكاي عن أكولمان ـ وهو باحث لاهوتي ـ قوله : « إن هناك كثيراً من تراكيب الجمل (في هذا الإنجيل) تدعم الفرض القائل بأن مؤلف هذا الإنجيل يهودي الأصل (٤٩) » .

وقد كتب أ . كولمان في كتابه (٥٠) فيما ينقل عنه بوكاي ص ٨٤ ـ أنه لا يعتبر مرقس تلميذاً للمسيح ، ويذكر إشارات كثيرة في العهد الجديد تتحدث عن رجل اسمه « يوحنا ويلقب بمرقس » ويعلق الدكتور بوكاي على ذلك قائلاً : إن هذه الفقرات لا تذكر أنه مؤلف إنجيل ، وحتى نص مرقس نفسه لا يشير إلى ذلك .

ويرى د . بوكاي أن فقر المعلومات الخاصة بهذه النقطة قد قادت المعلقين إلى أن يأخذوا بتفاصيل تبدو وهمية ، على أنها عناصر ذات قيمة . وعن علاقة مرقس ببطرس يقول : إن التراث ـ النصراني ـ قد أراد أن يرى في مرقس رفيقاً لبطرس في روما ، وذلك اعتماداً على نهاية رسالة بطرس الأولى ، (إذا ما كان

---

(٤٧) طبعة البروتستانت (من ص ٥٦ إلى ص ٨٩) .

(٤٨) دائرة المعارف البريطانية ص ٥٢٣ ط ١٩٦٠ م .

(٤٩) ص ٨٤ من الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة .

(٥٠) العهد الجديد المنشور عام ١٩٦٧ في فرنسا .

هذا الأخير هو فعلاً كاتب هذه الرسالة) !! ويقال : إن بطرس قد كتب لمن وجه رسالته إليهم قائلاً : « جماعة المختارين ببابل تحييكم وكذلك مرقس أخي » .

« بابل أى ربما روما » !! . .

ذلك ما نقرأ في التعليقات على الترجمة المسكونية ، ومن هنا يعتقد البعض أن من حقه استنتاج أن مرقس الذي كان مع بطرس بروما هو المبشر !!

ويتساءل د . بوكاي قائلاً : ترى أسبب من هذا النوع هو الذي دفع ببياس Papias ، أسقف هيرابولس ، في نحو عام ١٥٠ م ، إلى أن ينسب الإنجيل المقصود إلى مرقس الذي يقول عنه : إنه كان مترجماً لبطرس ، وإنه كان أيضاً مساعد بولس ؟ !

ويرى أن إنجيل مرقس ـ من هذه الزاوية ـ يكون قد تحرر بعد موت بطرس ، أي على أكثر تقدير بين ٦٥ م ، ٧٠ م حسب الترجمة المسكونية ، وفي حوالي عام ٧٠ م حسب أ . كولمان (٥١) .

ويذكر ف . س . جرانت (٥٢) :

« أنه لا يزال ما يرويه ببياس نقلا عن (من يدعى) الشيخ (الذي يقال إنه يوحنا) ، هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافي للنواحي التاريخية والأدبية في إنجيل مرقس ـ إذ يقول : هذا ما اعتاد أن يقوله الشيخ : في الواقع أن مرقس الذي كان ترجماناً لبطرس ، قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ، ما قيل عن أعمال (يسوع) وأقواله ـ ولكن دون مراعاة للنظام .

---

(٥١) انظر : الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٥٨ .

(٥٢) صاحب كتاب : الأناجيل : أصلها وتطورها ص ٧٣ ـ ٧٤ .

ولقد حدث ذلك لأن مرقس لم يكن قد سمع (يسوع)، ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه في مرحلة متأخرة ، كما قلت أنا (ببياس) من قبل ، قد تبع بطرس الذي اعتاد التوفيق بين تعاليم (المسيح) والمطالب . . . . !!

ويتفق مع قول ببياس هذا ، ما اقتبسه إيرينيوس في قوله : بعد موت بطرس وبولس في الاضطهاد الذي حدث في روما تحت حكم نيرون ، فإن مرقس - تلميذ بطرس وترجمانه - سلم إلينا كتابة ما صرح به بطرس » .

ويعلق د . أ . نينهام - الأستاذ بمعهد اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة (بليكان) لتفسير الإنجيل (٥٣) :

« لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وخاصة (بيسوع) ، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى . . . ومن غير المؤكد صحة القول المأثور ،الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل ، بأنه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل ١٢ : ١٢ ، ٢٥ ، أو في رسالة بطرس الأولى ٥ : ١٣ ، أو في رسالة بولس إلى كولوسى ٤ ؛ ١٠ ، أو في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٤ : ١١ .

ويعلق الأستاذ نينهام قائلاً : لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد ، إنما ترجع جميعها إلى شخصٍ واحد له هذا الاسم !!

ولكن إذا تذكرنا أن أسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية . . . عندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة » .

من ذلك يتضح أن أحداً من علماء النصرانية لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، وإن كان الرأى الشائع أنه كان من تلاميذ بطرس

---

(٥٣) في كتابه : تفسير إنجيل مرقس المطبوع في إنجلترا عام ١٩٦٣ ص ٣٩ .

وتابعيه . . . ويرى د . جرانت أن هذا الرأى الشائع من الموروثات الغريبه ، وهو يشبه - في غرابته - استنتاج القديس أوغسطين الخاطىء بأن مرقس كان واحداً من الذين تبعوا متى ، واختصروا إنجيله (٥٤) .

وكما أن صاحب هذا الإنجيل ، مجهول الهوية فإن تاريخ كتابة هذا الإنجيل محل جدل وعدم اتفاق ، يقول نينهام :

« إنه غالباً قد كتب في الفترة ما بين ٦٥ - ٧٥ م . . ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ م (٥٥) » ويقول هورن : « ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ م وما بعدها إلى سنة ٦٥ م (٥٦) » .

وعن اللغة التي حرر بها هذا الإنجيل ، فهي اللغة اليونانية ، يقول ابن البطريق :

« وفي عصر تارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ، ونسبه الى مرقس (٥٧) » .

ويرى د . بوست في قاموس الكتاب المقدس أنه كتب باليونانية (٥٨) ، ويكاد يجمع الدارسون على أنه قد كتب باللغة اليونانية ، فيقول أ . كولمان : ان وجود المناحي اللغوية اللاتينية يوحي بأنه قد كتب إنجيله في روما (٥٩) .

ويلفت (فردريك جرانت) الانتباه إلى خشونة وعامية اللغة الإغريقية التي حرر بهد هذا الإنجيل (٦٠) .

---

(٥٤) الأناجيل : أصلها وتطورها : ص ٧٤ .
(٥٥) نينهام ص ٤٢ مصدر سابق .
(٥٦) عن الإمام محمد أبو زهرة : محاضرات : ص ٥٥ .
(٥٧) محاضرات صـ ٥٤ .
(٥٨) محاضرات صـ ٥٤ .
(٥٩) ص ٨٤ من كتاب د . بوكاى السابق .
(٦٠) جرانت مصدر سابق ص ٢٨ - ٣٠ .

ويرى د . موريس بوكاي : « أن نص هذا الإنجيل يظهر عيباً رئيسياً أولياً لا جدال فيه ، فلقد حرر دون اهتمام بالتعاقب الزمنى للأحداث . . . كما أن هذا المبشر يبرز افتقاراً كاملاً للمعقولية » .

وينقل عن الأب روجي قوله : « إن مرقس كان كاتباً غير حاذق ، وأكثر المبشرين ابتذالاً ، فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية . . . » (٦١) .

ويذكر علماء النصارى أن فى هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل - معضلات قادحة ليس من السهل التغلب عليها ، منها مثلاً : التناقض الداخلي في أحداثه ورواياته ، ومنها عدم اتفاق أي نسختين من النسخ المخطوطة منه على نص واحد ، إذ إن كل واحدة تخالف الأخرى .

يقول نينهام ، مفسر إنجيل مرقس :

« لقد وقعت تغييرات تعذر اجتنابها ، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ، ومن بين مئات المخطوطات ، لإنجيل مرقس ، والتي ما تزال باقية حتى اليوم ، لا نجد نسختين اثنتين تتفقان تماماً » (٦٢) .

ويرى د . موريس بوكاي : أن إنجيل مرقس يتناقض مع إنجيلي متى ولوقا فيما يخص بعض الأحداث ، مثل حكاية آية يونس ، والآيات التي يعطيها المسيح للبشر أثناء بعثته ، فيسرد مرقس عنها حكاية لم تعد قابلة للتصديق . (٦٣)

وانظر هذه القصص في الإصحاح الثامن : ١١ ، ١٢ ، وقارن بينه وبين إنجيل لوقا مثلاً في الإصحاح السابع : ٢٢ ، والحادي عشر : ٢٠ .

وتمثل خاتمة هذا الإنجيل مشكلة ، فهي غير متفق عليها في النسخ

---

(٦١) د . بوكاي ص ٨٥ مصدر سابق .

(٦٢) انظر : SAINT MARK, Penguin Books, England, 1963 P.11

(٦٣) انظر :بوكاي ص ٨٥ - ٨٦ .

المختلفة ، وتعتبر في نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد ، فقرات غير موثوق بها !!

ويجزم بوكاي بأن هذه الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين باسمي :

[Codex sinatitcus, Codex Faticanus]

اللتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع (٦٤) .

وينقل عن (أ . كولمان) مثل ذلك ، ويعلق (الأب كانينجر) على هذه الخاتمة بقوله :

« لابد أنه حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي ، (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته . . وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتي ولوقا ويوحنا ، تم توليف خاتمة محترمة لمرقس ، وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك ، لدى المبشرين الآخرين . . . وذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التي كانوا يعالجون بها . . . (الأناجيل) حتى أعتاب القر ن الثاني » نقل د . موريس بوكاي ، هذا التعليق عن الأب R.P.Kannengiesser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي في باريس (٦٥) .

وهنا يحسن أن ننقل تعليق د . بوكاي على كلام الأب كانينجر ، أنه يقول : « يا له من اعتراف صريح بوجود التغييرات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة !!

---

(٦٤) صـ ٨٦ الكتب المقدسة لبوكاي .

(٦٥) انظر : المصدر السابق ص ٨٧ ، وقد نقل د . موريس بوكاي هذا التعليق عن الأب R.P.KANNENGISSER الأستاذ بالمعهد اللاهوتى الكاثوليكي في باريس ، من كتابه : « الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان » الذى نشر سنة ١٩٧٤ م في باريس .

ياله من اعتراف ، ذلك الذي تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتي الكبير !! »[٦٦] .

ويلاحظ الدارس المتتبع أن هذه الملاحظات الانتقادية ، الحديثة والمعاصرة ، التي يوجهها علماء النصارى للكتب المقدسة عندهم ، تمتد ـ كما ظهر لنا ـ إلى جانبين رئيسين ، هما :

ـ جانب السند ونقده نقداً علميا ، والتحقق من انقطاعه وعدم اتصاله بصاحب الشرع .

ـ وجانب النص أو المتن ، ونقده نقداً علمياً كذلك ، وإظهار تناقضه وتدابره .

وكما رأينا ، في الإشارات والمقتطفات السابقة التي نقلناها عنهم ، أن السند والمتن كليهما لا يثبتان أمام النقد والتمحيص العلمي المنهجي .

وأقول : إن علماء الإسلام الذين كتبوا في مقارنة الأديان عموماً ، وفي النصرانية ومصادرها خصوصاً ، هم الذين ارتادوا هذا الطريق ، وهم الذين وضعوا أصوله وعناصره . بل إن هذه الدراسات النصرانية حول الكتب المقدسة ، لم تخرج عن دائرة ما أثبته وبرهن عليه علماء الإسلام منذ القرن الثالث للهجرة[٦٧] .

وحري بنا أن نذكر في هذا الصدد أنه ليس هنالك من شك في أن لتوجيهات القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، بشأن ما يمكن أن يطلق عليه (ضوابط المعرفة) ، أثرها في بحوثهم بشكل عام ، وفي علم مقارنة الأديان بشكل خاص .

---

(٦٦) انظر : المصدر السابق ، الموضع نفسه .

(٦٧) انظر مثلا ما كتبه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في رسالته : « الرد على النصارى ، ص ٢٤ من الطبعة الثانية ، من نشرة J.Finkel

وانظر كذلك الكتب التي أشرنا إليها من قبل لابن حزم والجويني والغزالي والقرافي ورحمة الله الهندي وغيرهم .

ومما يلاحظ كذلك أن كثيراً من علماء اللاهوت النصارى المعاصرين قد أخذوا في دراسة ما بين أيديهم من نصوص العهدين القديم والجديد ، بنظره نقدية متحررة ، ولقد شدني عنوان كتاب لأربعة أساتذة في كلية اللاهوت بجامعة كمبردج ، وهو عبارة عن أربع محاضرات ألقاها هؤلاء الأساتذة جمعت تحت عنوان :

« اعتراضات على العقيدة المسيحية » .

ومما جاء في مقدمة هذا السفر :

« لقد أصبحت أساسيات العقيدة المسيحية في هذا العصر موضع ارتياب ، وأن الاعتراضات التي تقوم ضد المسيحية ، لم يعد من الممكن مواجهتها بتكرار الحجج القديمة ، أو بتلك التبريرات الواهية » (٦٨) .

« ٦ » متى :

نلاحظ أن التخمين والظن وعدم التحقق هي الصفات الطاغية على كتابات اللاهوتيين النصارى حول شخصية (متى) الذي ينسب إليه هذا الإنجيل ، كما أن عدم القطع ينسحب ـ أيضا ـ على التاريخ الذي حرر فيه هذا الإنجيل ، والمكان الذي حرر فيه ، والقوم الذين كتبه لهم !!

وان التخمين والاحتمال واضح جداً في الأسلوب الذي يعالج به المؤلفون النصارى مشكلات هذا الإنحيل ، من الناحيتين الدينية والفنية .

لقد ورد ذكر (متى) في إنجيل متى مرتين اثنتين ؛ جاء في الإصحاح التاسع / ٩

« وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى ، فقال له : اتبعني فقام وتبعه » .

---

(٦٨) انظر لماكينيون وفيدلر ووليامز وبيزنت : « اعتراضات على العقيدة المسيحية » . المقدمة ص ٤ ، ٥ طبعة كمبردج سنة ١٩٦٣ م « وقد صدرت من الكتاب المذكور ثلاث طبعات فى شهر واحد » .

والمرة الثانية التى ذكر فيها اسم متى ، فكانت ضمن قائمة التلاميذ الاثنى عشر ، انظر : الاصحاح العاشر / ٣ « متى العشار » .

فهل متى صاحب الإنجيل هو متى العشار ؟ أو بعبارة أخرى : هل يذكر متى هنا نفسه ؟ أو يصف لنا دعوة شخص آخر يدعى متى ؟

ويرى مفسر هذا الإنجيل (J.C.Fenton) في كتابه (٦٩) « إن ربط مؤلف هذا الإنجيل شخصيته بهذا التلميذ هي بالتأكيد خيال محض » .

ويزداد الأمر غموضاً إذا ما عرفنا أن مرقس قد ذكر في إنجيليه الإصحاح الثاني / ١٣

« وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالساً عند مكان الجباية ، فقال له : اتبعني ، فقام وتبعه » (٧٠) .

يقول (فنتون) مفسر إنجيل متى : « حدث هنا تغيير هام ، فبدلاً من قول مرقس : رأى لاوى بن حلفى ـ نجد متى قد غيره إلى:رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه (متى) .

إن اسم لاوى لم يذكر في إنجيل مرقس مرة أخرى ، كما أنه لم يضمن قائمة الاثنى عشر تلميذاً الذين ذكرهم مرقس في (٣ : ١٦ : ١٩) ، وقد ذكر اسم متى بينهم .

فلماذا أحدث مبشرنا (متى) هذا التغيير هنا ؟

إننا لا نجد أى دليل على أن اسم متى كان هو اسم التنصير للاوى . إنه من المحتمل ـ ولو أن هذا مجرد ظن ـ أنه كانت هناك بعض الصلات بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل ، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل (؟) نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذي كان اسمه متى ، ويحتمل أن يكون المبشر (كاتب الإنجيل) قد اغتنم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ ، فربطها بذلك

SAINTMATT EW, 1963, P. 136 (٦٩)

التلميذ الخاص أحد الاثني عشر (متى) الذي وقره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها »[٧١] .

ويتساءل الدكتور موريس بوكاي قائلاً :

ما هي شخصية متى . . . ؟

ويجيب لنقل صراحة : إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد حواريي المسيح ، وبرغم ذلك يقدمه . . تريكو على أنه كذلك ، في تعليقه على ترجمة العهد الجديد (المنشورة عام ١٩٦٠ م) ، يقول :

اسمه متى ، واسمه قبل ذلك ليفي ، وكان عشاراً أو جابياً بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم ، عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته » .

وذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة مثل أوريجين وجيروم وإبيجان ، ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا !!

وهناك نقطة لا جدال فيها ، وهي أن هذا الكاتب يهودي ، فمفردات كتابه فلسطينية ، أما التحرير فيوناني ، ويقول أ . كولمان : « إن الكاتب ، أي متى ، يخاطب « أناساً يتحدثون اليونانية ، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرامية »[٧٢] .

وكذلك فإن الباحث اللاهوتي الدكتور جرانت يتفق مع موريس بوكاي ويقطع بأن :

« مؤلف إنجيل متى يهودي ولا شك ، وهو يختلف عن مرقس الذي لا يفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلاً ، كما أنه يختلف عن لوقا الذي يفهم اليهود جيداً ، ويعرف حسن إيمانهم وقوته !! لكن خلفيته الثقافية تأتي

---

(٧٠) ، (٧١) المصدر السابق .

(٧٢) دراسة الكتب المقدسة صـ ٨٠ ـ ٨١ .

من العالم الواسع للإمبراطورية الرومانية والهللينية الشرقية ، إن متى يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجل يهودي المولد ، إن حملته العنيفة ضد الفريسيين وريائهم لا تحجب حقيقة موقفة تجاه الناموس (التوراة) ، وهو أنه لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ـ ٥ : ١٨ .

وهو لا يجامل ذلك النوع المسيحي المتحرر (من قيود الناموس) الذي يبدو أن بشارة بولس (وتعاليمه) قد شجعت سلوكه ووجهة نظره المشئومة . . ولا يزال من الواضح أن كلا من بولس الهلليني ومتى المبشر اليهودي له وجهة نظر تخالف الآخر تماماً فيما يتعلق بأعمال يسوع وتعاليمه (٧٣) .

ويقول تريكو ـ فيما ينقله لنا عنه بوكاي ص ٨٠

« تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهودياً : لحماً ودماً وعظماً وروحاً ، وهو يحمل آثار اليهودية ، ويتسم بسماتها المميزة » .

ويرى بوكاي أنه لما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد ، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة في إنجيل متى نفسه . ومنها :

أن الكاتب معروف بتبحره في الكتب المقدسة والتراث اليهودي ، وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعبه اليهود ، وإن أغلظ في خطابه لهم ، كما أنه أستاذ في فن التدريس ، وفي إفهام قول المسيح لمستمعيه ، مع تأكيده الدائم على النتائج العلمية لتعاليمه ، إنه يتفق جيداً مع ملامح يهودي متأدب اعتنق المسيحية ، وهو معلم حاذق يخرج من كنزه جديداً وقديماً .

ومع هذه الصورة التي يرسمها موريس بوكاي لمتى معتمداً في تكوينها على معطيات إنجيله ، يذهب إلى تأكيد وترسيخ رأيه الرامي إلى أن متى ليس تلميذاً من تلاميذ المسيح عليه السلام ، فيقول :

---

(٧٣) « الأناجيل : أصلها وتطورها ، صـ ١٤٠ ، ١٤١ » .

« تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم الـذي يطلق عليه مرقس ولـوقـا اسم (ليفي) ، والذى أصبح واحداً من حواريي المسيح الاثنى عشر » (٧٤) .

لغـــة هذا الإنجيل :

الـرأى الشـائـع لدى كثير من الباحثين هو أن هذا الإنجيل قد كتب ـ أساساً ـ باللغة العبرية ، ثم نقل منها إلى اللغة اليونانية التى عرف بها ، لكن هذه المصادر تسكت عن ذكر المترجم أو الإشارة إليه ، اللهم إلا ابن البطريق الذي يقول :

« كتب متـاوس (متى) إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس ، وفسره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا الإنجيل » .

ولم يؤيد أحد من المؤرخين ابن البطريق في هذا ، بل إن الكثيرين منهم يقولون :

« إنه لم يعرف المترجم » .

أما عن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فهي كما يذكر هورن :

« سنة ٦١ أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد » (٧٥) .

« أما (فتون) ، فيذكر أنه قد حرر في الفترة من ٨٠ الى ١٠٥ ميلادية (٧٦) .

وإن خلاف الـدارسـين النصـارى حول المكـان الـذي ألف فيه هذا الإنجيل ، ليس بأقل من خلافهم حول شخصية متى نفسه أو البسنة التي حرر فيها إنجيله !!

---

(٧٤) المصدر السابق . ص ٨١ .

(٧٥) انظر محاضرات في النصرانية للشيخ أبي زهرة صـ ٥١ ـ ٥٢ .

(٧٦) المصدر السابق صـ ١١ .

مضمون إنجيل متى ومشكلاته :

لن نتحدث عن القضايا التي عالجها هذا الإنجيل بشكل مفصل ، ولكن نكتفي بأن نذكر شيئاً عن الخط العام الذي انتهجه هذا الكتاب .

يقول د . موريس بوكاي : « يحتل إنجيل متى - بين الأناجيل الأربعة - المكان الأول في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد ، وهي مكانة لها ما يبررها .

فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما ، فقد كتب ليثبت أن المسيح « يكمل تاريخ إسرائيل » : يقول هؤلاء المعلقون على الترجمة المسكونية ، ولكي يحقق متى هذا الغرض فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم ، تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذى ينتظره اليهود ، ويبدأ هذا الإنجيل بشجرة نسب المسيح » (٧٧) .

ويجعل متى المسيح ينتسب إلى إبراهيم (عليه السلام) عن طريق داود (عليه السلام) ، يقول في مفتتح إنجيله ، (١ : ١٧) :

« كتاب ميلاد يسوع بن داود بن إبراهيم . . . » .

وينبه حجة الإسلام أبو المعالي الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ على غلط متى في الحساب (حساب الآباء) وفي نسب المسيح معاً ، إذ يقول :

« فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا » (٧٨) .

---

(٧٧) الكتب المقدسة في ضوء . . ص ٧٩ .

(٧٨) انظر لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى : « شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل » ص ٤٢ من نشرة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء بالرياض ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م ، وانظر : انجيل متى : ١ : ١٧ .

يقول الجويني :

« وهذه المباحثة وما ألزمناه من الغلط (يقصد في حساب أجيال آباء يوسف النجار) يسير بالنسبة إلى ما سنذكره من أمره وأمر صاحبه « لوقا » وذلك أنهما تباينا مباينة ناطقة بخطأ أحدهما أو خطأهما ، والعجب أن كلا منهما يزعم :

أنه سمع ما وضعه في إنجيله وتفوه به ، بعد أن نزلت عليه روح القدس ، واقتضت له العصمة من الخطأ في قوله وفعله » (٧٩) .

ويثبت الجوينى رحمه الله ، شجرة المسيح التي ذكرها متى وتلك التي ذكرها لوقا ، ويعلق على الاختلاف بينهما بقوله :

« هذا نسب يوسف (والد المسيح بزعمهم) ، ساقه لوقا هذا المساق ، وذكر آباءه شخصاً شخصاً ، منه إلى آدم .

وقد سمعت حديث صاحبه متى وما سلف منه من المباينة ، فإن كانا صادقين : لزم أن يكون ليوسف أبوان محبلان لأمه ، وكذلك الكلام في كل جد من أجداده . وإن كانا كاذبين : جاز وقوع التبديل منهما ، إما عمداً أو غفلة ، وحينئذ تسقط الثقة بما نقلاه ، معتقدين أنه الحق !!

ثم يقول :

كيف يصدر الكذب ممن يعتقد فيهما أنهما معصومان بروح القدس حين حلت عليهما ؟ وإن كان أحدهما صادقاً ، والآخر كاذباً ، عادت الحالة حين فرضا كاذبين !! » (٨٠) .

ولقد تناول الإمام أبو محمد ابن حزم الظاهري - المتوفى ٤٥٦ هـ هذه المسألة بالتفنيد والرد ، فقال :

« فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ، ما أفحشها وأوحشها وأقذرها وأوضرها وأرذلها وأنذلها !! متّى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار ،

---

(٧٩) ، (٨٠) انظر · شفاء الغليل صـ ٤٤ - ٤٥ (الطبعة نفسها) .

(٨٠) انظر : شفاء الغليل صـ ٤٤ - ٤٥ (الطبعة نفسها) .

ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبا فأبا ، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذي ذكر متى ، حتى يخرجه إلى ناثان بن داود أخي سليمان بن داود . ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذباً ، فيكذب متى أو لوقا ، أو لابد أن يكون كلا النسبين كذبا ، فيكذب الملعونان جميعاً ، ولا يمكن البتّة أن يكون كلا النسبين حقاً !!

ولوقا عندهم - لوَّق الله صورهم ، وألاق وجوههم ، ولقاهم البلاء ، وألقى عليهم الدمار واللعنة - في الجلالة - فوق جميع الأنبياء عليهم السلام ! » (٨١) .

وانظر لأبي عبيدة الخزرجى ٥٨٢ هـ تفنيده لهذا المشكل العويص (٨٢) .

ذكرت هاتين الفقرتين للإمامين الجويني وابن حزم في مسألة نسب المسيح عليه السلام ، التي ذكرها كل من متى ولوقا ، بشكل يغاير صاحبه ، لأثبت أن بحث العلماء المسلمين في مقارنة الأديان كان منهجياً موضوعياً ، يعتمد على دراسة معطيات النصوص ومقارنتها ، وعلى دراسة السند واتصاله أو انقطاعه .

ولقد حذا بعض الباحثين اللاهوتيين المحدثين حذو العلماء المسلمين في دراسة الأناجيل واعترفوا بما فيها من تناقض وتدابر يستحيل قبوله أو الاعتذار عنه (٨٣) .

---

(٨١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، حـ ٢ ص ١٠ وما بعدها ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

(٨٢) أبو عبيدة الخزرجي : مقامع هامات الصلبان (بين الإسلام والمسيحية) ص ١٨٠ نشرة د . محمد شامه ، مكتبة وهبة .

(٨٣) انظر مثلا في مناقشة اختلاف إنجيلى متى ولوقا في شجرة نسب المسيح عليه السلام :

- دكتور موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٠٤ - ١٠٧

Fenton : SAINTMATTHEW, 1963, PP. 39-40

Carid, SAINTLUKE, 1963, P 19 -.

وهنالك مشكلات عديدة وتناقضات أخرى ، مثل :

ـ خطأ استشهاده بنبوءات العهد القديم التي أسرف فيها غاية الإسراف .

ـ ومثل توقعه نهاية العالم « قبل أن يدرك الموت بعض معاصري المسيح والذين استمعوا إلى تعاليمه . . وقبل أن يكون ذلك الجيل الذي عاصر المسيح قد فني » (٨٤) .

وبالطبع فإن شيئاً من ذلك ـ كما يقول جون فنتون وكما هو واقع ـ لم يحدث كما توقعه متى . (٨٥) .

على أن بعض الدارسين قد يأخذ على الجويني وابن حزم حدتهما وعلو نبرتهما في أوصافهما التي رميا بها متى وغيره من أصحاب الأناجيل ، أقول لهؤلاء :

إن الباحثين اللاهوتيين المعاصرين يتكلمون نفس هذه اللغة . يقول بوكاي عن مرقس مثلاً : إنه الكاتب الغث . . وعن متى المتناقض . . اللامعقول وعن يوحنا المزوِّر . . الخ وانظر مثلاً أوصاف الأب كانينجسير والدكتور جرانت وفنتون وكيرد التي وصفوا بها أصحاب الأناجيل !!

« ٧ » بطرس :

يعتبر العهد الجديد بطرس ، واحداً من تلاميذ السيد المسيح ، أو من حوارييه ، يظهر ذلك في أكثر من موضع ، منها مثلاً ما جاء في إنجيل مرقس (٨٦)

« ودخل يسوع أورشليم والهيكل . . وفي الغد لما خرج إلى بيت عينا جاع ، فنظر شجرة تين من بعيد ، عليها ورق ، وجاء لعله يجد فيها شيئاً ،

---

(٨٤) إنجيل متى ١٦ : ٢٨ ، ٢٤ : ٣٤ .

(٨٥) « مصدر سابق » SAINTMATTEW, P 21

(٨٦) انظر : الإصحاح الحادى عشر ١١ ـ ١٤ ص ٧٧ من طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠ م

وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد . . . » وجاء في بقية النص أن :

« بطرس قال له : يا معلم ، هذه التينة التي لعنتها قد يبست . . الخ » .

وجاء في سفر أعمال الرسل ، الإصحاح الرابع : ١٣ :

« فعرفوهما (بطرس وصاحبه) أنهما كانا مع يسوع » .

ولبطرس هذا رسالتان في العهد الجديد .

تقول افتتاحية رسالته الأولى :

(بطرس رسول يسوع المسيح إلى . .) .

أما الرسالة الثانية فإن افتتاحيتها تقول :

« رسالة سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح » .

وتذكر دائرة المعارف الأمريكية أنه كان لبطرس إنجيل ، لكنه إنجيل مرفوض ، وهو من مصدر قديم ، وقيل : إنه كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة . . في الربع الأخير من القرن الثاني [٨٧] .

ويرى جنتر لاتركوفسكي أن رسالتي بطرس تقعان في إطار الرسائل العامة ، أي التي وجهها إلى كل الكنائس ، وليست مثل رسائل بولس الموجهة إلى كنائس خاصة أو أشخاص معينين [٨٨] .

ويحدد بوتر في كتابه : [٨٩]

الفترة التي كتب فيها بطرس رسالته الأولى بسنة ٩٥ ميلادية ، وكتب رسالته الثانية في سنة ١٥٠ م . وعلى ذلك يبعد أن يكون بطرس تلميذاً للمسيح عليه السلام .

---

(٨٧) « حـ ١٣ ص ٧٠ ـ ٧١ » .

(٨٨) انظر : Sacred writings, 1961. PP. 31-37

(٨٩) Ther Lost years of Jesus revealed, 1963, PP 20-21

ويذكر (سفر أعمال الرسل) أن بطرس كان واحداً من الرسل الملهمين من الروح القدس .

جاء في الإصحاح الأول ١٣ : ١٤

« ولما دخلوا (أورشليم) صعدوا إلى العلّية التي كانوا يقيمون فيها : بطرس ويعقوب ويوحنا وندراوس وفيلبس وتوما وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب » .

ويعطي هذا السفر لبطرس دوراً مميزاً ، فيظهره بمظهر خطيب التلاميذ أو المتحدث بلسانهم .

انظر مثلا ما جاء في الإصحاح السادس عشر : ١٥ .

« وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ ، وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين وقال . . »

وكذلك في الإصحاح الثالث : ١٤ .

« فوقف بطرس مع الأحد عشر . ورفع صوته وقال . . . » .

ليس هذا فحسب ، بل إن هذا السفر يظهر بطرس على أنه رسول صاحب معجزات خارقة للعادة ، فهو يميت ويشفي من العرج المزمن ويبرىء المفلوج . . إلخ ، [٩٠] .

كما أن هذا السفر يرينا بطرس داعية مجاهداً ومتحدياً ومظهراً لدعوة يسوع . الإصحاح الرابع : ٨ .

أما رفقة بطرس ليوحنا أو صحبة يوحنا لبطرس فإنها ماثلة في عدة مواضع من سفر أعمال الرسل [٩١] .

ولكن من هو مؤلف (سفر أعمال الرسل) الذي أمدّنا بهذه المعلومات ،

---

(٩٠) انظر : الإصحاح الثالث ١ : ١٢ ـ الإصحاح التاسع ٣٢ ، ٣٤ .
(٩١) انظر : الثالث : ١ ـ الرابع : ١٣ ، ١٩ ـ الثامن : ١٤ .

وذكر أمر الرسل وإلهامهم وأعمالهم وأخبارهم . . . وذكر من بين هؤلاء بطرس ؟

يذكر د . موريس بوكاي : إنه يقال : إن « لوقا » هو كاتب هذا السفر [٩٢] .

أما لاتركوفسكي فيعتبر سفر أعمال الرسل ملحقاً للإنجيل الثالث ، إنجيل لوقا ، أو بعبارة أخرى فإنه يكون الجزء الثاني من رواية لوقا .

ويشبه هذا السفر الأناجيل من حيث إنه لا يهتم بالتاريخ أو الترتيب الزمني للأحداث ، فالغرض منه تسجيل أعمال التلاميذ ، وبيان كيفية تكوين الكنيسة الأولى ، كما أنه يهاجم الوثنية ، ويبرز توسع حركة التبشير بالمسيحية » [٩٣] .

ولكن من هو لوقا . . مؤلف سفر أعمال الرسل كما يذكر بعض الكتاب ؟

وهل كان لوقا من تلاميذ المسيح عليه السلام ؟

وهل كان ملهماً ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يرجع إلى ما سجلناه عن لوقا .

ومما يجدر أن ننبه عليه هنا ، هو أن لوقا كان المصدر الوحيد الذى ذكر أمر الرسل ، وأمر رسالتهم ، وأمر إلهامهم !!

وهذا يدفعنا إلى التحقيق والتدقيق حول شخصية لوقا !!

ومما يذكر هنا أيضاً ، أن لوقا يزعم أن بطرس كان رسولاً ، ويوهم كلامه بأنه كان صاحب رسالة مطلقة ، بينما بطرس نفسه يصرح بأنه ليس إلا رسول يسوع المسيح ، يصرح بهذا في مفتتح رسالتيه ، يقول :

« بطرس رسول يسوع المسيح . . . » .

« سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله . . » .

---

(٩٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص ٦٧ .

(٩٣) ص ٣١ ص ٣٧ من المصدر السابق .

« ٨ » لوقـا :

اختلف الباحثون في شخصية لوقا ، وفي صناعته ، وفي القوم الذين كتب لهم إنجيله ، وفي تاريخ تأليفه ، واتفقوا على نقطتين ، هما : أن لوقا ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه ، وأنه قد حرر إنجيله باللغة اليونانية .

وإن لافتتاحية إنجيل لوقا أهمية كبيرة ، ذلك أنها تلقي ضوءاً ساطعاً على ما كان يحدث في صدر المسيحية ، فيما يتعلق بتأليف الأناجيل ، يقول لوقا :

« إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة (٩٤) رأيت أنا ـ أيضا ـ إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالي إليك ، أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علِّمت به .

كان في أيام هيرودس ملك اليهودية ، كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيًّا وامرأته . . » [الأولى ١ : ٥] .

تقدم لنا هذه الافتتاحية عدة ملاحظات ، منها :

ـ أن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس ، وأن هذه الرسالة تكتب على التوالي ، حسبما تتوفر لها ظروف وإمكانات الكتابة .

ـ وأن هذا العمل قام به لوقا بدافع شخصي بحت ، بغية أن تصل المعلومات التي أعلم بها إلى ثاوفيلس ، ولم يدع الرجل أنه قد كتبها بإلهام أو مسوقاً من الروح القدس !! أو أنه كتبها لأنها الحق المقدس ، بل يقرر صراحة أن معلوماته جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي ، حيث إنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق .

ـ يقرر لوقا كذلك أن كثيرين قد أخذوا في تأليف أناجيل .

---

(٩٤) الكلمة هنا يعنون بها يسوع المسيح عليه السلام .

ـ كما يعترف بأنه لم ير المسيح ، ولم يتتلمذ عليه ، لكنه كتب رسالته عن المسيح إلى ثاوفيلس بناء على المعلومات التي تسلمها من الذين عاينوا المسيح ، وكانوا في خدمته .

هذا ومن المعلوم أن سفر أعمال الرسل ـ وهو أطول أسفار العهد الجديد ـ هو الجزء الثاني من رسالة لوقا إلى ثا وفيلس ، بعد أن اعتبر الجزء الأول منها إنجيلاً ، صار يعرف باسم إنجيل لوقا ، ذلك أن سفر أعمال الرسل يبدأ بقول لوقا :

« الكلام الأول الذي أنشأته ياثا وفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه . . »(٩٥) .

ولقد حاول العلماء معرفة من يكون ثاو فيلس هذا الذي كتب إليه لوقا رسالتيه :

إنجيل لوقا ، وأعمال الرسل ، لكن جهودهم ـ في هذا الصدد ـ لم تصل إلى نتائج محققة ، ولم يتعد الأمر تقديم فروض وتخمينات . يقول الدكتور فريدريك جرانت :

« لم نخطر بمن يكون ثاو فيلس هذا ، وقد يمكن افتراضه موظفاً رومانياً . . كذلك لم نخطر بمن أولئك الكثيرين الذين أخذوا في تأليف قصص مماثلة (أناجيل). »(٩٦). وليست شخصية ثاو فيلس فقط هي التي تثير مشاكل لدى الباحثين ، وإنما شخصية لوقا نفسه تثير أيضاً مثل هذه المشاكل فمن هو لوقا ؟

---

(٩٥) أعمال الرسل : ١ ـ ٢ وقارن : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦٢ ، ص ٦٣ .

(٩٦) مصدر سابق : صـ ١٢١ وما بعدها .

يقول جورج كيرد :

« إنه من النادر ذكر لوقا كشخصية بارزة في سجلات التاريخ للقرن الأول من المسيحية . . وإن كانت الفكرة السائدة لدى الكتاب (النصارى) الأقدمين ، هي أن مؤلف الإنجيل كان لوقا الطبيب الذي يذكره بولس كصديق ورفيق في رسائله : (كولوس ٤ : ١٤ ، فليمون ٢٤ ، تيموثاوس ٤ : ١١)

وإن كليمنت السكندري ، ترتليان ، وأوريجين ، وايزبيوس وجيروم ، كل هؤلاء يعتقدون بأن لوقا هو المؤلف . ويضيف الأخيران ، أنه من أنطاكية » (٩٧) .

ويذكر د . موريس بوكاي :

لقد أراد بعضهم التعرف على هويته في شخصية الطبيب الذي يحمل اسم لوقا ، والذي يذكره بولس في بعض رسائله . وتلاحظ الترجمة المسكونية أن « بعضهم قد رأى تأكيداً لمهنة الطب التي كان المؤلف يمارسها ، وذلك بسبب دقة وصفه المرض » .

وهذا تقدير مبالغ فيه تماماً ، فلوقا لا يعطى « أوصافاً » من هذا النوع إذا شئنا الدقة ، « والمفردات التي يستخدمها هي مفردات أي إنسان مثقف في هذا العصر » (٩٨) .

ويذكر جورج كيرد ، مفسر إنجيل لوقا ، في مقدمة تفسيره :

« لقد كان لوقا ينتمي إلى الجيل الثاني من المسيحيين . . وقد يوحي اهتمامه بالأمميين « غير اليهود » وتجنّبه الخوض في المسائل اليهودية البحتة ، بأنه كان أمميًا (غير يهودي . . .) (٩٩) .

---

(٩٧) SAINTLUKE, PP. 16-17

(٩٨) انظر : الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ ٨٨ .

(٩٩) صـ ١٦ المصدر السابق .

فهـو ليس من تلاميذ المسيح ، وليس من اليهـود ، ولكنـه ـ فيما يرى بوكـاي ـ وثني آمن بالمسيحية [١٠٠] ، واتجـاهـه بالنسبـة إلى اليهـود يتضح مباشرة ، فهو ـ فيما ينقل بوكاي عن أ . كولمان ـ يحذف من روايته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس ، ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود ، وعلاقاته الطيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود .

على حين يقول متي في إنجيله :

إن المسيح طلب إلى حوارييه أن يجتنبوا السامرين .

ويعلق بوكاي على ذلك بقوله :

« وذلـك مثال جلي ـ بين أمثلة كثيرة ـ على أن المبشرين ، يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية !!

ويتساءل قائلاً :

كيف يمكن إذن إنكار أن الأناجيل ليست إلا كتابات « خصامية » أو « ظرفية » ؟ [١٠١] .

ولوقا « كاتب حوليات » في رأي أ . كولمان .

و « روائي حقيقي » في نظر الأب كانتجسر .

وإن إنجيل لوقا عمل أدبي . . كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية ، تخلو من حوشي الكلام ، [١٠٢] .

وعن تاريخ كتابة إنجيل لوقا ، يرى النقاد الحاليون أنه كتب ما بين عامى ٨٠ و ٩٠ م [١٠٣] .

---

(١٠٠) أى من المستجيبة على حد وصف الجاحظ في : (الرد على النصارى) ص ٩٩ من نشرة دار الصحوة

(١٠١) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(١٠٢) المصدر السابق ص ٨٧ .

(١٠٣) المصدر السابق ص ٨٨ .

وهذا بينما يرى (جرانت) أنه قد أصدر لوقا إنجيله حوالى عام ٨٠ ، أو ٨٥ م . وبعد ذلك بحوالي خمس سنوات فإنه ذيل كتابه الأصلي برسالة ثانية نعـرفها الآن باسم أعمال الرسل ، لكى ترد على أسئلة المثقفين وربما كبار موظفي الرومان مثل ثاو فيلس ، ثم نشر مصنفه في حوالي ٩٥ م [١٠٤] .

ولقـدد حدد كل من الـدكتـور بوست وهورن ولارون ، تواريخ مختلفة متفاوتة لكتابة هذا الإنجيل [١٠٥] .

مشكلات إنجيل لوقا :

ينطوي هذا الإنجيل ـ في واقع الأمر ـ على عدة مشكلات ، على رأس هذه المشكلات تلك التى نتجت عن تسلسل نسب المسيح كما أورده لوقا ، والاختلاف بينه وبين التسلسل الذى أورده متى .[١٠٦]

ـ وكذلك فإن ما يرويه لوقا عن طفولة المسيح ، يختلف عما يرويه متى حول الموضوع نفسه .

ـ وهناك مسألة سر القربان المقدس ، وهو حدث ذو أهمية رئيسية بالنسبة للمسيحيين ، على حد تعبير موريس بوكاي .

ـ يلاحظ الأب روجي فى كتابه (مقدمة إلى الإنجيل) ، (ص ٧٥) :

أن إنجيل لوقا وهو يسوق سر القربان المقدس ، الإصحاح ٢٢ ـ الآيات من ١٩ ـ ٢٤ ، يختلف عن إنجيل متى في : الإصحاح ٢٦ ـ الآيات من ٢٦ ـ ٢٩ ، وعن إنجيل مرقس في : الإصحاح ١٤ ـ الآيات ٢٢ ـ ٢٤ . .

ويلاحظ أن الصيغة التى ينقلها لوقا تقارب كثيراً تلك التي يذكرها بولس في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثة ، الإصحاح ١١ ـ ٢٣ : ٢٥ [١٠٧] .

---

(١٠٤) د . جرانت : الأناجيل : أصلها وتطورها ، ص ١٢١ .
(١٠٥) انظر : محاضرات في النصرانية ص ٥٧ .
(١٠٦) انظر حديثنا عن إنجيل متى .
(١٠٧) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص ٨٩ .

ولئن كان لوقا فى صدر إنجيله يقر بأنه يكتب إنجيله بغير إلهام ، فإنه في رسالة أعمال الرسل ، يتحدث عن إلهام الرسل وعن صلتهم بالروح القدس . . إلخ ، وهذه مسألة يناقض فيها لوقا نفسه !

ـ كما أنه يحدد تاريخ صعود المسيح ـ في إنجيله ـ بيوم الفصح ويحدده في أعمال الرسل ، بأربعين يوماً بعد الفصح !!

ومما يجدر ذكره ـ في هذا المقام ـ أن لوقا ، الذي يقر في صدر رسالته الأولى إلى ثاوفيلس ، بأنه لا يكتب له عن إلهام ، ولا يكتب له بتوجيه ووحي من الروح القدس .

ويصرح هو نفسه بأن رسالته الثانية إلى ثاوفيلس (سفر أعمال الرسل فيما بعد) ، إن هي إلا امتداد لرسالته الأولى ، ووفاء بوعده ، حيث ذكر له أنه سيكتب له على التوالي .

أقول :

إن لوقا هذا هو المصدر الوحيد الذي زعم الإلهام للرسل ، وزعم أن لهم صلة بالروح القدس !!

والسؤال الآن : ما قيمة هذا الزعم الذي يجيء من رجل لم يكن من تلاميذ المسيح عليه السلام (بحسب تصريحه هو) ، ولم يكن من تلاميذ تلاميذه (بحسب استناجات علماء اللاهوت) ، ولم يكن من خدام الكلمة (أي المسيح) ، ولم يكتب ما كتب عن وحي وإلهام ؟ !

وبعد : فلعلنا نتمكن قريباً إن شاء الله تعالى ، من إنجاز دراستنا عن هذه القضية : قضية انقطاع السند وتناقض المتن ، في الأناجيل والرسائل ، من المصادر الإسلامية الأصلية ، بعد أن ذكرنا هنا أبرز ما قاله واستنتجه الدارسون اللاهوتيون النصارى .

وما توفيقي إلا بالله .

المبحث الخامـــس

النُبُوَّةُ والْأَنْبيَاءُ
فِى التَّوْرَاةِ والْقُرآنِ الكريم

« دراسة مقارنة »

(١) الأنبياء وحاجة البشر إليهم :

لقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم ، وأكرمه ، وفضله على كثير ممن خلق ؛ إذْ خلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وسخَّر له الكون بما فيه - وما أعظم ما فيه ! - وجعل له السمع والأبصار والأفئدة ، وعلمه البيان . . وتفضل عليه فخاطبه وكلفه وأرشده ، وأمره ونهاه ، وبين له سبل الفلاح ، وعرفه أن هذه الحياة ليست الخاتمة ، لكنها حياة تتلوها حياة يلقى فيهـا الإنسـان جزاء ما قدم . . . وهـذا لا يستقـل عقـل الإنسـان بإدراكـه (*) ، كما أن الله جعـل فى هذه الحياة طيبات وخبائث ليس لحس الإنسان وعقله استقلال فى الوقوف عليها ، وهنالك جمل من القضايا ممكنات لا طريق للعقـل إلى الجـزم بأحـد جانبيهـا ، وواجبات وممتنعات لا تظهر للعقل - إن ظهرت - إلا بعد طول نظر وتواصل فكر ، ولو استقل الإنسان بها لتعطلت قطعاً أكثر مصالحه .

وعلى الجملة ، فإن الله تعالى قد أراد من الإنسان - فى هذه الحياة - اعتقاداً صحيحاً وسلوكا قوياً ، يحقق مصلحته ويجلب سعادته ، وليس له أن يدرك ذلك مستقلاً بحسه وعقله ، فكان أن تفضل الله - رحمةً بالإنسان - فاختار رجالاً واصطفاهم وأمرهم بتبليغ هدايته ومنهجه وشرائعه إلى الناس .

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم »[1]

(*) آية ذلـك هذا الـركام الهائل من النظريات والآراء التى انقدحت بها عقول الفلاسفة - وهم من عباقرة البشر غالباً - فإنهم عندما يبحثون فى المسائل الإلهية بعقولهم المجردة - غير مستضيئين بنور الوحى ، يخرجون بكلام غث بارد سخيف فج ؛ وما ذلك إلا لأن هذه المسائل لا تستقل العقول - مهما كانت عبقريتها - بإدراكها جملة وتفصيلاً .

(١) سورة يوسف ١٠٩ ، سورة النحل ٤٣

« يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق » [٢]

هؤلاء هم الرسل ، وهم خيار الخلق ، وصفوة الله تعالى من بين جميع الناس ، هداهم الله واجتباهم ، وأنعم عليهم ، فهم قمم البشرية الشوامخ خلقاً وسلوكاً وصبراً وجهاداً :

« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، من ذرية آدم ، وممن حملنا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ، وممن هدينا واجتبينا ، إذا تتلى عليهم آياتُ الرحْمنِ خرُّوا سُجَّداً وبُكياً » [٣]

وملاك الأمر أن الله تعالى لا يرسل إلى خلقه إلا خيارهم وصفوتهم خلقاً وسلوكا ونسباً [٤] ، فقد اقتضت حكمته أن يختار هؤلاء دون سواهم ، وأن يهبهم صفات تميزهم عن غيرهم ، فامتازوا بصدق الدعوة والأمانة والإخلاص والتوبة ، ونزهوا عن جميع الرذائل وسائر الأخلاق الذميمة ، ولهذا اختصت النبوة بأشرف أفراد النوع الإنساني من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأى والعصمة من الزلل والزيغ والكذب والبهتان [٥]

هذه على الإجمال صورة أنبياء الله فى الإسلام ، فما هى ملامح الصورة التى رسمتها التوراة وأسفار العهد القديم ـ المسلمة عند اليهود والنصارى على أنها أسفار الذين المقدسة ـ لهؤلاء الرسل الكرام . . . وحتى تتضح الصورة سنقابل فى هذا المبحث بين ماورد فى التوراة وكتب العهد القديم وما جاء فى القرآن الكريم خاصاً بالأنبياء عليهم السلام ؛ ولأن مثل هذا البحث يعجز عن سوق كل ما جاء فى حق جميع أنبياء الله فى التوراة والقرآن ، فإننا

---

(٢) سورة غافر ١٥

(٣) سورة مريم / ٥٨

(٤) قارن فتاوى الإمام ابن تيمية حـ ١٥ صـ ٣٠ طبعة الرئاسة العامة بالرياض

(٥) انظر كتاب لوامع الأنوار البهية لمحمد بن أحمد السفارينى صـ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، حـ ٢ طبعة دمشق .

سنقتصر على بعض هؤلاء الرسل الكرام ، كما سنقتصر على النصوص التوراتية ومقابلتها بالنصوص القرآنية من غير تعويل على شروح العلماء واستنباطاتهم .

وليعذرنا القارىء الكريم إذ ننقل له نصوصاً من التوراة المنسوبة (*) إلى موسى عليه السلام فى حق الأنبياء ، ما كان لنا أن نتلفظ أو نستشهد بها لولا أن القرآن قد حكى عن بني إسرائيل ما افتروه على الله جل جلاله وعظم سلطانه ، مثل قولهم :

« إن الله فقير ونحن أغنياء » (٦) « يد الله مغلولة (٧) » « عزير ابن الله » (٨)

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » (٩)

ورحم الله أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إذ يقول : « لولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا . . . لكنت لأن أخرّ من السماء أحب إلى من أن ألفظ بحرف مما يقولون ، ولكنى لا أصل إلى إظهار جميع مخازيهم وما يسرون من فضائحهم إلا بالإخبار عنهم والحكاية منهم » (١٠)

---

(٦) سورة آل عمران / ١٨١

(٧) سورة المائدة / ٦٤

(٨) سورة التوبة / ٣٠

(٩) رواه البخارى ، انظر صـ ٤٩٦ حـ ٦ من فتح البارى لابن حجر العسقلانى ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل .

(★) تقرر التوراة الحالية أنها تنزيل من رب العالمين ؛ حيث ذكر فيها : « ودعا الله موسى إلى رأس الجبل ، فصعد موسى » الخروج ١٩ : ٢٠ « ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات » الخروج ٢٠ / ١ « وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل » سفر التثنية ٣١/٩

(١٠) الجاحظ : المختار فى الرد على النصارى ، بتحقيقنا ، ونشر دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٤ هـ وقد نقل ابن حزم صاحب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، هذه العبارة عنه ، انظر حـ ١ صـ ٣٢٨

٢ ـ نوح ـ عليه السلام ـ فى التوراة والقرآن

تصور التوراة نوحاً ـ عليه السلام ـ على أنه رجل خمر وسكر ، يعاقر الخمر حتى تدور برأسه . . وتذهب بعقله ، فيتعرى . . وتنكشف سوأته ، فيراه ابنه حام على هذا الحال المزرى . . فيخبر أخويه بذلك . . وعندما يفيق نوح من خمره وسكره يلعن ابنه حام ، ويحكم عليه بالعبودية والمذلة لأخويه

« . . . وابتدأ نوح يكون فلاحاً ، وغرس كرماً ، وشرب منه الخمر ، فسكر ، وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجاً ، فأخذ سام ويافث الرداء ، ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء ، وستراً عورة أبيهما ، ووجهاهما إلى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال : ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لإخوته ، وقال : مبارك الرب إله سام . وليكن كنعان عبداً لهم »[١١]

هذه صورة نوح عليه السلام ، التى يرى اليهود والنصارى أن الله قد كلم بها موسى عليه السلام ، ثم كتبها موسى ووضعها فى التوراة ، ووضع التوراة فى التابوت ، وسلمها لبنى إسرائيل ، وجعل الهارونيين من بني لاوى ـ أحد أسباط بني إسرائيل الإثنى عشر ـ حفظة لها وحراساً عليها .

وأحسب ـ من جانبى ـ أن الأمر لا يعدو أن يكون تأصيلاً لنظرية بني إسرائيل العنصرية العرقية القاضية برفع سلالتهم فوق كل السلالات . . ووراء اختلاق هذه القصة الخبيثة باعثان شنيعان خسيسان ، هما :

أولهما ـ تأصيل اصطفاء السلالة الإسرائيلية ورفعها ـ عرقياً وعنصرياً ـ فوق الكنعانيين أعدائهم التقليدين ؛ ذلك أن الكنعانيين إن هم إلا الفلسطينيون أصحاب الأرض التى استولى عليها بنو إسرائيل . . وكانت بينهم دماء وحروب وثارات ! !

---

(١١) سفر التكوين ٩ : ٢١ ـ ٢٦

ثانيهما - التشنيع على أول رسل الله نوح عليه السلام والتشغيب عليه ، تنفيذاً لخطتهم الخبيثة فى تشويه صورة كرام البشر عموماً ورسل الله خصوصاً ، على ما سيذكر إن شاء الله .

أما صورة نوح - عليه السلام - فى القرآن الكريم ، فهى - على عكس ما جاء فى التوراة - فهى صورة وضيئة مشرقة ، فهو- عليه السلام - أول رسل الله إلى الناس [١٢]، وهو من صفوة الصفوة ، وخلاصة الخلاصة ، فهو واحد من أولى العزم من الرسل الكرام :

« وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » [١٣]

يعلق العلامة الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله : إن الله قد أخذ عليهم العهد والميثاق فى إقامة دين الله وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر [١٤] . هذا وقد أرشد الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبر أولو العزم ومنهم نوح عليه السلام .

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » [١٥]

ويشهد الله عز وجل بأن نوحاً كان عبداً شكوراً :

« . . . ذُرِيَة مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إنّه كان عَبْداً شَكوراً » [١٦]

وإن الله عز اسمه قد اصطفى نوحاً وهداه إلى صراطه المستقيم :

---

(١٢) روى البخارى فى حديث الشفاعة « . . . يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك » انظره فى فتح البارى شرح صحيح البخارى حـ ٦ / صـ ٣٧١ .

(١٣) سورة الأحزاب / ٧

(١٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، حـ ٦ صـ ٣٨٣ طبعة دار الشعب بمصر

(١٥) سورة الأحقاف ٣٥

(١٦) الإسراء ٣

« إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيم وآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعَالَمين » (١٧)
« وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ » (١٨)

وقد اطلق اسمه على سورة من سور القرآن العظيم ؛ تنويها بشأنه ، وإعلاءً لذكره ، وثناءً عليه ، وتشريفا له فهو عليه السلام ، قد أنعم الله عليه ، وهداه ، واصطفاه ، واجتباه ، وواثقه على تبليغ رسالته إلى عباده (١٩) . . فكيف يذكر الله تعالى - فيما تفتريه التوراة على الله - أنه كان سكيراً عربيداً متهتكا متعرياً كاشفاً لعورته ؟ ! ، أوكيف يسوغ - في العقل - لغير متصون أن يلعن ابنه لأنه اطلع على عورته . . . وهل يعقل أن يكتب موسى عليه السلام هذا الكلام عن أخيه نوح عليه السلام . . وهل يرضى هذا لنفسه واحد من كرام الناس !! فضلاً عن صفوة الناس ؟ . . لكنه الحقد الفريسي الإسرائيلي على خيرة البشر وهداتهم !!

وهل أصبح أبناء حام عبيداً كما جاء في التوراة على لسان نوح ؟ يعلق ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ على ذلك بأسلوبه الساخر المعروف متهكماً بواضع التوارة ، فيقول :

« . . . ثم نسى المحرِّف ، وقال بعد ستة أسطر : (بنو حام هم : كوش ، ومصرايم ، وفوحا . . . الخ وكوش بن حام ولد له نمروذ الذى ابتدأ يكون جباراً فى الأرض . . . وكان أول مملكته بابل) فحصل من هذا الخبر

---

(١٧) آل عمران ٣٣
(١٨) الأنعام ٨٤
(١٩) وذكر نوح عليه السلام فى سورة النساء / ١٦٣ ، الأعراف / ٥٩ ، يونس / ٧١ ، هود ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، الأنبياء / ٧٦ ، مريم / ٥٨ ، المؤمنون / ٢٣ ، العنكبوت ١٤ ، الأحزاب ٢٧ ، الشورى ١٣ ، الحديد ٢٦ ، الصافات ٧٥ ، ٧٩ ، نوح ١ ، ١٢ ، ٢٦

تكذيب نوح عليه السلام ! ؛ لأن أبناء حام صاروا ملوكا على أبناء سام ، ولم يصبحوا عبيداً كما حكم نوح على أبناء حام بزعمهم [٢٠] !!

(٣) لوط ـ عليه السلام ـ فى التوراة والقرآن .

تذكر التوراة أن لوطاً ، عليه السلام ـ قد تلكأ فى الاستجابة لأمر الله له بالخروج من المدينة التى حل عليها عذاب الله ، وقد دفعه الملكان دفعاً للخروج ، وتزعم التوراة كذلك أن امرأته قد نجت معه :

« . . ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين : قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باثم المدينة ، ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه . . . وأخرجاه ، ووضعاه خارج المدينة . . » [٢١]

ليس هذا فحسب ، لكن التوراة الفريسية تأبى إلا أن تمرِّغ وجه لوط ـ حاشاه ـ فى الوحل ، فتنسب إليه ، عليه السلام ـ جريمة معاقرة الخمر ، والسكر ، والزني بابنتيه !! والإنجاب منهما سفاحاً !! وهذا مما يأباه لأنفسهم شرار الخلق وأراذلهم فما بالك بالرسل الأئمة الهداة ؟ !

« . . وصعد لوط من صوعر ، وسكن فى الجبل وابنتاه معه ؛ لأنه خاف أن يسكن فى صوعر ، فسكن فى المغارة هو وابنتاه ،

وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض !! ، هلم نسقي أبانا خمراً ، ونضطجع معه ؛ فنحيى من أبينا نسلاً !! ، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها !!!

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، تعالى نسقيه خمراً الليلة أيضا ، فادخلى عليه . . . اضطجعى معه ،

---

(٢٠) ابن حزم : الفصل ، حـ ١ صـ ٢١١ ـ ٢١٢ .
(٢١) سفر التكوين ١٩ : ١٥ ـ ١٧

فنحيى من أبينا نسلاً !! فسقتا اباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها !! ،

فحبلت أبنتا لوط من أبيهما !! ، فولدت البكر ابنا دعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ، والصغيرة ولدت أيضا ابنا دعت اسمه : بن عمى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم »[٢٢]

ولا ريب أن هذا تحريف إسرائيلي باعثه : وصم أعدائهم التقليديين : بني موآب وبنى عمون ، وأى جريمة أفحش أو أقذع من كونهم أبناء زني ، وأى زني !! وكذلك وصم لوط عليه السلام بكل هذه الخساسات والمناكر !! ، وأيضا الطعن فى شرف نبى الله داود عليه السلام ؛ لأن جدته لأمه كانت من بني موآب !!

ويعلق على ذلك حبر من كبار أحبار يهود بعد أن شرح الله صدره للإسلام فى نهاية القرن السادس الهجرى ، فيكشف غرضهم الخبيث من وراء دس هذه القصة الوقحة فى التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، فيقول :

« هذه الحكاية منسوبة إلى لوط النبي فى التوراة الموجودة بأيدى اليهود فلم يقدروا على جحدها ، فيلزمهم من ذلك أن الولدين (ممزريم) (يعني أولاد زني) إذ توليدهما على خلاف المشروع

وإذا كانت روث (راعوث) من ولد موآب ، وهى جدة داود عليه السلام ، وجدة مسيحهم المنتظر ، فقد جعلوها جميعاً من نسل الأصل الذى يطعنون فيه .

« وأيضاً ، فمن أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة وقد سقى خمراً حتى سكر سكراً حال بينه وبين معرفة ابنتيه ، فضاجعته احداها واستنزلت منيه وقامت عنه وهو لا يشعر كما نطق كتابهم ، وهذا حديث من

---

(٢٢) سفر التكوين ، ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨

لا يعـرف كيفية الحبل ؛ لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن في السن قد غاب حسه لفرط سكره ، ومما يؤكد استحالة ذلك أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به في الليلة الثانية ، فعلقت أيضا ، وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أن يعلق من أحدهم في ليلة ، ويعلق منه أيضا في الليلة الثانية .

« إلا أن العداوة التى ما زالت بين بنى عمون وموآب وبين بني إسرائيل بعثت واضـع هذا الفصـل على تلفيق هذا المحال ؛ ليكون أعظم الأخبار فحشاً في حق بنى عمون ومؤاب »

« وأيضـا فإن عنـدهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين ، فلما ولى طالوت ، وثقلت وطأته على الهارونيين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم انتقل الأمر إلى داود ، بقى في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذى زال عنهم ، وكـان هذا عزرا خادمـاً لملك الفرس ، حظياً لديه ، فتوصل إلى بناء بيت المقدس ، وعمل لهم هذه التوراة التى بأيديهم .

« فلما كان (عزرا) هارونياً ، كره أن يتـولى عليهم في الـدولـة الثـانية داودى ، فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود : أحدهما : قصة بنات لوط ، والآخر : قصة شامار . .

« ولقد بلغ ـ لعمرى ـ غرضه ؛ فإن الدولة الثانية التى كانت لهم في بيت المقـدس (بعـد عودتهم من الأسر البـابلي المعروف) لم يملك عليهم فيها داوديون ؛ بل كانت ملوكهم هارونيين » (٢٣)

وإن قالوا : لا ملامة على لوط في ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران ، وهو

---

(٢٣) انـظر للمهتـدى : السموأل بن يحيى المغربي ت ٥٧٠ هـ ، كتابه القيم : « إفحام اليهود » بتحقيقنا ، ونشر دار الهداية بالقاهرة ، ١٤٠٦ هـ

لا يعلم من هما ، قلنا : فكيف عمل إذ رآها حاملتين ؟ ! وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشده ؟ ! وإذ رآهما تربيان أولاد الزني ؟ !

هذه فضائح الأبد ، وتوليد الزنادقة المبالغين فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام (٢٤) .

أما لوط ، عليه السلام ، فى القرآن ، فقد فضَّله الله ـ مع إخوانه الرسل ـ على العالمين :

« وإسماعيل واليسع ويونُسَ ولُوطاً وكُلًّا فضَّلنا على العالمين » (٢٥)

وما يدعو للدهشة والغرابة أن دعوة لوط فى جوهرها دعوة للطهر والعفاف والسمو بقومه عن وهدة التمرغ فى الشذوذ الجنسى ، والارتكاس فى وحل الرذيلة والفجور الفاحش ؛ فوصمه بنو إسرائيل بما جاء ليطهر الناس منه ! !

« ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوةً من دون النسّاء ، بل أنتم قوم مُسرْفون ، وما كان جوابَ قومه إلّا أنْ قالوا أخْرجوهم مِنْ قريتكم إنهم أُناس يتطهرون ، فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ، وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطرُ المنذَرين ، فانْظر كيف كان عاقبة المجرمين » (٢٦)

هؤلاء المجرمون يشهدون أن لوطاً كان من المتطهرين ، وبنو إسرائيل يتهمونه بأبشع أنواع الفسوق والشذوذ ! !

ولقد كان لوط من الصالحين ، وآتاه الله حكماً وعلماً ، وأنجاه الله من القرية التي كانت تعمل الخبائث ، إنهم كانوا قوم سوءٍ فاسقين ،

« ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث ،

---

(٢٤) ابن حزم : الفصل ، حـ ١ صـ ٢٢٤ .

(٢٥) الأنعام / ٨٦

(٢٦) الأعراف ٨٠ ـ ٨٤

إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ، وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين » (٢٧)
ولقد كان لوط قالياً لفسوق قومه
« قال إني لعملكم من القالين » (٢٨)

ويؤكد القرآن الكريم رسالة لوط ، وأن الله قد شهد فى حقه أنه كان من المحسنين (٢٩) ، فكيف يسعى محرفو التوراة إلى وصمه عليه السلام بأبشع الرذائل !! إنهم زنادقة مبالغون فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام .

(٤) إسماعيل واسحاق عليهما السلام فى التوراة والقرآن .

من الذبيح ؟ إسحاق أو إسماعيل ؟

هذه مسألة ذكرت فى التوراة والقرآن الكريم . وقد نصَّت التوراة صراحة أن الذبيح هو إسحاق :

« . . وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم ، فقال له : ياإبراهيم ، قال : هاأنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق ، واذهب إلى أرض أمريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك ، فبكر إبراهيم صباحاً ، وشد على حماره ، وأخذ اثنين من غلمانه ومعه اسحاق ابنه . . فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحاق ابنه . . . وكلم اسحاق إبراهيم أباه ، وقال : يا أبي . فقال : ها أنذا ، فقال : هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف ؟ ! فلما أتيا الموضع ، ربط اسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب . . » (٣٠)

---

(٢٧) الأنبياء ٧٤ ـ ٧٥

(٢٨) سورة الشعراء / ١٦٨

(٢٩) هود ٧٧ ـ ٨١ ، النمل ٥٤ ـ ٥٦ ، العنكبوت ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، الصافات ١٣٣

(٣٠) سفر التكوين ، ٢٢ : ١ ـ ١٣

فقد ذكر اسم اسحاق أربع مرات فى هذه الفقرة ، أولها : « خذ ابنك وحيدك . . . إسحاق (*) »

فهل كان إسحاق وحيد أباه ؟

تنص التوراة على أن إسحاق كان وحيد أباه ! ! ، وتنص فى مواضع أخرى أن إسحاق لم يكن فى يوم من الأيام وحيداً لأبيه ؛ لأن الله قد رزق إبراهيم بإسماعيل قبل أن يرزقه بإسحاق بأربع عشرة سنة ، وكان عمره حين ولادة ابنه إسحاق (مائة سنة) ، جاء فى سفر التكوين :

« وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه » (٣١)

« وعندما بشره الملك بولد من سارة ، سقط على وجهه من الضحك ، وقال فى قلبه : هل يولد لابن مائة سنة ؟ ! وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة ؟ ! »

وعندما ولد إسماعيل كان عمر أبيه إبراهيم (ستاً وثمانين) سنة طبقاً لنص التوراة أيضا :

« . . وأما ساراى (سارة) إمرأة أبرام (إبراهيم) فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها : هاجر ، فقالت ساراى لأبرام : هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ، ادخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين ، فدخل على هاجر فحبلت . . . فأذلتها ساراى ، فهربت من وجهها . . . فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية ، فقال لها : ها أنت حبلى ، فتلدين ابناً وتدعين اسمه اسماعيل . . . وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام » (٣٣)

(★) فى الترجمات الحديثة للتوراة العبرانية : « خذ ابنك المفضل » The Favored son ، وبعض مفسرى اليهود يرون « أن إسماعيل ابن غير شرعى لإبراهيم لأنه ابن الجارية » ، وهذا تحريف يرده نص التوراة الحالى . انظر هامش ص ٣٨ ، ٣٩ من كتاب « محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن » لإبراهيم خليل أحمد طبعة خامسة

(٣١) سفر التكوين ٢١ : ٥

(٣٢) سفر التكوين ١٧/١٧

(٣٣) سفر التكوين ١٦/ ١ ـ ١٦

وفى التوراة ـ كذلك ـ أن إبراهيم قد دعا الله أن يبارك إسماعيل قبل أن يولد له إسحاق ؛ بل قبل أن يبشر به :

« وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابناً تدعو اسمه إسحاق ، وأقيم عهدى معه عهداً أبديا ومع نسله من بعده ، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنذا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً ، اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة ، ولكن عهدى أقيمه مع إسحاق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت ، فى السنة الآتية » (٣٤)

لا خلاف إذن على ما جاء فى التوراة من أن الذبيح هو وحيد إبراهيم « خذ ابنـك وحيدك الذى تحبه » ، لكن هذا الوحيد لم يكن اسحاق ؛ بل كان إسماعيل الذى ولد قبله بأربع عشرة سنة كما جاء فى التوراة ، ولا ريب أن إقحام اسم إسحاق فى هذا الموضع من التوراة تحريف قطعى أوقع نصوص.

---

(٣٤) سفر التكوين ١٧ ـ ١٨ ـ ٢١ أى أن التوراة تعطى حق البكورية لإسحاق وتحرم إسماعيل منه ، والبكورية واستحقاقها لها قانونها النصى فى التوراة ، جاء فى سفر التثنية : « إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين : المحبوبة والمكروهة . فإن كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ما كان له : لا يحل أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر ؛ بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه أول قدرته ؛ وله حق البكورية » التثنية ٢١ : ١٥ ـ ١٧

جاء هذا النص فى التوراة « الطبعة اليهودية » سنة ١٩٦٢ م ، وهذا النص التوراتى يكـذب. ويناقض نص سفر التكوين الـذى يمنح البكورية لإسحـاق عن غير استحقاق ؛ بل رغم أنف شريعة التوراة ذاتها فى البكورية .

ولقد دافع الكاتب اللاهوتى المعروف هيستنج صاحب « قاموس الكتاب المقدس » عن حق إسماعيل فى البكورية ، وقال : لقد جانب التوفيق كتاب سفر التكوين فى هذا الأمر .

James Hastings, Dictionary of the Bible, P 626, London, 1961

التـوراة فى التكـاذب والتناقض والاضطراب ، ونصوص الوحى لا تختلف ولا تتكاذب البتة ،

« قل : لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (٣٥)

ولا ريب أن اسم اسحاق ـ هناك مقحم ، منسوب إلى الله ، وليس من عند الله .

« وإنّ منهم لفريقاً يلْوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوهُ من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (٣٦)

« وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحِّرفونه من بعد ما عَقَلُوهَ وهُمْ يَعلَمون » (٣٧)

وقـد جاء ذكر الذبيح فى القرآن الكريم فى موضع واحد ، ولم يعين فيه القـرآن اسم الـذبيح صراحة ؛ وهذا جعل بعض العلماء والمفسرين يأخذ تصريح التوراة بأنه إسحاق مأخذ التسليم دون نظر أو تدبر فى الأمر ، ذلك أن نسق الآيات القـرآنية قاطع بأن الذبيح إسماعيل وليس بإسحاق . . ، فبعد أن ذكرت قصة الذبيح ثنى القرآن بذكر البشارة بإسحاق .

« ربّ هبْ لى مِنَ الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال : يا بنى إنى أرى فى المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن ياإبراهيم قد صدّقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم . . . (إلى قوله تعالى) وبشرناه بإسحاق من الصالحين » (٣٨)

---

(٣٥) سورة النساء ٨٢ .

(٣٦) سورة آل عمران ٧٨

(٣٧) سورة البقرة ٧٥

(٣٨) سورة الصافات ١٠٠ ـ ١١٣

هذا ، وقد بشر الله سارة بإسحاق ويابن لاسحاق هو يعقوب ، فكيف يعقل أن يؤمر بذبح إسحاق ولما تتحقق بعد البشارة بيعقوب ، أى إن كان الذبيح إسحاق فإن البشارة بيعقوب لا تتحقق . . وهذا خلف للوعد وإبطال للبشارة (٣٩)

« فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » (٤٠)

« وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » (٤١)

كما أن آيات القرآن تقدم إسماعيل على إسحاق ، وإذا ذكرا معاً فى آية واحدة بصورة مطردة (٤٢)

وجماع الأمر فى ذلك أن التوراة ترى أن إسماعيل ابن الجارية ، وابن الجارية لا عهد له ولا ميراث ، « ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح ، فقالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق » (٤٣)

« فقال الله لإبراهيم : فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل » (٤٤)

---

(٣٩) لقد عالج ابن تيمية هذه المسألة فى المجلد الرابع من فتاواه صـ ٣٣١ ـ ٣٣٦ ، كما عالجها ابن كثير والقرطبى والطبرى من قبل وكثير من العلماء والمفسرين ، انظر مثلا تفسير ابن كثير حـ ٧ صـ ٢٧ ـ ٣٠ ، و« قصص الأنبياء » له أيضا ، صـ ١٤١ بتحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، طبعةالقاهرة ، وانظر تفسير القرطبى حـ ١١ صـ ١١٤ .

(٤٠) هود / ٧١

(٤١)

(٤٢) انظر مثلا البقرة ١٣٣ ، ١٤٠

(٤٣) سفر التكوين ٢١ : ٩ ـ ١٠

(٤٤) التكوين ٢١ : ١٢

وإسماعيل ، عليه السلام ، فى القرآن الكريم نبي رسول صادق الوعد [٤٥] ، من الصالحين [٤٦] ، الصابرين [٤٧] ، الأخيار [٤٨] ، وأنه قد عهد الله إليه مع أبيه أن يرفعا قواعد بيته الحرام ، وأن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود [٤٩] ، وهذه من أرفع المهام وأكرمها دون ريب ، وأن إسماعيل قد قدم أروع مثل التضحية والفداء استجابة لأمر الله تعالى فى قصة الذبح المشار إليها ، والذى حرصت التوراة الحالية على أن تسلبه منه وتنسبه باطلاً إلى أخيه إسحاق ، عليهما السلام .

(٥) إسحاق ويعقوب ، عليهما السلام ، فى التوراة والقرآن .

قد يسبق إلى الخاطر أن محاولة كتبة التوراة تجريد إسماعيل من شرف التضحية والفداء ـ فى قصة الذبح ـ ومنحها إلى إسحاق ، أن إسحاق عليه السلام قد نجا من محاولة التشويه والتدنيس ، التى عقدوا العزم على رمى الأنبياء جميعاً بها !!!

وواقع الحال عكس ذلك قطعاً ، فإسحاق ـ فى التوراة ـ رجل خب تسهل خديعته والاحتيال عليه !! ، ولكن ممن يخدع ؟ من ابنه يعقوب . فينسبون إلى يعقوب أنه كذب على أبيه ، واحتال ، وتخابث ، وسرق أو استلب بركة أخيه البكر عيسو التى استحقها من أبيه لبكوريته طبقاً للقواعد التوراتية ؛ جاء فى سفر التكوين :

« . . . حدث لما شاخ إسحاق ، وكلت عيناه عن النظر ، أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يابنى إنى قد شخت ، ولست أعرف يوم وفاتى ، فلآن

---

(٤٥) هود ٥٤ ـ ٥٥

(٤٦) الأنبياء ٨٥ / ٨٦

(٤٧) الأنبياء ٨٦ .

(٤٨) صـ ٤٨

(٤٩) البقرة ١٣٣

خذ عدتك . . . اخرج إلى البرية ، وتصيد لى صيداً ، واصنع لى طعاماً كما أحب ، وأتنى به لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت

« وكانت رفقة (أم يعقوب وعيسو) سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه ، فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيداً ليأتى به ، وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة : إنى سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً : إيتنى بصيد وأطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى . . . فالآن يا بنى اسمع لقولى : اذهب إلى الغنم ، وخذ لى جديين جيدين من المعز ، فاصنعهما لأبيك كما يحب ، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته

« فقال يعقوب لرفقة أمه : هو ذا عيسو أخي رجل أشعر ، وأنا رجل أملس ، ربما يجسنى أبي فأكون فى عينيه كمتهاون ، وأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، . . . وأخذت رفقة بثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت ، وألبست يعقوب ابنها الأصغر ، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعز ، وأعطت الأطعمة التى صنعت فى يد يعقوب ابنها

« فدخل إلى أبيه وقال : يا أبي . فقال : من أنت يا ابنى ؟ فقال يعقوب لأبيه : أنا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتنى ، قم أجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك . . . فقال إسحاق ليعقوب : تقدم لأجسك يا بنى : أأنت هو ابنى عيسو أم لا ؟ ، فتقدم يعقوب إلى إسحاق ، فجسه ، وقال : الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو ، ولم يعرفه ، فباركه ، وقال : كن سيدا لإخوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين »(٥٠)

بعد أن يفرغ قارىء هذا الفصل من قراءته يخيل إليه قطعاً أنه أمام قصة بوليسية مما يؤلف عن الصعاليك والشطار والعيَّارين ، ولا ينقدح فى خاطره قطعاً أنه يقرأ وحياً إلهياً يتعلق بنبي ابن نبي ، كتبه نبي ، عن الله عز وجل !!

---

(٥٠) سفر التكوين ٢٧ : ١ ـ ٤٥

وقد علق العلامة ابن حزم على ذلك بقوله :

فى هذا الكلام فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات ، وأول ذلك : إطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه ، وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء ، فكيف من نبي مع أبيه النبي أيضاً ؟ !! . . هذه سوءات مضاعفات .

وثانية : هى إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث ، وحاش للأنبياء عليهم السلام من ذلك . ولعمرى إنها لطريقة اليهود ، فما تلقى منهم إلا الخبيث المخادع إلا الشاذ .

وثالثة : وهى إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة وحاش لله من هذا .

ورابعة : وهى التى لا يشك أحد فى أن إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب إذ خدعه - بزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس - إنما قصد بتلك البركة عيسو ، وله دعا ؛ لا ليعقوب ، فأى منفعة للخديعة هنا لو كان لهم عقل ؟ !

وأما وجوه الكذب فكثيرة جداً ؛ من ذلك :

نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام ، وهو نبى الله تعالى ورسوله فى أربعة مواضع : أولها : قوله لأبيه إسحاق « أنا عيسو إبنك بكرك » فهذه كذبتان فى نسق ؛ لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره .

وثانيه : قوله لأبيه :صنعت جميع ما قلت لى فأجلس وكل من صيدى ، فهذه كذبتان فى نسق ؛ لأنه لم يكن قال له شيئاً ، ولا أطعمه من صيده (٥١) .

وكذبه أخرى : وهى بطلان بركة إسحاق ، إذ قال له : تخدمك الأمم ، وتخضع لك الشعوب ، وتكون سيد اخوتك ، ويسجد لك بنو أمك .

---

(٥١) انظر : الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ صـ ٢٢٧ - ٢٢٩ (بتصرف يسير)

ومعلوم أن ذلـك لم يقـع والذى تحقق عكس ذلك تماماً ، فى أكثر أيام بني إسرائيل ، كما نص عليه فى كتبهم .

ولم يقف كتبة التوراة مع نبي الله يعقوب (إسرائيل) عليه السلام عند هذا الحد ؛ لكنهم ذكروا أنه احتال على أخيه عيسو ، وابتاع منه بكوريّه ، فجرده من البركة والبكورية معاً [٥٢] ، وقد صرخ عيسو متحسراً على ذلك ، فقال :

« . . . أخذ بكوريتى ، وهو ذا الآن قد أخذ بركتى !!! [٥٣] »

وجـاء فى سفـر أشعيا ، وفى سفر ميخا ـ من أسفار العهد القديم ـ أن يعقوب قد عصى الله ، وأثقل عليه بآثامه ، وأتعبه :

يزعمون أن الله قد قال ليعقوب : « أنت لم تدعنى يا يعقوب ، . . . ولم تحضر لى شاةً . . ، ولم استخـدمـك بتقدمة ، . . لكن استخدمتنى أنت بخطاياك ، وأتعبتنى آثامك » [٥٤]

ويظهر كتبة التوراة يعقوب فى صورة الرجل الخب الذى يخدع ويُخدع ، فقـد خدعـه (لابان) خاله وزوجه (ليئة) بدلاً من (راحيل) ، وأدخله عليها دون نكاح صحيح [٥٥]

وقد خدع يعقوب قلب لابان الآرامى ؛ إذ لم يخبره أنه هارب ، فهرب وكل من كان له [٥٦] »

وقد سرقت زوجته أصنام أبيها ، وكذبت عليه وعلى زوجها [٥٧] .

---

(٥٢) سفر التكوين ٢٥ : ٣١ ـ ٣٩

(٥٣) سفر التكوين ٣٧ : ٣٦

(٥٤) سفر أشعيا ٤٣ : ٢٢ ـ ٢٤ ، وسفر ميخا ١ : ٢ ـ ٨

(٥٥) سفر التكوين ٢٩ : ٢٥ ـ ٢٦

(٥٦) سفر التكوين : ٣١

(٥٧) التكوين ٣١ : ٣٤ / ٣٥

كما ينسب كُتاب التوراة حوادث زنى مكررة فى بيت يعقوب ، فقد زني شكيم بن حمور بابنة يعقوب « دينا » (٥٨) . واضطجع ابنه رأوبين سفاحاً مع سرية أبيه (٥٩) ، وكذلك يهوذا يزني بثامار (٦٠) ؛ مما يعكس صورة ملطخة بالرذيلة والفجور والدعارة لبيت يعقوب عليه السلام !!

والحق إن عجب قارىء التوراة - المنسوبة إلى موسى عليه السلام والتى يؤمن بها اليهود والنصارى جميعاً - لا ينفذ من الصورة الكالحة البشعة التى رسمها هؤلاء الأنذال ليعقوب عليه السلام ؛ إن يعقوب هو (إسرائيل (٦١)) الذى ينتسب إليه بنو إسرائيل ، ومنهم هؤلاء الزنادقة الكفرة الذين كتبوا لهم أسفارهم تلك .

وإذا كان أبـوهم - إسرائيل - كاذبـاً محتـالاً سارقـاً ، وإذا كانت بركتـه وبكـوريتـه قد استلبها من أخيه بالتخابث والخديعة فما يبقى له من فضل وفضيلة ؟ ! وماذا يبقى لبنيه من بعده ؟ !

أما إسحاق فى القرآن الكريم فإنه قد بشر الله به إبراهيم حين أراد أن يذبح أخاه إسماعيل ، وقد اصطفاه الله لرسالته ، وهداه واجتباه ، وهو « من المصطفين الأخيار (٦٢) » « أولى الأيد والأبصار (٦٣) » ، وهو « من الصالحين (٦٤) »

---

(٥٨) التكوين ٣/٣٤

(٥٩) التكوين ٢٢/٣٥

(٦٠) التكوين ٣٨ : ٦ - ١١ ، ٣٤ - ٣٥

(٦١) وسمى يعقوب إسرائيل لأنه تغلب على ملاك الرب ، و جاهد ملاك الرب وصمد أمامه أو جاهد الرب وصمد أمامه ، أو صرع ملاك الرب . . حسبما جاء فى كتبهم من تفسير لهذا ، انظر سفر التكوين

(٦٢) سورة صـ ٤٨

(٦٣) صـ ٤٥

(٦٤) سورة الصافات ١١٢ ، الأنبياء ٧٢

أما يعقوب (إسرائيل) فقد اثنى الله عليه وعلى أبيه فقال :

« ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين ، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين (٦٥) »

فهو من العابدين الصالحين ، وهو إمام يهدى بأمر الله ، وقد أوحى الله إليه فعل الخيرات . . . وكان من المهتدين (٦٦) . يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة

« فلما اعتـزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً (٦٧) »

فإسرائيل ـ فى القرآن ـ له لسان الصدق أمين على النُّبوة والوحى (٦٨) ، وله فى كتب بنيه لسان الكذب والاحتيال والخديعة !! ونعوذ بالله من الخذلان ، فقد حق فيهم قول الحق عز وجل :

« فَخَلَفَ مِنْ بَعْـدِهِمْ خَلْفٌ أَضَـاعُـوا الصَّلاة واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غياً » (٦٩)

وصدق الله ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا .

(٦) موسى وهارون ، عليهما السلام ، فى التوراة والقرآن الكريم .

تذكر التوراة أن موسى ، عليه السلام ، أبَّان الخروج من مصر قد أمر بني إسرائيل بنهب جيرانهم من المصريين وسلب أمتعتهم ، والتحايل على ذلك :

---

(٦٥) سورة الأنبياء ٧٢ ، ٧٣ ، وانظر الآية ١٦٣ من سورة النساء

(٦٦) الأنعام ٨٤

(٦٧) سورة مريم ٤٩ ـ ٥٠

(٦٨) سورة العنكبوت ٢٧

(٦٩) سورة مريم ٥١

« . . . فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ؛ بل تطلب كل امرأة من جارتها (المصرية) ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين [٧٠] »

وكرام الناس لا يأمرون أتباعهم بالنهب والسلب والاحتيال لذلك .

وليت التوراة انتهت عند هذا الحد !! لكنها وجهت إلى موسى ـ أعظم أنبياء بني إسرائيل قاطبة ـ وإلى أخيه وشريكه في الأمر هارون ، عليهما السلام ، جريمة خيانة الرب عز وجل !! وعدم تقديسه أو عدم الإيمان به إيماناً عميقاً !! ، وتذكر التوراة ـ الحالية ـ ذلك عن موسى صراحة دون مواربة ، وتؤكد ذلك بأن الله قد حكم على موسى وهارون بالحرمان من دخول الأرض المقدسة الموعودة عقاباً لهما على إثمهما وخيانتهما الرب وسط بني إسرائيل :

« فقال الرب لموسى وهارون :

من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدسانى أمام أعين بني إسرائيل لذلك لاتدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها » [٧١]

وجاء فى سفر التثنية :

« وكلم الله موسى . . . قائلاً : إصعد إلى جبل عفاريم فى أرض موآب الذى قبالة أريحا ، وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكا ، ومت فى الجبل الذى تصعد إليه ، وانضم إلى قومك ، كما مات هارون من قبل فى جبل هور ، وضم إلى قومه ؛ لأنكما ختنتماني فى وسط بنى إسرائيل عند مربية قادش فى برية صين ؛ إذ لم تقد سانى فى وسط بني إسرائيل ؛ فإنك تنظر الأرض من قبالتها ، ولكنك لا تدخل إلى هناك ، إلى الأرض التى أنا أعطيها لبني إسرائيل » [٧٢] .

---

(٧٠) سفر الخروج ٣ : ٢١ ـ ٢٢

(٧١) سفر العدد ٢٠ : ١٢ ـ ١٣

(٧٢) سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ ـ ٥٢

لم يكف كاتب التوراة ذلك ؛ بل نسب إلى موسى عليه السلام أنه هو الذى صنع لبني إسرائيل الحية النحاسية التى قدسها الإسرائيليون ونذروا لها وقدموا لها الذبائح ؛ حتى جاء حزقيا ابن آخاز ملك يهوذا فسحقها :

« وسحق (حزقيا) حية النحاس التى عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ، ودعوها نحشتان » (٧٣)

أما هارون شريك موسى عليهما السلام، فقد كال له واضع التوراة فأوفى المكيال إذ اتهمه بخيانة الرب ـ كما مر ـ وخيانة موسى أخيه ، فترك أخاه يذهب إلى الجبل ليتلقي الهداية من ربه ، فاستغل الفرصة وصنع لبني إسرائيل عجلاً ذهباً صنماً وأمرهم بعبادته ، وعبده معهم ، وبنى له مذبحاً ، وعيَّد له عيداً ، وذبح له ، جاء فى سفر الخروج :

« . . . ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم أصنع لنا آلهة نسير أمامنا ؛ لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه !! ، فقال لهم هارون : إنزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالإزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكاً ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ، ونادى هارون وقال : غداً عيد للرب (يعنى للعجل الصنم) فبكروا فى الغد ، وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة » (٧٤)

هارون عليه السلام ـ فى زعم المبطلين كتاب التوراة ـ يصنع عجلاً إلهًا

---

(٧٣) سفر الملوك الثاني ١٨ : ٤

(٧٤) سفر الخروج : الإصحاح الثاني والثلاثين كله

لبني إسرائيل ويصوره بالإزميل ، والله قد أمرهم فى الوصايا العشر قائلاً :
« لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة » (٧٥)

فلم يجد النذل واضع التوراة لموسى وهارون عليهما السلام جريمة مناسبة يفتريها عليهما ، فوصمهما بخيانة الرب والتقصير فى تقديسه أمام شعب إسرائيل ، وصنع العجل الصنم ، والحية النحاسية ليتعبدا بها بني إسرائيل !!

أما صورة موسى عليه السلام ، فى القرآن الكريم فأبرز قسماتها الجلال والبهاء والرسالة والنبوة والوحي وكلام الله عز وجل . وشتان شتان بين صورته فى التوراة التى تنسب ـ زوراً وبهتاناً ـ إليه ، وبين صورته فى القرآن الحكيم . فهو ـ فى القرآن ـ قد جمع الله له النبوة والرسالة ، وهو من أولى العزم من الرسل ، فهو من الخمسة الكبار فى جلدهم وصبرهم واحتمالهم وطاعتهم . . . صبر على فرعون المتأله الجبار ، وصبر على قومه ذوى اللجاج والعناد والفساد والإفساد ، ولقد أفاض القرآن فى سوق قصته العجيبة ووصف سجاياه الكريمة (٧٦) ما لم يفض به فى قصة رسول آخر .

---

(٧٥) سفر الخروج ٣٤ / ١٧

(٧٦) انظرها فى سورة البقرة ٥١ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، آل عمران ٨٤ ، النساء ١٥٣ ، ١٦٤ ، المائدة / ٢٠ ، ٢٦ ، الأنعام / ٨٤ ، ٩١ ، ١٥٤ الأعراف / ١٠٣ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، يونس / ٧٥ ، ٨٩ ، هود ١٧ ، ٩٦ ، ١١٠ ، إبراهيم / ٥ ، ٦ ، ٨ الإسراء ٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، الكهف ٦٠ ، ٦٦ ، مريم ٥١ ، طه ٩ ، ٩٨ ، الأنبياء ٤٨ ، الحج ٤٤ ، المؤمنون ٤٥ ، ٤٩ الفرقان ٣٥ ، الشعراء ١٠ ، ٦٦ ، النمل ٧ ، ٩ ، ١٠ ، القصص ٣ ، ٤٨ ، ٧٦ العنكبوت ٣٩ ، السجدة ٢٣ ، الأحزاب ٧ ، ٦٩ ، الصافات ١١٤ ، ١٢٠ غافر ٢٣ ، ٣٧ ، ٥٣ ، فصلت ٤٥ ، الشورى ١٣ ، الزخرف ٤٦ ، الأحقاف ١٢ ، ٣٠ الذاريات ٣٨ ، النجم ٣٦ ، الصف ٥ ، النازعات ١٥ ، الأعلى ١٩

وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل الذى أنزل الله عليه التوراة ، وآتاه الله الكتاب والفرقان والبينات ، وآتاه الله سلطاناً مبيناً ، وهو كليم الله كلمه سبحانه مباشرة تكريماً له وتشريفاً ، فهو كليم الله : « وكلم الله موسى تكليماً » ، وقد اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه وآياته وسلطان مبين .

« قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين »(٧٧)

هذه صورة موسى عليه السلام فى القرآن الكريم ؛ صورة الجلال والكمال والرفعة والطاعة لله والأمانة على كلامه ووحيه .

وليس بغريب على بني إسرائيل الذين وصموا أباهم بكل خسيسة أن يصموا أعظم رسلهم موسى عليه السلام الذى قادهم فى خروجهم من مصر ، وخلصهم من عبوديتهم لفرعون وعذابه المهين .

أما هارون فكان نبياً من أنبياء الله أوحى إليه مع أخيه :

« وأوحينا إلى موسى وأخيه » (٧٨)

بعثه الله إلى فرعون مع موسى : « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا (٧٩) »

وقد شد الله به أزر موسى أخيه وأشركه فى أمر رسالته :

« واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخي أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى » (٨٠)

وقد برأ القرآن الكريم ساحة هارون ، فذكر أن الذى صنع لهم العجل

---

(٧٧) سورة الأعراف ١٤٤

(٧٨) سورة يونس ٨٧

(٧٩) سورة يونس ٧٥

(٨٠) سورة طه

هو السامرى؛أما هارون النبي فقد نهاهم وحذرهم وبذل جهده فى منعهم حتى كادوا أن يفتكوا به ويقتلوه .

« قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى »

« فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ »

« وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يا قوم إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ وإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمنُ فَاتبعون وَأَطِيعُوا أَمْرِى . قَالُوا : لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْه عَاكِفِين حتى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ »

« قَالَ : فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ . قَالَ : بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَة مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَكذلِكَ سَوَّلَتْ لى نَفْسِى » (٨١)

وهارون فى القرآن الكريم من المؤمنين (٨٢) المحسنين (٨٣) ، وليس من الخائنين للرّب كما فى التوراة الحالية .المزّورة التى تذكر أيضا أن هارون ومريم أخته قد قاما معاندين لموسى من أجل امرأته الكوشية :

« وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها ؛ لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟ ! ألم يكلمنا نحن أيضا . . . ؟ ! إلخ (٨٤) »

(٨) داود عليه السلام فى التوراة والقرآن

لم يكن داود ـ عليه السلام ـ فى نظر كتاب أسفار العهد القديم ـ إسرائيلياً خالصاً ؛ فهو ينحدر ـ من جهة أمه من موآب ، ونقاء النسب من

---

(٨١) انظر القصة كاملة فى سورة طه،الآيات من ٨٤ ـ ٩٧

(٨٢) الصافات ١٢٢

(٨٣) الصافات ١٢١

(٨٤) سفر العدد ١٢ : ١ ، وسفر الخروج ٢ : ١٦ ـ ٢٢

جهة الأم خصوصاً قضية بالغة الأهمية فى التراث اليهودى ؛ فلا يعتبر يهودياً خالصاً ، أولا يعد يهودياً مطلقاً من كانت أمه غير يهودية ، وجدة داود عليه السلام (راعوث) موآبية كما ذكر من قبل .

ويظهر أن واضعي أسفار العهد القديم كانوا فى غاية الحرص على إثبات ذلك وتقريره ، وقد دفعهم حرصهم على كتابة سفر قائم برأسه ووقفه على بيان هذا النسب وتفصيله (٨٥) . وقد عرفنا من حديث التوراة عن لوط ـ فى سفر التكوين ـ أن موآب ـ أصل الموآبيين ـ فرخ زنى ، فهو قد نتج من مضاجعة بنت لوط البكر أباها لوطاً النبى ـ حاشاه ـ بعد أن سقته الخمر ، فأفقدته وعيه ، فواقعته !!

وخلاصة القول تنحصر فى أن نسب داود عليه السلام مطعون فى اسرائيليته ؛ بل مطعون فى شرفه وحصانته فى ذات الوقت !!

ويبدو جلياً أن النذل الموسخ واضع أسفار العهد القديم الحالية يلح إلحاحاً ، ويتهافت تهافتاً على تلطيخ شرف داود عليه السلام الذى جمع الله له النبوة والملك معاً ، فوصمه بأحط المناكر وأرذلها دركة ولم يكتف بما مر من اتهامه بأنه سليل زنى ، فحدث عن بيت داود ، وصوره على أنه زنى وفسوق ودعارة وفجور !!! ، لا على أنه بيت نبوة وحكم وملك . . . فهاهم أولاده يزنون بأخواتهم ، ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين جميع الشعب !! فأمنون ابنه يزني بأخته ثامار (٨٦) ، ويشالوم ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك ، فيدخل على نساء أبيه أمام جميع إسرائيل !! (٨٧)

---

(٨٥) هو سفر راعوث ، وعدد إصحاحاته (فصوله) أربعة ، ويشغل من ص ٤٢٠ ـ ٤٢٥ فى طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠ م .

(٨٦) سفر صموئيل الثاني ١٣ : ١ ـ ٢٢

(٨٧) سفر صموئيل الثاني ١٦ : ٢٠ ـ ٢٣

هذا عن بيت داود عليه السلام ، أما هو نفسه فإن مؤامرة العهد القديم عليه أدهـــى وأمـــر ، وأشـــنـــع وأفـــحش وأوضر ، فهـــو فى نظر بني إسرائيل . . . . . . ماذا أقول ؟ ! إن لساني لينعقد ، وإن قلمى ليكاد يقفز من يدى ، وأفضل من أن أقول شيئاً أن تقرأ هذا النص الذى أورده سفر صموئيل الثاني ، وقد نقلته لك كاملاً :

« . . . وأما داود فأقام فى أورشليم (وقد أرسل جيشه بقيادة موآب ومعه الشعب* الإسرائيلى للجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائهم بنى عمون) وكان فى المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً

فأرسل داود ، وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى ؟ . فأرسل داود رسلا ، وأخذها ، فدخلت إليه ، فاضطجع معها ، وهى مطهرة من طمثها !! ثم رجعت إلى بيتها .

وحبلت المرأة !! ، فأرسلت ، وأخبرت داود ، وقالت إنى حبلى .

فأرسل داود إلى يوآب يقول : أرسل إلى أوريا الحثى . فأرسل يوآب أوريا إلى داود . فأتى أوريا إليه ، فسأل داود عن سلامة يوآب ، وسلامة الشعب ونجاح الحرب !!!

وقال داود لأوريا : أنزل إلى بيتك واغسل رجليك .

فخرج أوريا من بيت الملك ، وخرجت وراءه حصة من عند الملك .

ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل إلى بيته !!

فأخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته . فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ؟ فلماذا لا تنزل إلى بيتك ؟

قال أوريا لداود : إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلـون على وجـه الصحراء ، وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى ، وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر !!

وفى الصبـاح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا ، وكتب فى المكتوب يقول :

أجعلوا أوريا فى وجـه الحـرب الشـديدة وارجعـوا من ورائـه فيضرب ويموت !! . . (ففعل يوآب) . . ، ومات أوريا الحثى !! . . .

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته ، (٨٨) . .

وعزى داود بتشبسع ، . . ودخل إليها ، واضطجع معها ، فولدت ابناً ، فدعا اسمه سليمان ، والرب أحبه (٨٩) . وأما الأمر الذى فعله داود فَقَبُحَ فى عيني الرَّب (٩٠) »

فالإغتصاب ، والزني ، والخيانة ، وفقدان المروءة ، والتحايل والتخابث والخداع لتغطية جريمة السفاح ، ثم قتل أوريا الحثيِ زوج المرأة ، كل ذلك مناكر خسيسة يترفع عنها آحاد الناس وعامتهم ، فضلاً عن كرامهم وخيارهم وصفوتهم . . فضلاً عن سادتهم وأنبيائهم ورسلهم !!

وان أوريا الحثى زوج بتشبسع فى رأى بني إسرائيل الذين وضعوا أسفار العهد القديم ، أشرف ، وأوفر نبلا ، وأكثر مروءة ، وأحسن وفاءً من داود ؛ إذ لم يسمح له خلقه وشهامته وإخلاصه أن يذهب إلى بيته ويستمتع بزوجته ، بينما جيش إسرائيل ـ ومعهم تابوت العهد ـ فى الخيام والخنادق يحاربون . أما داود ـ عندهم ـ فرجل غيرعابىءٍ بذلك ، غير مستشعر لأدنى مسئولية ، همه ملذاته ونزواته !!

---

(٨٨) سفر صموئيل الثاني ١١ : ١ ـ ٢٧

(٨٩) سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٢٤

(٩٠) سفر صموئيل الثاني ١١ : ٢٧

وأنتهى كاتب هذا السفر إلى غايته التى رمى إليها ، وهى أن الرب قد قبح فى عينيه جداً ما فعله داود !! ، ومن ثم فقد أرسل ناثان إليه ليوبخه ويقرّعه ويزجره زجراً شديداً ، ويضرب له مثل النعاج ، ويتوعده :

« فأرسل الرب ناثان إلى داود ، فجاء إليه ، وقال له :

كان رجلان فى مدينة واحدة ، واحد منهما غني ، والآخر فقير ، وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جداً ، وأما الفقير فلم يكن له شىء إلا نعجة واحدة صغيرة . . .

« فجاء ضيف إلى الرجل الغنى ، فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيىء للضيف الذى جاء اليه ، فأخذ نعجه الرجل الفقير ، وهيأ للرجل الذى جاء اليه .

« فحمى غضب داود وقال : حَيُّ وهو الرب ؛ إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ، ويرد النعجة أربعة أضعاف ؛ لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق .

« فقال ناثان لداود : أنت هو الرجل ، هكذا قال الرب إله إسرائيل : أنا مسحتك على إسرائيل ، وأنقذتك من يد شاول ، وأعطيتك بيت سيدك . ونساء سيدك فى حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا ، وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيدك . . . لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه ؟؟ !! ، قد قتلت أوريا الحثى بالسيف ، وأخذت امرأته لك امرأة .

« والآن . لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ؛ لأنك احتقرتنى . . . هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك . وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس !! » (٩١)

يرمى كاتب هذا السفر إلى تأريث عداوة إسرائيل لبيت داود ، وأن يجعل ذلك حكماً إلهياً ، وأن يهيج عليهم ، ويؤصل ذلك من الكتاب المقدس !!

أمـا داود ـ فى زعمه ـ فلم ينزجر من كلام الرب وتهديده ووعيده ، بل

---

(٩١) سفر صموئيل الثاني ١٢ : ١ ـ ١١

تمادى فى الغى ـ والعياذ بالله ـ وعزى بتشبع ، ودخل عليها ، واضطجع معها ، فولدت له ابنا ، فدعا اسمه سليمان ، والرب أحبه (٩٢)

فسليمان عليه السلام ـ فى هذا الكتاب الرقيع ـ ابن هذه المرأة !! التى قتل أبوه رجلها وزنى بها !!

هذا عن داود فى شبابه !! ، أما عندما « شاخ الملك داود ، وتقدم فى الأيام ، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ ، فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك عن فتاة عذراء ، فلتقف أمام الملك ، ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع فى حضنك ، فيدفأ مولانا الملك ، ففتشوا عن فتاة جميلة فى جميع تخوم إسرائيل ، فوجدوا ابيشج الشمونية ، فجاءوا بها إلى الملك ، فكانت حاضنة الملك !! » (٩٣)

هذا ، ولم يكن داود ـ فى العهد القديم ـ مشفقاً بالضعفاء والمعوقين ، بل كان مبغضاً لهم ؛ بل أقصاهم من مدينة أورشليم . (٩٤)

وتقابلك فى القرآن الكريم صورة لداود عليه السلام ـ مقابلة لهذه الصورة التوراتية الدنسة . فالصورة القرآنية لداود طاهرة القسمات ، وضيئة الملامح . . فهو النبى الأواب ذو الأيد ، « وَاذْكُرْ عَبدَنا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّاب » (٩٥)

قال قتادة : أعطى داود قوة فى العبادة ، وفقهاً فى الإسلام ، وقد ذكر أنه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر (٩٦) ، وانظر ما ورد فى البخارى عن عبادة داود وحب محمدٍ صلى الله عليه وسلم لها (٩٧)

---

(٩٢) سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٢٤

(٩٣) سفر الملوك الأول ١ : ١ ـ ٤

(٩٤) صموئيل الثاني ٥ : ٨

(٩٥) سورة ص ١٧

(٩٦) تفسير ابن كثير حـ ٧ صـ ٤٩ ، وانظر تفسير القرطبى صـ ١٥٨ حـ ١٥

(٩٧) فتح البارى حـ ٦ صـ ٤٥٥

ولقد كان داود بطلا مقداماً فقد قتل عدوّ الله الجبار جالوت ، وقد آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء :

« وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » (٩٨)

وقد أنزل الله عليه زبوراً « وآتينا داودزبوراً » (٩٩)

وقد آتى الله نبيه داود حكماً وعلماً ، وسخر الجبال يسبحن معه والطير مسخر له (١٠٠) ، وقد فضله الله على كثير من عبادة المؤمنين (١٠١) :

« ولقد آتينا داود منا فضلاً ، يا جبال أوبى معه والطير ، وألناله الحديد أن اعمل سابغات ، وقدر فى السرد ، واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير » (١٠٢)

« اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ، إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة كل له أواب ، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (١٠٣)

أما مثل النعاج الذى ضرب لداود فى القرآن الكريم فى سورة (ص) (١٠٤) وقصة تسور المحراب ، فلا يسوغ فى العقول الصريحةوالفطن المستقيمة أن تفسر هذه الآيات بما جاء فى العهد القديم مما سقناه سابقا من أن داود قد اعتدى على زوجة جنديه أوريا الحثى ثم قتله وضمها إلى نسائه ، ثم انجب منها سليمان عليه السلام .

---

(٩٨) سورة البقرة ٢٥١

(٩٩) سورة النساء ١٦٣

(١٠٠) الأنبياء ٧٨ / ٨٠

(١٠١) النمل ١٥ ـ ١٦

(١٠٢) سورة سبأ ١٠ ـ ١١

(١٠٣) ص ١٧ ـ ٢٠

(١٠٤) سور ص ٢١ ـ ٢٦

كيف يسوغ هذا من داود وهو الأواب ، ذو الأيد ، الذى أعطاه الله فضلا وزبوراً وحكمة وعلماً وفصل خطاب ؟ !

كيف يسوغ هذا منه وهو الذى له عند الله زلفى وحسن مئاب ؟ ! وهو الذى سخر الله معه الكون يسبح بتسبيحه ؟ ! هذا لا يجوز إلا فى عقل واضع الكتاب المذكور ؛ لنذالته ورقاعته ، وسوء طويته ، وفساد فطرته ، وخبث غرضه.

ولقد دست هذه القصة الإسرائيلية فى بعض كتب التفسير ، وينبغى أن نذكر هنا ما كتبه العلامة الحافظ ابن كثير :

« وذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ، ويزيد وإن كان من الصالحين إلا أنه ضعيف عند الأئمة

الأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق ، وما تضمنه فهو حق أيضا »(١٠٥)

هذا ، وقد جاء ذكر داود عليه السلام فى عدة مواضع من القرآن الكريم (١٠٦) ، كلها مقرونة بالثناء والتبجيل والإكرام له من ربه عز وجل .

---

(١٠٥) تفسير القرآن العظيم ، حـ ٧ صـ ٧١ .

(١٠٦) انظر : سورة البقرة ٢٥١ ، النساء ١٦٣ ، المائدة ٧٨ ، الأنعام ٨٤ الإسراء ٥٥ ، الأنبياء ٧٨ ـ ٨٠ ، النمل ١٥ ـ ١٦ ، سبأ ١٠ ـ ١١ ص ١٧ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ .

(٩) سليمان عليه السلام ، فى التوراة والقرآن .

أم سليمان عليه السلام فى رأى واضع العهد القديم هى بتشبع المرأة التى زنى بها داود عليه السلام !!

وقد عاش سليمان ـ حسب افتراء كتاب العهد القديم ـ مسرفاً مرتاباً إلى حد السفه الذى لا يعقل ولا يصدق ، ومن عجب أن كتاب العهد قد ألحوا فى ذكر هذه المسألة :

« كان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرسميذ ، وستين كر دقيق ، وعشرة ثيران مسمنة ، وعشرين ثوراً من المراعى ، ومائة خروف ما عدا الأيائل والظباء واليحامير ولأوز المسمن » (١٠٧)

ليس هذا كل ما انقدحت به فطنة واضع سفر الملوك ، لكنه سار فى شوط محاولة تلطيخ شرف الرسل الكرام إلى غاية مداه ، فوصم سليمان عليه السلام ، بالارتياب والشرك وعبادة الأوثان والإعراض عن دين آبائه الأئمة الهداة ؛ نزولاً على رغبات زوجاته الوثنيات المشركات :

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : مؤابيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم ؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهكم .

« فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه .

« فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين ، وملوك رجس

---

(١٠٧) سفر الملوك الأول ٤ : ٢٢ ـ ٢٣

العمونيين ، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه .

« حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ،

« فغضب الرب على سليمان ؛ لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين ، وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهةً أخرى ، فلم يحفظ ما أوصى به الرب .

« فقال الرب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك ، ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أفرق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك ؛ إلا أنى لاأفعل ذلك فى أيامك من أجل داود ابيك ؛ بل من يد ابنك أمزقها ، على أني لا أفرق منك المملكة كلها ؛ بل أعطى سبطاً واحداً لابنك ؛ لأجل داود عبدى ، ولأجل أورشليم التى اخترتها » (١٠٨)

يضع كاتب هذا السفر مقدمات تؤدى إلى النتائج التى قصد إليها ، فسليمان عليه السلام ـ حسب افتراءاته ـ قد استهان بالرب وتعاليمه الصريحة القاضية بعدم التزوج من هذه القبائل حتى لا تميل قلوب شعب إسرائيل إلى أوثانها وأرجاسها . . فتحدى سليمان هذه النواهى وتعدى حدود الله وتزوج منها ليس بزوجة أو أثنتين لكن سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية !!

وقد أحبهن حباً طار له عقله وصوابه ، خصوصاً فى حال شيخوخته . ونسى النذل الرقيع كاتب السفر ـ أن هذه فترة النضج والاستقرار العاطفى والنفسى ، فلم يكن قلب سليمان خالصاً مع الرب . . . فهو لم يحفظ عهده وفرائضه ووصاياه ، وأشرك به أوثان القبائل الأخرى وأرجاسها !!

---

(١٠٨) سفر الملوك الأول ١١ : ١ ـ ١٣

فينزل سليمان عند رغائب زوجاته الوثنيات ونزواتهن ، فيبنى لآلهتهن بيوتاً وهياكل مقابل هيكل الرب فى أورشليم (مع ملاحظة أن الذى بنى هيكل الرب فى أورشليم هو سليمان نفسه عليه السلام حسبما جاء فى كتبهم) ، ويذبح لها ويوقد ويتقرب !! إلى أن غضب الرب عليه فذكره وأوصاه وحذره مرتين من مغبة هذا التصرف الشائن !! ، بيد أن سليمان عليه السلام ـ عند واضع العهد القديم ـ يتمادى فى فعل الشر فى عينى الرب ولا يبالى بغضب الرب أو رضاه !!

وهنا يكشف واضع هذه الكتب الفريسى الكاذب غرضه من تلطيخ بيت داود وسليمان وهو انتزاع كرسى المملكة منهم !! ثم توسد سدتها مكانهم !! ، إذ عاقبة أجتراح السيئات وتضييع عهد الرب هى تمزيق المملكة من أيديهم وانتزاعها منهم . . وهنا يحقق الفريسى الخبيث واضع العهد القديم غرضه الرقيع من مؤامرته على بيت داود عليه السلام .

وقد حلل لنا هذه المؤامرة خبير بخصائص النفس الإسرائيلية وأحد كبار أحبارهم ـ بعد إسلامه ـ فى كتابه الرائع « إفحام اليهود » (١٠٩) .

والأمر إذا بينٌ جليٌّ :

« قال الرب لسليمان : من أجل ان ذلك عندك وأنك لم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً » ، وقد تكررت هذه الفقرة فى أسفار العهد القديم مرات ؛ حتى يظهر لشعب إسرائيل أن سلب الملك من بيت داود هو حكم الله تعالى !! وليس مؤامرة الفريسيين

---

(١٠٩) وقد أغاظ هذا الكتاب الوثيقة اليهود ، وأقامهم ولم يقعدهم ؛ حتى ألف فيلسوفهم المعروف بسعد بن منصور بن كمونة فى القرن السابع الهجرى كتاباً فى الرد على (إفحام اليهود) أسماه : « تنقيح الأبحاث للملل الثلاث » وقد نشره المستشرق اليهودى الأمريكى Moshe Parlmann فى لوس أنجيلوس سنة ١٩٦٧ م ، ثم أعادت دار الأنصار تصويره ونشره بالقاهرة .

مزوّرى التوراة وخصوم الأنبياء أجمعين ومفسدى ديانة عيسى بواسطة بولس السلّيح ، فليس بغريب عليهم ولا عجيب منهم أن يتآمروا على بيت داود لسلب الملك منهم .

والحق إن واضعى هذا الكتاب لم تقتصر مؤامرتهم على داود وبيته وآله فحسب ، لكنها امتدت فشملت الأنبياء جميعاً ، وماذلك إلا لزندقتهم وإلحادهم وكراهتهم للأديان ، وليس هنالك طريق أنجح فى الطعن على الأديان من الطعن فى الأنبياء الذين بلّغوها للناس ، فهذا مقصدهم قاتلهم الله . وقد شهد بذلك عيسى عليه السلام - فيما نسب متى إليه فى الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيله .

وقد نسب العهد القديم إلى سليمان عليه السلام سفراً داعراً ماجناً يترفع أراذل الشعراء عن التدني إلى رقاعته ، وسأقدم نموذجاً واحداً منه يقفك أيها القارىء الكريم على زندقة واضعى هذه الكتب وخذلانهم ، ينسبون إلى سليمان الغزل التالى فى حبيبته :

« ما أجملَ - رجليك بالنعلين ! . .
« دوائر فخذيك مثل الحلى صنعةَ يدى صناع !
« سرتُك كأسٌ مدورة لا يعوزها شراب ممزوج !
« بطنك سبرة حنطة مسيجة بالسوسن !
« ثدياك كخشفتين توأمى ظبية !
« عنقك كبرج من عاج !!
« عيناك كالبرك فى حبشون عند باب بثّ ربِّيم !!
« أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق !
« رأسك عليك مثل الكرمل !
« وشعر رأسك كأرجوان !
« ملكٌ قد أسر بالخصل !

« ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات !!
« قامتك شبيهة بالنخلة ، وثديك بالعناقيد !!
« قلت ؛ إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها !!
« وتكـون ثدياك كعناقيد الكرم . . ورائحة أنفك كالتفاح . . وحنكك كأجود الخمر !!
« حبيبتى السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين » (١١٠)

هذا أمر طبيعى عند الفريسى كاتب هذا الكتاب ؛ لأنه قال إن لسليمان ألف إمرأة . . كلهن قد أملن قلبه اليهن وإلى أوثانهن فأشرك بالله - حاشاه - وفات هذا الكاتب الرقيع أن يذكر لنا فى أى واحدة منهن نظم سليمان ، عليه السلام ، هذا الغزل المكشوف ؟ !

هذه صورة سليمان عليه السلام فى العهد القديم ، أما فى القرآن الكريم فقد ورد ذكر سليمان عليه السلام فى أكثر من سورة (١١١) ، وهو فى القرآن الكريم عبد أواب :
« وَوَهَبْنَا لِدَاودَ سُلَيْمان نِعْمَ العَبْد إنه أواب » (١١٢) ، وله عند الله زلفى وحسن مئاب :
« وَإنَّ لَهُ عِنْـدَنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَئَاب » (١١٣) . وقد سخر الله له الريح والجن وعلمه منطق الطير ، وأثنى عليه وعلى والده ، وآتاهما علما وحكمة وآتاه فهما من لدنه :

---

(١١٠) سفـر نشيد الإنشـاد ، الإصحاح السابع ١ ٩ صـ ٩٩٠ من طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠ م
(١١١) البقرة ١٠٢ . النساء ١٦٣ ، الأنعام ٨٤ ، الأنبياء ٧٨ - ٨٢ ، النمل ١٥ - ٤٤ سبأ ١٢ - ١٤ ، صـ ٣٠ - ٤٠
(١١٢) ص ٣٠
(١١٣) ص ٤٠

« ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً» (١١٤) « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين ، ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين » (١١٥)

وسليمان كان رسولاً فكيف يتهم بالشرك أو الكفر : « وما كفر سليمان » (١١٦)

« ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ان هذا لهو الفضل المبين » (١١٧)

« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه » (١١٨)

هذه صورة سليمان (١١٩) فى القرآن الكريم ، كل آية تضفى قسمة من قسمات الجلال والوقار والإيمان ، والأوابية لله عز وجل ، وتظهر اصطفاء الله له ، وإنعامه عليه ، وتبشره بما أنعم الله عليه من الزلفى والمثاب الحسن .

وهكذا فإن صورة رسل الله عليهم السلام ، فى القرآن الكريم وحى الله المحفوظ بحفظه تعالى ، وفى العهد القديم الذى افتراه الكتبة الفريسيون ونسبوه إلى الله ـ وما هو من عند الله ـ صورتان متقابلتان متناقضتان

---

(١١٤) الأنبياء ٧٩

(١١٥) سورة الأنبياء ٨١ ـ ٨٢

(١١٦) سورة البقرة ١٠٢

(١١٧) النمل ١٥ ـ ١٦

(١١٨) سبأ ١٢ وأنظر الآيات إلى ٤٤

(١١٩) يزعم فيلسوف اليهود ابن كمونة فى « تنقيح الأبحاث » : أن داود وسليمان لم يكونا رسولين بل كانا ملكين فحسب ، ونقول : نصوص العهد القديم ذاتها لا تؤيد ابن كمونة فى دعواه ؛ لأنه أراد أن يبرر اتهام التوراة لهما بالزنى والفواحش فنفى النبوة عنهما ؛ لأنه أيسر عنده من الإعتراف بتحريف التوراة !!

متضادتان ، لا تلتقيان ولا تتقاربان . . كما لا يلتقى الإيمان والعز والطاعة والإمامة والطهر ، مع الشرك والصغار والتسفل المجون !! ، وكما لا يلتقى الوحى المعصوم مع الكذب والافتراء !!

إصغ مرة أخرى إلى القرآن وهو يتحدث عن رسل الله بالتجيل والإكبار :

« تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ،واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ، أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً آخرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتداه » (١٢٠)

وتبقى نقطة أخيرة مهمة ، هى كيفية التعرف على الأنبياء فى العهد القديم ، خصوصاً أن هذا الكتاب لا يعينٍ الأنبياء تعينياً واضحاً ؛ كما أنه يحدثنا عن ظهور أنبياء كذبة كثيرين (١٢١) يجعل تمييز النبى الصادق من الدعى أمراً يحتاج إلى نظر وتدبر ، وعلى كل حال فقد وردت عبارات تصف بعضهم بالنبوة صراحة ، مثل (أخيا) (١٢٢) و (حننيا) (١٢٣) ، وعبارات يفهم منها ذلك مثل عبارة :

---

(١٢٠) سورة الأنعام ٨٣ ـ ٩٠

(١٢١) سفر الملوك الأول ١٨ : ١٩ ، سفر أرميا ٢٣ : ١٣ ـ ١٦ ، ٢٣ : ٢٥ ـ ٣٢ ، ٢٧ : ١٤ ـ ١٥ ، سفر حزقيال ١٣ : ٣ ـ ٤ ، ١٣ : ١٧ ـ ١٩

(١٢٢) سفر الملوك الأول ١٤ ـ ٢

(١٢٣) أرميا ٢٨ : ١ ، ٢٨ : ١٥

« روح الله حلت عليه » [١٢٤] و « كلام الله فى فمه » [١٢٥] و « قول الرب صار إليه » [١٢٦] و «وكلّمه الله » [١٢٧] . وهنالك نفر قد نسب إلى كل منهم سفر باسمه وأطلق على جملة هذه الأسفار :

« أسفار الأنبياء » إشارة إلى أنهم كانوا أنبياء .

والحق أن ما جاء فى هذه الكتب عن رسل الله الكرام لهو خير دليل وثائقى على تحريف هذه الكتب وتزويرها ؛ لأنه قد ثبت أن هؤلاء أنبياء ، والأنبياء لا تكون أخلاقهم كما جاء فى هذه الكتب قطعاً ؛ فما جاء فى هذه الكتب بشأن الأنبياء - موضوع محرّف بالضرورة الملزمة : والله المستعان .

---

(١٢٤) صموئيل الأول ١٠ / ١٠

(١٢٥) أرميا ١ : ٩ .

(١٢٦) هوشع ١ : ١

(١٢٧) حزقيال ٧ : ١ ، ١٢ : ١ ، ١٣ : ١ - ٢

المبحث السادس

مُقَوِّمَاتُ الشَّخْصِيَّةِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ
فِي
التَّوْرَاةِ ، وَالإِنْجِيلِ ، وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

(١) اختيار اسرائيل وتفضيلهم على العالمين : متى ؟ ولماذا ؟

هذه المسألة ، مسألة اصطفاء بنى إسرائيل ، واختيارهم الالهى ، وتفضيلهم على العالمين ، مسألة دقيقة تترتب عليها آثار وأحكام ، ومن ثم فهى تحتاج إلى تجلية وبيان ، ذلك أن القرآن الكريم ، والتوراة الحالية قد نطقا بهذا التفضيل الالهى لبنى إسرائيل وحكما به صراحة . . جاء فى القرآن الكريم قوله عز من قائل :

(يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين [١])

(ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العاملين [٢])

(ولقد أخترناهم على علم على العالمين [٣])

(قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين [٤])

تقطع هذه الآيات الكريمة بأن الله تعالى قد أنعم على بنى إسرائيل ، وفضلهم واختارهم على ـ علم منه سبحانه ـ على العالمين . . فهم مختارون مفضلون من الله على العالمين.

أما التوراة الحالية وبقية أسفار العهد القديم فقد أوردت نصوصا تفيد أن بنى إسرائيل شعب مختار مفضل ، جاء فى سفر التكوين :

---

(١) سورة البقرة / ٤٧ ، ١٢٢

(٢) سورة الجاثية / ١٦

(٣) سورة الدخان / ٣٢ .

(٤) سورة الاعـراف / ١٤٠ ، وانـظر سورة غافر آية / ١ ، فقد أورث الله بنى إسرائيل الكتاب .

« أما موسى فصعد إلى الله ، فناداه الرب من الجبل قائلا : هكذا تقول لبيت يعقـوب وتخبر بنى إسرائيل : الآن . إن سمعتم لصوتي ، وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب ، فإن لى كل الأرض . . . وأنتم تكونون لى مملكة مقدسة [٥] » .

وجاء فى سفر تثنية الاشتراع : « لأنك شعب مقدس للرب الهك ، وإياك اصطفى الرب الهك أن تكون له أمة خاصة من بين جميع الأمم التى على الأرض [٦] .

وجاء فى سفر الأحبار :

« أنا الرب إلهكم الذى فرزكم من بين الأمم [٧] .

واضح من نصوص التوراة أن الله قد اصطفى بنى إسرائيل ، واختارهم وفرزهم شعبا خاصا مقدسا له من بين جميع الأمم !

لكن ما نوع هذا التفضيل والاصطفاء والاختيار على العالمين ؟

أهو مطلق أم مشروط مقيد ؟

من تأمل الآيات القرآنية الكريمة ، وتأمل النصوص التوراتية نقف على حقيقـة مهمة . . هى أن هذا الاختيار أو الاصطفاء والتفضيل كان مقيدا مشروطا . . فهو لا يتحقق الا بتحقق شرطه ، وهو الايمان بالله وطاعته ، والـوقوف عند أمره ونهيه ، أى حفظ عهد الله الذى عاهدهم به ، ورعاية ميثاقه الذى واثقهم به ، فإن فعلوا ذلك كانوا شعبا مختارا مفضلا وإن لم يفعلوا فليس ثمة اصطفاء لهم أو تفضيل .

جاء فى سفر الخروج فى كلام موجه من الرب الى موسى : « هكذا تقول

---

(٥) سفر التكوين ١٩ : ٣ - ٦ .

(٦) سفر التثنية ٧ : ٦

(٧) سفر اللاويين ٢٠ / ٢٤ .

لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل : إنْ سمعتم لصوتى ، وحفظتم عهدى ، تكونو لى خاصة من بين جميع الشعوب [٨]

وورد فى سفر التثنية :

« . . ويجعلك الرب رأساً لا ذنباً ، وتكون فى الارتفاع فقط ، ولا تكون فى الانحطاط ، إذا سمعت لوصايا الرب إلهك التى أوصيك بها اليوم لتحفظ وتعمل ، ولا تزيغ عن جميع الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم يميناً أو شمالا ؛ لكى تذهب وراء آلهة أخرى لتعبدها [٩] »

(ولكن آن لم تسمع لصوت الرب الهك تأتي عليك جميع هذه اللعنات ، وتدركك : ملعونا ، تكون في المدينة : وملعونا تكون في الحقل ، ملعونة تكون سلتك ومعجنك ، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، ملعوناً تكون في دخولك : وملعونا تكون في خروجك ، يرسل الرب عليك اللعنة : يلصق بك الوباء حتى يبيدك عن الأرض . . يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك في طريق واحدة تخرج عليهم ، وفي سبع طرق تهرب أمامهم ، وتكونَ قلقا فى جميع ممالك الأرض : وتكون جثتك طعاما لجميع طيور السماء ووحوش الأرض ، وليس من يزعجها) [١٠] .

وقد أكد سفر الملوك الأول ذلك المعنى ، إذ جاء فيه : (ان انقلبتم وأبناؤكم من ورائي ، ولا تحفظون وصاياى وفرائضي التي جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى ، وتسجدون لها ، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض : والبيت الذى قدسه لاسمي أنفيه من أمامي ـ أو يكون إسرائيل مثلا وهزأة في جميع الشعوب ، وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب : ويقول : لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت ؟

---

(٨) الخروج ١٩ : ٣ ـ ٥

(٩) التثنية ٢٨ / ١٢ : ١٤ .

(١٠) سفر التثنية ٢٨ : ١٥ ـ ٢٦ .

فيقولون : من أجل أنهم تركوا الرب الههم الذى أخرج آباءهم من مصر ، وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها !! وعبدوها ـ لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر) [١١] .

أما القرآن فقد أكد فى آيات كثيرة أن الله ـ تعالى ـ قد عاهد بني إسرائيل وواثقهم . قال تعالى : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوفي بعهدكم واياى ترهبون) [١٢] .

وقال تعالى : (واذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون الا الله . . الى قوله تعالى : ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون) [١٣] .

فالأمر إذا ـ أمر اختيارهم واصطفائهم ـ رهن بحفظ عهد الله ـ والوفاء بميثاقه ـ فهل حفظ بنو إسرائيل العهد والتزموا بالميثاق ؟

الواقع أنهم ـ حسب ما جاء في أسفار العهد القديم ، والقرآن الكريم ـ لم يحفظوا عهد ربهم بل ضيعوا وتنكبوا صراطه ـ وأشركوا به ـ وعبدوا الأصنام ، وتركوا أوامره ، وتعدوا حدوده ـ وقد أفاضت كتبهم في تسجيل هذه الوقائع ورصدها وكشفها على ما سنذكره منها ـ ان شاء الله ـ ، ومن ثم قد فقدوا استحقاقهم الاصطفاء والاختيار على العالمين . فإنه كان ابتلاء واختبارا لهم [١٤] . ولم ينجحوا في هذا الاختبار ، وسقطوا سقوطاً ذريعاً مريعا . ومن مقتضيات اقامة التوراة الايمان بالرسول الذى بشرت به وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهل فعلوا ؟ !

---

(١١) سفر الملوك الأول ٩ : ٦ ـ ٩ .

(١٢) سورة البقرة : آية ٤٠ .

(١٣) سورة البقرة : آية ٨٣ . وانظر : البقرة ٨٥ ـ ٨٦ .

(١٤) اقرأ الآيتين ٣٢ ، ٣٣ من سورة الدخان .

٢ ـ مغزى التوافق بين النصوص القرآنية والتوراتية في هذه المسألة :

الحق أن آيات القرآن الكريم لتتفق في هذه النقطة مع نصوص التوراة الحالية اتفاقا واضحا ، مما يؤكد أن ما ورد فى أسفار التوراة الحالية حول هذه المسألة ، مسألة تعليق اصطفاء الله لبني إسرائيل وتفضيلهم على العالمين ، واختيارهم على العالمين ، على حفظ عهد الرب ، والوفاء بميثاقه ، وأنهم لم يحفظوا ، بل فرطوا وضيعوا فخسروا بذلك حقهم في الاصطفاء والاختيار على العالمين ، مما يؤكد أن مضمون ما جاء في أسفار التوراة الحالية ـ في هذه المسألة بالذات ـ فيه بقية باقية من وحي الله تعالى ، وأثارة من النبوة ولا ريب .

واذا كانت القاعدة أن ما صدقه القرآن ـ مما جاء في كتبهم ـ صدقناه وما كذبه كذبناه ، وما سكت عنه سكتنا عنه : فلا نصدق به أو نكذب [١٥] . فلا ضير علينا ان قلنا ان كلام التوراة هنا فيه بقية من وحي ،

---

(١٥) قال العلامة ابن حزم ـ رحمه الله ـ في كتابه « الفصل » حـ ١ ص ٣١٩ ط : الرياض (ما نزل القرآن والسنة بتصديقه صدقنا به ـ وما نزل النص بتكذيبه ـ أو ظهر كذبه كذبنا به ، وما لم ينزل نص تصديقه أو تكذيبه ، وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً لم نصدقهم ولم نكذبهم وقلنا ما أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نقوله . وجاء في فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني حـ ٨ ص ١٧٠ في شرح قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » . أى : إذا كان مايخبرونكم به محتملا لئلا يكون في ـ نفس الأمر ـ صدقا فتكذبوه ، أو كذبا فتصدقوه ، فتقعوا فى الحرج : ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه . ويقول الامام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية حـ ١ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ من « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » : « ان المسلمين لا يدَّعون أن كل نسخة في العالم من زمن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكل لسان من التوراة والإنجيل والزبور بدلت ألفاظها ، فإن هذا لا أعرف أحدا من السلف قاله ، وإن كان من المتأخرين من قد يقول ذلك ، كما في المتأخرين من يجوز الاستنجاء بكل ما في العالم من نسخ التوراة والإنجيل ، فليست هذه الأقوال ونحوها من أقوال سلف الأمة وأئمتها . . ثم يسوق =

وأثارة من نُبّوة ، وسيأخذك العجب من هذا الوفاق بين نصوص قرآنية وتوراتية كثيرة حول هذا الموضوع ـ سنوردها في مكانها ـ ان شاء الله ـ من هذا البحث .

أما هذا الوفاق فإنه غير قادح ـ البتة ـ في الحكم بتحريف التوراة وتغييرها وتزييفها ـ ذلك أننا لم نقل إن جميع هذا الكتاب المسمى التوراة : بجميع أسفـاره وفقراته وكلماته وحروفه والفاظه قد بدّله أحبار بني اسرائيل وغيروه وزيّفوه لكننا نقول : إنّ أحبارهم قد حرّفوا هذه التوراة تحريفاً لفظيا وذلك بالزيادة فى مواضع ، والحذف والنقص من مواضع والتبديل في مواضع ، كما حرفـوه تحريفا معنوياً ، وهذا يكفى في اسقاط حجيته تماماً واثبات بشريته ووضعـه . وعـلى ذلـك فلا مانـع من أن تبقى آثـار نصوص فيه لم يغيرّها التحـريف ، أو لم يطمسهـا كلية . ومقياسنـا للحكم على ذلك وتبيينه هو تصديق القرآن الكريم ، وموافقته له . وما يقال في التوراة يقال ـ كذلك ـ في الإنجيل والله أعلم .

مقومات الشخصية الاسرائيلية في أسفار العهد القديم :

ان المرء ليأخذ العجب مذاهب بعيدة حين يعلم أن توراة بني اسرائيل الحالية تعتبر سجلا دقيقا ومفصلا لشرورهم ، واثامهم ، وصمم آذانهم عن صوت الله ، ومخـالفتهم شريعتـه ، وخيانتهم لعهـده ؛ بل كفـرانهم به ،

= محاورة عمر ـ رضى الله عنه ـ لكعب الأحبار لما رأى بيده نسخة من التوراة ، إن كنت تعلم أن هذه هي التوراة التي أنزلها الله على موسى فاقرأها ، فعلق الأمر على ما يمتنع العلم به ، ولم يجزم بأن ألفاظ تلك مبدلة ؛ لما لم يتأمل كل ما فيها .

والقرآن والسنة المتواترة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهما ، مما أنزله الله ـ عز وجل ـ والجزم بتبديل ذلك في جميع النسخ التى في العالم متعذر ، وانظر : ما ذكره الحافظ المؤرخ المفسر ابن كثير في البداية والنهاية حـ ٢ ص ١٦٢ ط : القاهرة . نشر : مكتبة الفلاح بالرياض .

وعبادتهم الأصنام والأوثان من دونه ، وقتل أنبيائه في أطوار تاريخهم . فما من سفر من أسفارهم إلّا يزخر بعبارات السخط والغضب التي صبها الله على بني اسرائيل صبا في كل عهودهم منذ أن أخرجهم الله من مصر ، الى ان أهلكهم بظلمهم، وقضى بخراب بلادهم ، وتقطيعهم في الأرض ؛ جاء في سفر الخروج :

« قال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب ، فإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم »[١٦] .

وجاء في سفر العدد :

وقال الرب لموسى :

« حتى متى يهينني هذا الشعب ؟ ! وحتى متى لا يصدقونني ؟ ! بجميع الآيات التي عملت في وسطهم ، إنيّ أضربهم بالوباء وأبيدهم »[١٧] .

وكلّم الرب موسى وهارون قائلا :

« حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمِّرةِ عليّ ؟ ! قل لهم : حَيٌّ أنا ، ويقول الرب : لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني . . في هذا القفر تسقط جثثكم . . أنا الرب : قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتّفقة عليّ . . في هذا القفر يَفْنَوْن ويموتون »[١٨] .

فهذا حكم الله على بني اسرائيل بأنهم متصلّبو الرقاب ، قساة القلوب ، شريرون متذمِّرون على الله ، متفقون على عصيانه ، ومن ثم كان وعيد الله لهم شديدا . . فمن ضربٍ بالوباء . . . الى غضبٍ يحل عليهم . . إلى افنائهم ، وابادتهم في القفر .

وجاء في سفر التثنية ما يؤكد ذلك ويوثقه :

---

(١٦) سفر الخروج ٣٢ : ٩ - ١٠ .
(١٧) سفر العدد ١٤ : ١١ - ١٢ .
(١٨) سفر العدد ١٤ : ٢٦ - ٣٥ .

« فاعلم أنه ليس لأجل برك (يا شعب اسرائيل) يعطيك الرب الهك هذه الأرض . . . لأنك شعب صلب الرقبة !!

أذكر . . . لاتنسى كيف أسخطت الرب : إلهك في البرية !! من اليوم الـــذى خرجت فيه من أرض مصر ، حتى أتيتم الى هذا المكـــان . كنتم تقاومون الرب حتى في حوريب أسخطتم الرب عليكم ؛ ليبيدكم »[١٩].

وخاطب الله بنى اسرائيل قائلا :

جيل أعوج ملتو .

الرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم ؟!!

سنت وغلظت واكتسيت شحما !!

أغاوره بالأجانب ، وأغاظوه بالأرجاس . . . ذبحوا لأوثان ليست الله ، لآلهة لم يعرفوها ـ إنهم جيل متقلب !! أولاد لا أمانة لهم !! هم أغاروني بما ليس الها ، أغاظوني بأباطيلهم !! . .

انه قد اشتعلت نار بغضبي . . . فأجمع عليهم شرورا ، وأنفذ سهامي فيهم . . .

قلت : أبددهم الى الزوايا ، وأبطل من الناس ذكرهم !!

انهم أمة عديمة الرأى !! ، لا بصيرة فيهم !! . . لو عقلوا لفطنوا . . وتأملوا آخرتهم !! [٢٠] .

إنهم حسب ما جاء في كتابهم المقدس ـ جيل أعوج ، جيل متقلب ، أنهم شعب غبي ، غير حكيم ، إنهم أمة عديمة الرأى ، لا بصيرة فيهم ، وأنهم أغاظوا ربهم بعبادة الأوثان ، فتوعدهم أشد وعيد ، توعدهم بتبديدهم الى زوايا الأرض ، وابطال ذكرهم من الناس !! هذا وقد فصَّل سفر التثنية ما توعدهم الله به ؛ فجاء فيه :

---

(١٩) سفر التثنية ٩ : ٦ ـ ٨ .

(٢٠) سفر التثنية ٣٢ : ٥ ـ ٢٩ .

« يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب . . . لا تنجح في طرقك ، بل لا تكـون إلا مظلوماً مغصوباً كل الأيام . . . وتكون دهشا ومثلا وهزأة في جميع الشعـوب الذين يسوقك الرب اليهم . . . الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعداً ، وأنت تنحط متنازلاً ، هو يكون رأساً وأنت تكون ذنباً !!

وتأتي عليك جميع هذه اللعنات ، وتتبعك وتدكك حتى تهلكك ؛ لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك ، لتحفظ وصاياه وفرائضه التى أوصاك بها ، فتكـون فيك آية وأعجـوبة !! وفي نسلك إلى الأبد ! ، تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك ، فيجعل سير حديد على عنقك حتى يهلكك !!

يجعـل الـرب ضربـاتـك وضربات نسلك عجيبة ، ضربات عظيمة ، راسخة ، حتى يهلكك ، فتبقون نفرا قليلا [٢١] .

وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثّركم ، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم ، فتستأصلون [١] من الأرض ، ويبددك الرب في جميع الشعـوب من أقصى الأرض إلى أقصـائهـا [٢٢] . !! . . . لا تطمئن ، ولا يكون قرار لقدمك . . وترتعب ليلا ونهارا ، ولا تأمن على حياتك . . يردك الرب إلى مصر فتباعون هناك لأعدائك عبيداً وإماء .

هذا حال بني إسرائيـل ، ومـوسى ـ عليـه السـلام ـ بين ظهـرانيهـم ، والتوراة تتنزل عليهم ، وقد ازداد حالهم السيء سوءا من بعده ، فانتكسوا

---

(٢١) ، (١) اقرأ قول الله تعالى في سورة الأعراف : آية ١٦٧ : « وإذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلىَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يسومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ ، إنَّ رَبَّكَ لسريعُ العِقَابِ »

(٢٢) اقرأ قول الله تعالى في سورة الأعراف : ١٦٨ : « وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً » .

وارتكسوا ، وقد سجلت كتبهم ذلك في نصوص مطولة مفصّلة ، نكتفي بايراد نماذج منها ، فقد جاء في سفر الملوك الأول : -

« وكان أن بني إسرائيل أخطأوا الى الرب إلهم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ، واتقوا آلهة أخرى - يعني أشركوا به - وسلكوا حسب فرائض الامم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل وملوك اسرائيل الذين أقاموهم » .

« وعمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلهم أموراً ليست بمستقيمةٍ ، وبنوا لأنفسهم مرتفعات (هياكل لعبادة الأوثان) في جميع مدنهم ، وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسوارى (للأصنام) على كل تلٍ عال ، وتحت كل شجرة خضراء !!

وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أمورا قبيحة لاغاظة الرب !! وعبدوا الأصنام التي قال لهم الرب عنها : لا تعملوا هذا الأمر

« وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا - شطرى مملكة بني اسرائيل بعد سليمان - على يد جميع الأنبياء ، وكل راءٍ قائلا : -

ارجعوا عن طرقكم الرديئة ، واحفظوا وصاياى وفرائضي حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم ، والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء ، فلم يسمعوا !! بل صلّبوا أقفيتهم كاقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلهم ، ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم ، وساروا وراء الباطل !! وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم ، الذين أمرهم الرب ألاّ يعملوا مثلهم وتركوا جميع وصايا الرب إلهم !!

« وعملوا لأنفسهم مسبوكاتٍ عجلين ، وعملوا سوارى ، وسجدوا لجميع جند السماء ،وعبدوا البعل ، وعبروا بنيهم وبناتهم في النار ، وعرفوا عرافة ، وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لاغاظته !!

فغضب الرب جدا على إسرائيل ، ونفاهم من أمامه ، ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده ، ويهوذا - أيضا - لم يحفظوا وصايا الرب إلههم ! ؛ بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها ! !

« فرذّل الرب كل نسل إسرائيل ، وأذلّهم ، ودفعهم ليد ناهبين ، حتى طردهم من أمامه لأنه شق إسرائيل بيت داود ، فملّكوا يربعام بن نباط ، فأبعد يربعام إسرائيل من وراء الرب ، وجعلهم يخطئون خطيئةً عظيمة ، وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يربعام التي عمل ، ولم يحيدوا عنها ، حتى نحّى الرب إسرائيل من أمامه ، كما تكلم عن جميع عبيدةً الأنبياء (٢٣) .

وماذا عمل يربعام بن نباط هذا ؟

« عمل يربعام عجلى ذهب وقال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم . هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ، ووضع واحداً في بيت إيل ، وجعل الآخر في دان ، وعمل يربعام عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر كالعيد الذى في يهوذا » .

وقد سار ملوك بني إسرائيل على سُنة يربعام ، كما سجل ذلك في أسفارهم التي يقدسونها ، وملك « ناداب بن يربعام » على إسرائيل ، . . . . وعمل الشر في عيني الرب ، وسار في طريق أبيه ، وفي خطيئته التي جعل بها إسرائيل يخطىء « .

من أجل خطايا (زمرى) التي أخطأ بها بعمله الشر في عيني الرب ، وسيره

---

(٢٣) سفر الملوك الأول ١٧ : ٧ - ٢٣ بعد موت سليمان انقسمت مملكة اسرائيل إلى شطرين (إسرائيل ويهوذا) ملك رحبعام بن بن سليمان على يهوذا ، وملك يربعام بن نباط ، وهو ليس من بيت داود على إسرائيل ، وقد أشرك يربعام ، وبنى أوثاناً وهياكل ، ودعا بنى إسرائيل لعبادتها فأجابوه وأعانوه وتسارعوا إلى باطله .

في طريق يربعام ، ومن أجل خطيته التي عمل بجعله إسرائيل يخطىء »[٢٤] .

« وعمـل (عمرى) الشر في عيني الرب ، وأساء أكثر من جميع الذين قبله ، وسـار في جميع طريق يربعام ، وفي خطيئته التى جعل بها إسرائيل يخطىء لإغاظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم »[٢٧] .

وعمل « أخاب » الشر في عيني الرب أكثر من جميع الذين قبله ، وكأنه كان أمرا زهيدا سلوكه في خطايا يربعام ، حتى اتخذ إيزابل ابنة اشبعل ملك الصيدونيين امرأة ، وسار وعبد البعل ، وسجد له ، وأقام مذبحا للبعل في بيت البعل الذى بناه في السامرة ، وعمل آخاب سوارى ، وزاد في العمل لإغـاظة الرب ، أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله .

ولا يتصور القارىء الكريم أن حال مملكة يهوذا كان أفضل من حال مملكة إسرائيل ، وأن ملوكهم وشعبهم كانوا أمثل من أولئك ، جاء في سفر الملوك الثاني : تكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء : من أجل أن منسّى ملك يهوذا قد عمـل الأرجـاس ، وأساء أكثر من جميع الذى عمله الأموريون الذين قبله ، وجعل ـ أيضا ـ يهوذا يخطىء بأصنامه . . . ؛ لذلك قال الرب :

ها أنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا . . . حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه !! **وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن ، يمسحه ويقلبه**

---

(٢٤) سفر الملوك الثاني ١٢ : ٢٨ ـ ٣٢ ، وقد تابع ملوك بني إسرائيل يربعام على بدعته السيئة هذه ، ولم يتناهوا عن هذا المنكر !!

(٢٥) سفر الملوك الأول ١٥ : ٢٥ ـ ٢٦

(٢٦) سفر الملوك الأول ١٦ : ١٩ .

(٢٧) سفر الملوك الأول ١٦ : ٢٥ ـ ٢٦

على وجهه [٢٨] !!! ؛ لأنهم عملوا الشر في عيني ، وصاروا يغيظونني من اليوم الذى خرج فيه آباؤهم من مصر [٢٩] إلى هذا اليوم [٣٠] .

من اليوم الذى خرج فيه بنوا إسرائيل من أرض مصر ، ووطئت أقدامهم أرض سينـاء قاصـدين الأرض الموعـودة أو الأرض المقـدسـة . . أرض فلسطين ، وهم يعملون الشر في عيني الرب ليغيظوه إلى اليوم الذى كتبت فيه أسفارهم هذه ، وتذكر كتبهم أنهم لم يتوقفوا عن عمل الشر في عين الرب لاغاظته ـ حسب تعبير العهد القديم ـ لكنهم تمادوا في الغي والعدوان ، ومن ثم أنـذرهم الله وتوعدهم وكشف عن جانب مما سينالهم من عقاب . . . فكانت النذارة حاسمة ، وكان الوعيد أليماً . . . اقرأ ما جاء في سفر أرمياء أحد أنبيائهم :

« ها هي أيام تأتي ، يقول الرب :

تصير جثث إسرائيل أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض . . . ، وأبطل

---

(٢٨) تأمل ـ في ضوء هذه العبارة ـ ما وقع لأورشليم على يد بختنصر والبابليين ، وعلى أيدى الرومان قبل ميلاد المسيح عليه السلام ـ وبعده !! ، واقرأ صدر سورة الاسراء .

(٢٩) تأمل هذه العبارة في ضوء قوله تعالى في سورة الأعراف / ١٣٨ : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ، قالُوا : يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كما لَهُمْ آلهة قال إنكم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) .

(٣٠) سفر الملوك الثاني ٢١ : ١ ـ ١٥ . والعجيب الغريب أن مملكة إسرائيل التى حكمهـا يربعام ـ وهو عبد لسليمان عليه السلام ـ ، لم يحكمها ملك على دين موسى وشريعة التوراة ، فمنذ قيامها ـ بعد موت سليمان ـ وإلى زوالها ، وهى على الكفر والوثنية والارتداء عن ديانة موسى !! أما مملكة يهوذا فكان حالها مذبذباً بين الإيمان والكفر ، وإذ كان الكفر عليها غالباً !! .

انظر فصل : « نقد سند التوراة » من هذا الكتاب

من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب ، وصوت الفرح ، صوت العريس وصوت العروس ؛ لأن الأرض تصير خراباً » (٣١) .

« وأجعل أورشليم رجماً ومأوى بنات آوى (حيوانات تعيش في المدن الخربة المهجورة) ، ومدن يهوذا أجعلها بلا ساكن !

ها أنذا أطعم هذا الشعب افستينا ، وأسقيهم ماء العلقم ، وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم » !! ، وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم لأجل تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم ، ولم يسمعوا لصوتي ، ولم يسلكوا بها ؛ بل سلكوا وراء عناد قلوبهم !! وراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم . . . هاأنذا . . (٣٣) »

وحتى نساء اسرائيل يتوجه إليهن الوعيد والنذارة :

« اسمعن أيتها النساء كلمة الرب . . . علمن بناتكن الرثاية ، المرأة صاحبتها الندب ؛ لأن الموت طلع إلى كوانا ، ودخل قصورنا . . . » (٣٤) .

يقول الله ـ على لسان أرمياء ـ فيما نسبه إليه بنو إسرائيل :

« . . . قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدى الذى قطعته مع آبائهم ؛ لذلك قال الرب : هاأنذا جالب شراً عليهم ، لا يستطيعون أن يخرجوا منه ، ويصرخون إلي فلا أسمع لهم . . . . ؛ لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا ! ، وبعدد شوارع اورشليم وضعتم مذابح للخزى . . . » (٣٥) . لذلك توعدهم الله قائلا :

« أُذَرِّيهِمْ بِمِذْارِةٍ في أبواب الأرض » (٣٦) .

---

(٣١) أرمياء ٧ : ٣٢ ـ ٣٤ .

(٣٢) اقرأ العبارة في ضوء قوله تعالى : (وقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً) .

(٣٣) أرمياء ٩ : ١١ ـ ١٦

(٣٤) أرمياء ٩ : ٢٠ ـ ٢١ .

(٣٥) أرمياء ١١ : ١٠ ـ ١٣ .

(٣٦) أرمياء ١٥ : ٧ . واقرأ قوله تعالى : (وقطّعناهم في الأرض أُمما) .

« لأن هذه المدينة (أورشليم) قد صارت لغضبي ولغيظي من اليوم الذى بنوها فيه إلى هذا اليوم ؛ لأنزعنها من أمام وجهى من أجل كل شر بني إسرائيل وبني يهوذا الذى عملوه ليغيظوني به هم وملوكهم ، ورؤساهم وكهنتهم وأنبياؤهم (يقصد أدعياء النبوة) ورجال يهوذا ، وسكان أورشليم .

« وقد حوّلوا لي القفا لا الوجه !!

« وقد علمتهم ، فلم يسمعوا ليقبلوا أدبا ؛ بل وضعوا مكرهاتهم في البيت الذى دعى باسمي لينجسوه » .

« وبنوا المرتفعات للبعل الذى في وادى هنوم ، ولمولك . . . الأمر الذى لم أوصهم به . . ليعملوا هذا الرجس !!.» (٣٧) .

أمـا ما سجله عليهم نبيهم حزقيال فهـو يؤكـد هذه الخصال النفسية المتسفِّلة ، فقد جاء فيه :

« هكذا قال السيد الرب :

أيتها المدينة (أورشليم) السافكة الدم في وسطها !

الصانعة أصناما لنفسها لتتنجّس بها ؛ قد أثمت بدمك الذى سفكت . . . ونجست نفسك بأصنامك التي عملت ، وقربت أيامك ، وبلغت سنيك !! ، فلذلك جعلتك عارا للأمم وسخرة لجميع الأرض القريبة إليك والبعيدة عنك ، يسخرون منك يا نجسة الاسم !! يا كثيرة الشغب !!

---

(٣٧) أرمياء ٣٢ : ٣١ - ٣٥ ، واقرأ قوله تعالى : (قالوا سمعنا وعصينا) .

وللتعرف على الديانات الوثنية التى كانت سائدة آنئذٍ ومدى تأثيرها على اليهود انظر .

Martin Hengel : Judaism and Hellenism, PP. 261 - 310, SCM Press, London, 1981

وانظر لنفس المؤلف وهو استاذ متخصص فى جامعة (Tubingen) كتابه الثانى :

Jews, Greeks, and Barbarians., PP. 57-83, SCM, London, 1980

ازدريت أقداسي ، ونجّست سبوتي !! .. أنا الرب تكلمت ، وسأفعل : أبددك بين الأمم ! ، وأذريك في الأراضي !! (٣٨) .

« يا جبال اسرائيل اسمعي كلمة السيد الرب هكذا قال للجبال والآكام والأودية والأوطئة : ها أنذا جالب عليكم سيفا ، وأبيد مرتفعاتكم فتخرب مذابحكم وتتكسر شمساتكم وأطرح قتلاكم قدام أصنامكم ، وأضع جثث بني إسرائيل قدام أصنامكم ، وأذرى عظامكم حول مذابحكم ... فتقفر المدن ، وتخرب المرتفعات » (٣٩) .

« أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف ـ حسب خطاياكم ـ فتأكلون بنيكم وبناتكم !! ، وألقي جثثكم على جثث أصنامكم .. ، وأذريكم بين الأمم .. فتهلكون بين الشعوب » (٤٠) .

هذه بعض ملامح نفسيتهم التي أشربت العجل ، واستمرأت الوثنية ، وتهالكت على الشرك والرجس ... هذه خصائص النفس الاسرائيلية كما وردت في أسفارهم ، وهم أعلم بأنفسهم ... وبالحادهم وشركهم ، وقسوة قلوبهم ، وتصليب رقابهم ، وغلظتهم ، وعصيانهم وفسوقهم .

ولقد حرصت على نقل نصوصهم نقلا حرفيا ـ مغضيا الطرف عما بها من ركاكة أو مخالفة للأصول . حتى يتعامل القارىء مع هذه النصوص التي يقدسونها تعاملا مباشرا ، كما ركزت على النقل من الأسفار الخمسة المنسوبة

---

(٣٨) من الفرائض المقدسة في الديانة اليهودية (الاسبات) أى الراحة يوم السبت ، لكن بني اسرائيل لم يرعوا حرمة هذه الفريضة ، وتحايلوا عليها ، ونجسوها . اقرأ قول الله تعالى : (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) الأعراف / ١٦٣ . واستحضر قوله تعالى : (وقطعناهم في الأرض أمما) . وقارن ذلك مع آخر نص حزقيال ٢٢ .

(٣٩) حزقيال ٦ : ٣ ـ ٦ .

(٤٠) حزقيال ٢٦ : ١ ـ ٣٩ .

الى موسى ـ عليه السلام ـ أو التوراة ، وهي أوثق كتبهم عندهم ، وأولاها بالقبول والاعتداد .

وخلاصة القول وملاك الأمر : أن الاسرائيلين قد نقضوا عهد الرب ، ولم يلتزموا بمثاقه ، فحقت عليهم كلمة العذاب ، وفقدوا استحقاقهم الاصطفاء والتفضيل والاختيار على العالمين ؛ قد نقض بيت اسرائيل وبيت يهوذا عهدى الذى قطعته مع آبائهم !) .

وأختم كلامي عن خصائصهم النفسية في كتبهم بسوق هذه الصورة الرمزية البشعة التي رسمها نبيهم حزقيال لمدينتي أورشليم والسامرة ـ عاصمتي شطرى المملكة ـ . . . هذه الصورة التي تجسد بشكل خطير كفران بني إسرائيل وخيانتهم واستحقاقهم النكال الذى أوقعه الحق سبحانه وتعالى بهم ؛ يقول حزقيال :

« كان امرأتان ابنتا أم واحدة ، وزنتا بمصر ، في صباهما زنتا ، هناك دغدغت ثديهما ، وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما . . . واسمهاهما السامرة (أهولة) وأورشليم (أهوليبة) . . .

وزنت أهولة (السامرة) وعشقت محبيها اشور ، وتنجست بكل من عشقتهم . . . بكل أصنامهم ، ولم تترك زناها من مصر أيضا ؛ لأنهم ضاجعوها في صباها ، وزغزغوا ترائب عذرتها ، . . . لذلك سلمتها ليد عشاقها . . ليد بني أشور الذين عشقتهم هم كشفوا عورتها . . ، أخذوا بنيها وذبحوها بالسيف . . فلما رأت أختها (أورشليم) أهوليب ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها ، وفي زناها أكثر من زنى أختها . . . فرأيت أنها قد تنجست ، ولكليهما طريق واحدة . . . فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ، ونجسوها بزناهم ، فتنجست بهم ، وكشفت عورتها ، فجفتها نفسي كما جفت جختها » (٤١) .

---

(٤١) سفر حزقيال ٢٣ : ١ ـ ١٨

« قال السيد الرب : ها أنذ أسلمك يا أورشليم ! فيعاملونك بالبغضاء ويتركونك عريانة ، فتنكشف عورة . . . زناك . . . أفعل هذا لأنك زنيت وراء الأمم ؛ لأنك تنجست بأصنامهم »[42]

فبيت إسرائيل - حسب ما أوردت كتبهم - بيت الخزى والخيانة والنجاسة ، وليس وراء شهادتهم على أنفسهم شهادة !! وقد طمس الله على بصائرهم ، وأمسك أيديهم عن تحريف هذه النصوص الصريحة الكاشفة لعوراتهم وعوراهم بين الأمم . . فهم أمة غبية عديمة الرأى ، وشعب غير حكيم لا بصيرة لهم !! . ولاريب عندنا أن هذه النصوص التي أمسك الله أقلامهم عن تحريفها هي قليل من كثير ، أو غيض من فيض كما يقال . لكن ما تبقى من هذه النصوص - في العهد القديم - ، وما اقتطفناه منها - هنا - كاف في إظهار دفائن نفسيتهم ، وكشف ملامحها الكالحة ، وابراز قسماتها المنكرة !! .

(٤) مقومات الشخصية الإسرائيلية في الإنجيل :

أرسل الله عيسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل ، فاعرضوا عنه ، وصدوا عنه صدودا ؛ بل تآمر عليه رؤساؤهم من الأحبار الربانيين والكهنة والكتبة - وكانت الكلمة والرئاسة لطائفة الفريسيين ، وحالوا بينه وبين الناس ، ووسوسوا الى أسيادهم الرومان ، ووشوا على رسولهم عندهم . وكل هذا سجل بالتفصيل في الأناجيل الأربعة (متى ولوقا ومرقس ويوحنا) التي تعترف بها كنائس النصارى قاطبة ، وسجل كذلك في إنجيل برنابا وهو سفر لا تعترف به كنائس النصارى .

ولم يهدأ لليهود بال ، ولم يقر لهم قرار حتى دسوا رجلهم (شاول) الذى تسمى - فيما بعد - (بولس) وزعم لنفسه الرسالة فأفسد ديانة عيسى - عليه

(٤٢) السابق ٢٣ : ٢٨ - ٣٠ .

السلام ـ ، ومن ثم فإن العلماء يرون أن نسبة هذه النصرانية الراهنة الى بولس (٤٣) ، أحق وأجدر من نسبتها الى المسيح ـ عليه السلام ـ .

ودار بين المسيح ـ عليه السلام ـ وأحبار بني اسرائيل مناقشات ومجادلات (٤٤) أظهرت رياءهم ومكابرتهم وبغضهم للحق ، واعراضهم عن الله ورسله ، ومن ثم كشف المسيح ـ عليه السلام ـ كثيرا من أخلاقهم وخصائص نفسيتهم ومقومات شخصيتهم ، فيما نسب إليه في الأناجيل ، ويعجب المرء من هذا التطابق بين ما جاء في التوراة وما جاء في الأناجيل على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ في هذه المسألة : يقول المسيح فيهم : « أيها الجبل غير المؤمن والأعوج ، الى متى أبقى معكم ؟ والى متى أحتملكم ؟ ! (٤٥) . « جيل شرير خائن » (٤٦) .

« يا أولاد الأفاعي ، كيف تقدرون وأنتم أشرار أن تتكلموا كلاما صالحا » (٤٦) .

« . . . فهم ينظرون دون أن يبصروا ، ويسمعون دون أن يسمعوا ، أو يفهموا » (٤٧) .

« . . . ودخل يسوع الى هيكل الله ، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل ، وقلب موائد الصيارف ، وكراسي باعة الحمام ، وقال

---

(٤٣) يدرس أحد الباحثين جهود بولس ودوره هذا ، لينال درجة الماجستير بإشراف كاتب هذه السطور في كلية الدعوة والاعلام بالرياض .

(٤٤) انظر مثلا : الاصحاح الحادى عشر والتاسع عشر والعشرين ، والحادى والعشرين من انجيل لوقا ، ومرقس ١٢ : ٣٨ ـ ٤٠ ، ٣ : ١٩ ـ ٣٠ ، لوقا ١ : ١٥ ـ ٢٤ ، يوحنا ٧ : ١٠ ـ ٤٦ .

(٤٥) متى ١٩ : ١٧

(٤٦) متى ١٢ : ٣٤

(٤٧) متى ١٣ : ١٣ ـ ١٥ .

لهم : مكتوب بيتي بيت الصلاة ، وأنتم جعلتوه مغارة لصوص »[٤٨] .

ما أغرب هؤلاء !! هيكل سليمان ، أو بيت الله بيت الصلاة ، حوله الإسرائيليون الى مغارة لصوص !! والى سوق لصيارفة الربا وباعة الحمام !! بل وضعوا مكرهاتهم في البيت الذى دعي باسمي لينجسوه !! (ارمياء) .

وأنقل للقراء الكرام - في هذا المقام - فقرات من الخطبة الجامعة التي ألقاها عيسى - عليه السلام - في الهيكل أمام الجموع والتلاميذ ، وحذر فيها من أخلاق علماء بني إسرائيل وأحبارهم وكهنتهم وربانييهم الفريسيين[٤٩] ، وكشف عن دفائن نفوسهم ، ووضع النقاط فوق الحروف ، كما يقال ، فلم يبق مجال لأى تعليق أو شرح أو تفصيل . قال المسيح ابن مريم :

« اعتلى الكتبة والفريسيون كرسي موسى . . . لا تعملوا مثلما يعملون ؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون ؛ بل يحزمون أحمالا ثقيلة لا تطاق ، ويضعونها على أكتاف الناس .

« وكل ما يعملونه فإنما يعملونه لكي يلفتوا نظر الناس اليهم !!

« فهم يُعرضون عصائبهم ، ويطيلون أطراف أثوابهم ، ويحبون أماكن الصدارة في الولائم وصدور المجالس في المجامع ، وأن تلقى عليهم التحيات في الساحات ، ويدعوهم الناس : يا معلم ، يا معلم !!

« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ! فإنكم تغلقون ملكوت السماوات في وجوه الناس . . . فلا أنتم تدخلون ، ولا تدعون الداخلين يدخلون !!

« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ! ، فإنكم تلتهمون بيوت

---

(٤٨) متى ٢١ : ١٢ .

(٤٩) لئن كانت هذه أخلاق علمائهم وصفوتهم ، فما بالك بأخلاق عامتهم وجمهورهم ؟ !!

الأرامل ، وتتذرعوا باطالة الصلاة ! ؛ لذلك ستنزل بكم دينونة أقسى .

« الويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراؤون ! فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهودا واحدا ؛ فإذا تهود جعلتموه أهلا لجهنم !!

« الويل لكم أيها القاد » العميان !

« تقولون : من أقسم بالهيكل ، فقسمه غير ملزم ؛ أما من أقسم بذهب الهيكل فقسمه ملزم !!

« أيها الجهال والعميان ! أى الإثنين أعظم : الذهب أم الهيكل ؟ !

« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ! فإنكم تؤدون حتى عشور النعناع والشبت والكون ، وقد أهملتم أهم ما في الشريعة : العدل والرحمة والأمانة . كان يجب أن تفعلوا هذه ، ولا تغفلوا تلك .

« أيها القادة العميان ! إنكم تصفُّون الماء من البعوضة ، ولكنكم تبلعون الجمل !! « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ! فإنكم تنظفون الكأس والصحفة من الخارج ، ولكنهما من الداخل ممتلئتان بما كسبتم بالنهب والطمع ! أيها الفريسي الأعمى : نظف أولا داخل الكأس ليصير خارجها ـ أيضا ـ نظيفا .

« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ! فإنكم كالقبور المطلية بالكلس ، تبدو جميلة من الخارج ، ولكنها من الداخل ممتلئة بعظام الموتى ، وكل نجاسة كذلك أنتم تبدون للناس أبرارا ، ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق !!

« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ! فإنكم تبنون قبور الأنبياء ، وتزينون مدافن الأبرار ، وتقولون : لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم الأنبياء . فبهذا تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلي الأنبياء ! فأكملوا أنتم ما بدأه آباؤكم ليطفح الكيل .

« أيها الحيات أولاد الأفاعي !! كيف تفلتون من عقاب جهنم ؟ ! لذلك

هاأنــذا أرسـل اليكم أنبياء (٥٠) وحكـماء ومعلمـين ، فبعضهم تقتلون ، وتصلبـون ، وبعضهم تجلدون في مجامعكم ، وتطاردونهم من مدينـة الى مدينة ، وبهذا يقع عليكم كل دم زكي سفك على الأرض : من دم هابيل البار الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين محراب الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم : ان عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجيل !!

« يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين اليها !! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، فلم تريدوا ! « ها ان بيتكم يترك لكم خرابا !! » (٥١) .

لاريب أن خصائص بني إسرائيل الخلقية ، وملامحهم النفسية التي وردت في الأناجيل على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ فيما نسب اليه ـ تتفق ؛ بل تتـطابق مع ما جاء في التوراة ، وان ما جاء في القرآن الكريم ، وحي الله المحفـوظ بحفظه ، المهيمن على هذه الكتب ، ليصدق ما ذكر فيها بشأن أخلاق بني إسرائيل وخصائصهم النفسية ، مما يجعلنا نؤكد ـ مرة أخرى ـ ما قلناه في صدر بحثنا هذا ـ أن ما جاء في التوراة والانجيل في هذه المسألة ـ بقية وحي وأثارة نَبُوّه ، وأن يد التحريف لم تطمسه جملة ، ولم تغيره كلية ، وهذا كاف في استحضار البعد الغائب في التعامل مع بني إسرائيل اليوم ، وإني قد حرصت على تتبع ذلك ، ورصده وتوثيقه ، ثم تقديمه للمثقف الذى ينبغي أن يتعرف على التقريرات الالهية ، وحقائق الوحي اليقينية الهادية في خضم

---

(٥٠) ربما قصد بالأنبياء هنا العلماء « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » ، أو هو خطأ في الترجمة ، أو هو تحريف في اللفظ الأصلي .

(٥١) اقرأ انجيل متى ، الاصحاح الثالث والعشرين .

(★) أطلق عليهم المسيح في انجيل يوحنا : الاصحاح ٨ : ٤٠ ـ ٤٥ أنهم أبناء إبليس ، فقال : « أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . . . » .

هذا المعترك الجلل ، وعلى من بيدهم أمر العباد ألا يغضوا الطرف ، وألا يتجافوا عن حقائق الوحي الالهي ، والله من وراء القصد .

(٥) مقومات الشخصية الإسرئيلية في القرآن الكريم :

إن المتدبر لآيات الكتاب الحكيم ليقف على حقيقة كبرى ، تتمثل في أن القرآن لم يتناول موضوع بني إسرائيل ، قصتهم وأخلاقهم وسلوكهم في آية أو آيتين ؛ أو في سورة أو سورتين ؛ لكن تناولها بفيض زاخر من الآيات الكريمة ؛ حتى أنه لا تكاد تخلو أكثر سور القرآن الكريم من الحديث عنهم ، وهذا فيه من العبرة ما فيه ، وهذا يجعل بحث موضوع مقومات الشخصية الاسرائيلية في القرآن الكريم أمرا غير ميسور في مثل هذه الصفحات القلائل ، ومن ثم فإننا سنكتفي بتقديم نماذج فحسب من الآيات الكريمة ، تكشف عن جوانب من خصائص بني إسرائيل النفسية والخلقية ، أما إحصاء جميع الآيات القرآنية التي فيها ذكر أو اشارة إلى ذلك ، فهذا يعني أن نسجل هنا قرابة ثلث آيات الكتاب العزيز أو يزيد !! .

وسنكتفي في هذا المقام بذكر بعض النماذج التي تشير الى أمهات خصائصهم النفسية والخلقية وجوامعها .

* ومن أبرزها وأولها الالحاد في العقائد الذى تمثّل في تطاولهم على الله تعالى ، وعلى رسله وعلى ملائكته ، وعلى وحيه وكلماته ، وعلى جنته وناره ، وعلى عباده المؤمنين المتقين ؛ قال تعالى :

(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) (٥٢) .

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) (٥٣) .

---

(٥٢) آل عمران : ١٨١ .

(٥٣) المائدة / ٦٤ .

(أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (٥٤) .

وتأمل قوله تعالى (كلّما) وهي تفيد العموم والتكرار مما يدل على اطراد التكذيب أو القتل !!

وزعم اليهود أن جبريل عدو لهم ، فقطعتهم الآيات الكريمة :

(قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) (٥٥) .

ومما يدل على استخفافهم بالوحي ، وتطاولهم على كتاب الله :

(وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٥٦) .

ولم يكن الأمر مجرد استخفاف بآيات الله العظيم ، لكنه انسلاخ منها :

(واتـل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) (٥٧) .

(مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين)(٥٨) .

---

(٥٤) البقرة / ٨٧

(٥٥) البقرة ٩٧ / ٩٨

(٥٦) آل عمران : ٧٨ .

(٥٧) الأعراف

(٥٨) الجمعة / ٥

وعن افترائهم على الجنة واستخفافهم بالعذاب :

(وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم) (٥٩) .

(ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) (٦٠) .

ويحثنا القرآن الكريم ، ويسترعي نظرنا الى التأمل في حالهم العقدى السيء : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) (٦١) .

والحق أن الحادهم واختلال عقيدتهم كان بمثابة المحور الذى يدور بهم ، ويدورون به ، فيختل في نفوسهم وسلوكهم كل شيء ، ويفسر في ضوئه كل أفكارهم ومخططاتهم وسلكوهم وأخلاقهم وخصائصهم الأخرى !!

* ومن خصائصهم النفسية التي أفاض القرآن في بيانها وكشفها : قسوة قلوبهم يقول تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) (٦٢) .

(وقالوا قلوبنا غلف) (٦٣) .

وبنو إسرائيل أعلم بقلوبهم ، والقلب الأغلف هو القلب المختوم عليه ، الذى أثقلته الأكنة من الآثام والذنوب فجعل عليه الران (٦٤) ؛ فلا يفقه الا

---

(٥٩) البقرة : ١١١

(٦٠) آل عمران : ٢٤ .

(٦١) النساء : ٥١ ـ ٥٢

(٦٢) المائدة : ١٣ .

(٦٣) البقرة : ٨٨ .

(٦٤) راجع كتابنا : تأملات حول وسائل الادراك في القرآن : الحس والعقل والقلب ، واللب والفؤاد ـ طبعة عالم الكتب ـ بالرياض ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

ما وأفق شهـواتـه ونزواته ورغائبه الأثيمة . وقد كشف القرآن الكريم هذه الخاصة النفسية الاسرائيلية وجلاَّها . . . اقرأ هذه الصورة الاعجازية التي رسمها القرآن لقسوة القلب الاسرائيلي . (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله) (٦٥) .

انهم قد احـترفـوا الـذنـوب احـترافا حتى رانت الذنوب على قلوبهم ، فأظلمت وانـطمست ، ومن ثم اقتحمت كل ضروب الكفـر ، وتهـافتت عليه ، ثم جعلتـه دينهـا وديدنها ، وطـال عليهم الأمد في هذا الضلال ، فتوارثته الأجيال ، ولذلك أكثر القرآن العظيم في بيان هذا الجانب ، وجاء فيه بقـوارع غاية في الايجاز والاعجاز ، لتلفت الأنظار ، وتنبه المؤمنين الى حقيقة هذا الشعب العصي الكنود (٦٦) . الذى لم ينج من وحشيته وهمجيته وبربريته ، حتى صفوة خلق الله ؛ أنبياؤه ورسله الكرام .

* ومما ذكره القرآن من خصائصهم الخلقية البارزة : نقضهم العهود ، وعدم وفائهم بالمواثيق ، قال تعالى : (أو كلما عاهدوا عهـدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) (٦٧) .

وتـدبر قول الحق - عز وجل - (كلما) فهي تفيد أن نقض العهد سمة اسرائيلية مطردة في كل عصورهم قديمها وحديثها على السواء :

(الـذين عاهـدت منهـم ثم ينـقـضـون عهـدهـم في كل مرة وهم

---

(٦٥) سورة البقرة : ٧٤ .

(٦٦) انـظر : الـدراسـة القيمـة التي نشرها الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ، بعنوان (معركة الوجود بين القرآن والتلمود) في مواضع متعددة متفرقة ، ط : القاهرة بدون تاريخ .

(٦٧) سورة البقرة : آية ١٠٠ .

لا يتقون) [٦٨] . هكذا كان الاسرائيليون (ينقضون عهدهم في كل مرة) ولا يزالـون (وهم لا يتقـون) . (وأخـذنـا منهم ميثاقا غليظاً فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهـم) [٦٩] .

* ومن خصائصهم النفسية الأصيلة : الحقد والحسد . يقول عز من قائل :

(أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) [٧٠] .

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) [٧١] .

انطوت النفس اليهودية على حقد بالغ وغل أسود ، وحسد عاصف للناس عامة ، والمؤمنين منهم خاصة ، وكما نبهنا مرارا كان من شؤمهم ولؤمهم الذى تفـردوا به جعلهم ذلك دينا ينسبونه الى الوحي الأعلى ، ويؤججون باسمه سعارهم النفسي المحتدم . ومن ثم دأبوا على الكراهية الوحشية للمجتمعات البشرية والكيد الدائم لها ، ولو أحسنت اليهم تنفيسا عن وحر صدورهم .

ومن أجل ذلك : حذر الله من اتخاذ بطانة منهم ، فقال : (يا أيها الذين آمنـوا لا تتخـذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الأيات ان كنتم تعقلون) [٧٢]

---

(٦٨) سورة الأنفال : آية ٥٦ .

(٦٩) سورة النساء : آية ١٥٤ ، ١٥٥ . وانظر : سورة البقرة : آية ٩٣ ، وسورة الأحزاب : آية ٢٦ ، ٢٧ .

(٧٠) سورة النساء : آية ٥٣ ـ ٥٤ .

(٧١) سورة البقرة : آية ١٩ .

(٧٢) سورة آل عمران : آية ١١٨ .

وما أجل هذه اللفتة القرآنية في ختام الآية الكريمة :
(قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) . فهل يعقل المسلمون بيان ربهم الأعلى ؟ !

وهل يعون هذه المعاني القرآنية الهادية ؟ !

وهل تتحول هذه الكلمات الى حقائق حية يتحركون بها في واقع الحياة ؟ ! حتى يواجهوا معركة وجودهم مع اعدى أعدائهم بروح القرآن وعزم الاسلام (٧٣) .

* أما الفساد في الأرض : فهم سدنته ورعاته ومعلموه ، اقرأ قول الحق عز اسمه : (وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت) (٧٤) . (سماعون للكذب أكالون للسحت) (٧٥) .

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) (٧٦) .

تسجل هذه الآية جملة من خصال السوء الجديرة بالتأمل . . . وأول هذه الخصال : ان الحق لا يزيدهم الا طغيانا وكفرا فهم أعداء الحق دائما .

وثانيها : أن قلوبهم تفور بالعداوة والبغضاء الى يوم القيامة !!

وثالثها : أنهم وقادو الفتن والحروب بين الشعوب !!

ورابعها : أنهم يجدون ويجددون دائما في افساد الأرض كلها والله لهم بالمرصاد ؛ لأنه لا يحب المفسدين(٧٧) .

---

(٧٣) انظر : كتاب معركة الوجود بين القرآن والتلمود من (ص . ١٣ - ١٣٤) .
(٧٤) سورة المائدة : آية ٦٢ .
(٧٥) سورة المائدة : آية ٦٣ .
(٧٦) سورة المائدة : آية ٦٤ .
(٧٧) معركة الوجود (ص ١٣٩) .

* ثم بينً القرآن الكريم خاصتين متقابلتين متناقضتين في النفس الاسرائيلية ، هما : ـ الاستعلاء من جهة ، وملازمة الجبن والذلة والمسكنة من جهة أخرى . يقول تعالى : (قل يا أيها الذين هادوا ان زعتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنواالموت ان كنتم صادقين)(٧٨) .

وقد اختار الله بني اسرائيل وفضلهم على العالمين اختبارا وابتلاء ، لكنهم فهموه فهما معكوسا منكوسا فهموه على أنه اختيار عرقي عنصرى سلالي .

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) (٧٩) .

وعن جبنهم واستخذائهم وقعودهم يقص الحق تعالى دعوة موسى ـ عليه السلام ـ إياهم لدخول الأرض المقدسة وجوابهم الجبان :

(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) . فماذا كان جوابهم ؟ اقرأه في الآية الكريمة التالية :

(قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإنْ يخرجوا منها فإنا داخلون) (٨٠) .

وماذا قالوا بعد ؟ (قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) (٨١) .

انظر : رسولهم موسى ـ عليه السلام ـ يدعوهم ويحثهم ويستجيش عزائمهم وهممهم لدخول الأرض المقدسة ، التي كتبها الله لهم ، ووعدهم بها ،

---

(٧٨) سورة الجمعة : آية ٦ ـ ٧ .

(٧٩) سورة المائدة : آية ١٨ .

(٨٠) سورة المائدة : آية ٢١ ، ٢٢ .

(٨١) سورة المائدة : ٢٣ ـ ٢٤ .

لكنهم يخلدون إلى الأرض ويتقاعسون ويجبنون ؛ لأنهم (أحرص الناس على حياه) [٨٢] .

أما الموت : فإنهم : (لن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم) [٨٣] . ومن أجل ذلك الجبن والحرص على الحياة ، فإنهم : (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) [٨٤] .

(ضربت عليهم الـذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) [٨٥] .

(ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) [٨٦] .

(وضربت عليهم المسكنة) [٨٦] .

* ومن الخصائص التي أكد القرآن على التزام بني إسرائيل بها : التحريف والتـزييف والجـدل الباطل ، اقرأ قول الله تعالى : (وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) [٨٧] .

(من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا) [٨٨] .

---

(٨٢) سورة البقرة : آية ٩٦ .
(٨٣) سورة البقرة : ٩٥ .
(٨٤) سورة الحشر : آية ١٤ .
(٨٥)
(٨٦) سور آل عمران : آية ١١٢ .
(٨٧) سورة المائدة : آية ١٣ .
(٨٨) سورة النساء : آية ٤٦ .

(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (٨٩) . وتدبر قول الله : (من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) فهو تحريف مع سبق التعمد والاصرار . ومن أجل ذلك صارت كلمة (الاسرائيليات) علما على فعل بني اسرائيل الكذب والوضع والتزييف والتأويل الفاسد . . الخ .

وبعد :

فهنالك ثلاث فوائد نختتم بها هذا المبحث :

أولها : أننا لا نستطيع أن ندعي أننا قد جلّينا أخلاق اليهود أو خصائص نفسيتهم ، كما جاءت في القرآن الكريم ، لأن هذا لا يتم . الا بسوق جميع الآيات الكريمة المتعلقة بالموضوع ، وقد ألمحنا إلى صعوبة ذلك في صدر المبحث .

ثانيتهما : ان هذه الصفات الخلقية . والخصائص النفسية لم يدمغ بها القرآن الكريم كل وجميع بني إسرائيل ، لكن أكثرهم قد تدنس برجسها وأقلهم قد تسامى وترفع عنها وتمسك بحبل الله المتين ، وهذه معجزة قرآنية تتمثل في دقة بلاغاته وبياناته وعدل أحكامه ، وتدبر التقريرات الالهية التالية : -

(وقد كان فريق منهم) .

(من الذين هادوا) .

(وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان . .) .

(ود كثير من أهل الكتاب . .) .

واضح من هذه البيانات الالهية أن أكثر بني اسرائيل ومعظمهم وغالبيتهم قد انتكسوا في الاثم ، وارتكسوا في الوثنية والشرك ، ومع ذلك فقد أنصف القرآن تلك الجماعة القليلة التي رشدت من بينهم .

---

(٨٩) سورة البقرة : آية ٧٥ .

ثالثها : هذا الاتفاق البيِّن بين نصوص التوراة الحالية والانجيل الحالي والقرآن الكريم على دمغ إسرائيل بهذه الأخلاق الذميمة والخصائص المتسفِّلة، وهذا يعني أن جميع الكتب التي يقدسها أصحابها تلتقي - رغم الاختلافات الجوهرية والأصلية بينها - تلتقي على هذه المسألة ، وهذا له مغزاه ومعناه .

والله اعلم .

من أهم المصادر والمراجع

أولاً : باللغة العربية :

- إبراهيم خليل أحمد : « إبراهيم فيلبس سابقاً » :
محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، الطبعة الخامسة ، دار الوعى العربى ، بالقاهرة .

- أيشوعاب بن ملكون مطران نصيبين :
البراهين على صحة الإنجيل ، نشرة بول سباط ، ١٩٢٩ م .

- الباجى ، القاضي أبو الوليد (ت ٤٧٤ هـ) :
جواب القاضي الباجي على رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله ، بتحقيق د . محمد عبد الله الشرقاوى ، الطبعة الثانية ، دار الصحوة بالقاهرة .

- ابن البطريق : سعيد أفتشيوس بطريرك الإسكندرية سنة ٣٢١ هـ
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، نشر بعناية الأب اليسوعى لويس شيخو ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، لبنان ، ١٩٠٥ م

- بوكاى : موريس :

● الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، ترجمة ونشر دار المعارف بمصر .

● ما أصل الإنسان . . فى ضوء اجابات الكتب المقدسة والعلم ؟
ترجمة ونشر مكتب التربية للخليج العربى ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م

- الترجمة التفسيرية للكتاب المقدس ، توزيع دار الثقافة بمصر ١٩٨٣ م

- ابن تيمية : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم :

● الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، نشرة المدنى بمصر .

● الفتاوى ، نشرة الرئاسة العامة للبحوث العلمية بالرياض .

- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر :
المختار فى الرد على النصارى ، تقديم وتحقيق د . محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٤ م

★ الجوينى ، إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك :
شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل ، نشرة أحمد السقا ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ

★ ابن حزم الأندلسى ، أبو محمد :
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، نشرة مكتبة عكاظ - الرياض . ١٩٨٢
- الرد على ابن النغريلة اليهودى ، تحقيق د . إحسان عباس ، نشرة الثاهرة ١٣٨٠ هـ .

★ الخزرجى : أبو عبيدة :
مقامع هامات الصلبان ، نشرة الدكتور محمد شامه تحت عنوان « بين الإسلام والسيحية » مكتبة وهبة بالقاهرة .

★ دائرة المعارف الأمريكية ، مادة : Bible

★ دائرة المعارف البريطانية ، مادة Bible

★ داود : البروفيسور عبد الأحد :
محمد ﷺ ، فى الكتاب المقدس ، ترجمه من الإنجليزية الأستاذ فهمى شما ، نشرة قطر ١٤٠٥/١٩٨٥ م

★ باول ديفيز : مخطوطات البحر الميت ، ترجمة د . على عبد الجليل راضي ، طبعة بالقاهرة .

★ رحمة الله بن خليل الكيرانوى الهندى (ت ١٣٠٨ هـ - ١٨٩١ م)
- إظهار الحق ، طبعة عمر الدسوقى ، وطبعة أحمد السقا ، وطبعة كمال فراج

★ أبو زهرة ، الإمام محمد :
محاضرات فى النصرانية ، دار الفكر العربى بمصر .
★ سباط : الأب بولس :
مباحث دينية فلسفية لبعض القدماء من علماء النصرانية ، ١٩٢٩ م
★ سبينوزا : باروخ :
رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة د . حسن حنفى ، نشر الهيئة العامة .
للكتاب ، سنة ١٩٧٢ م .
★ سزكين : د . فؤاد :
محاضرات فى تاريخ العلوم ، طبعة جامعة الإمام بالرياض ١٩٧٩
★ سعيد : د . عبد الستار فتح الله :
ـ معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، نشرة القاهرة بدون تاريخ .
★ السموأل بن يحيى المغربي :
افحام اليهود ، بتحقيق د . محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الهداية بالقاهرة ١٩٨٦ م
★ الشرقاوى : د . محمد عبد الله
تأملات حول وسائل الإدراك فى القرآن الكريم ، عالم الكتب ١٩٨٢ م
★ الطبرى : على بن بّن :
الدين والدولة فى اثبات نبوة سيدنا محمد ، بتحقيق عادل نويهض دار الآفاق ، بيروت .
★ عبد الوهاب : أحمد :
المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة وهبة ، بالقاهرة ، ١٩٧٨ م
★ ابن العبرى : جريجوريوس :
مختصر تاريخ الدول ، بتحقيق الأب أنطوان الصالحاني ، نشرة دار الرائد ، بيروت . طبعة ثانية .

★ العسقلاني الحافظ : ابن حجر :
فتح الباری شرح صحیح البخاری ، بعناية الشيخ عبد العزيز بن باز توزيع إدارة البحوث العلمية بالرياض .
★ الغزالى : حجة الإسلام أبو حامد :
الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، بتحقيق د . محمد عبد الله الشرقاوي ، الطبعة الثانية ، دار الهداية بالقاهرة ١٩٨٦ م
★ قاموس الكتاب المقدس ، بإشراف د . بطرس عبد الملك ، والدكتور جون طمسون .
★ القرطبى المفسرّ :
الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، وإظهار محاسن دين الإسلام ، واثبات نبوة سيدنا محمد ، عليه الصلاة والسلام ، نشرة دار التراث العربى بالقاهرة ، ١٩٧٩ م
★ القرافى : أحمد بن إدريس الصنهاجي :
الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، مصورة عن مخطوط مكتبة أحمد الفاتح بتركيا ، (رقم ٤٠٤ قسم المخطوطات ، جامعة الإمام
★ الكتاب المقدس ، طبعة البروتستانت ، القاهرة ، ١٩٧٠ م
★ ابن كثير الحافظ المفسرّ المؤرخ :
- تفسير القرآن العظيم ، نشرة دار الشعب . القاهرة .
- البداية والنهاية ، نشرة مكتبة الصلاح بالرياض
- قصص الأنبياء ، بتحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، طبعة القاهرة .
★ كرم : يوسف :
تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة دار القلم ، بيروت .
★ ابن كمّونة اليهودى سعيد بن منصور :
تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، نشر بعناية المستشرق اليهودى موشى برلمان ، لوس أنجيلوس ، ١٩٦٧ م

★ وافى : د . على عبد الواحد :
الأسفار المقدسة للأديان السابقة على الإسلام الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر .
★ يحيى بن عدى اليعقوبي :
ـ اثبات صدق الإنجيل عن طريق القياس والبرهان .
ـ اختلاف لفظ الأناجيل ومعانيها
نشرهما بولس سباط سنة ١٩٢٩ م

ثانياً : باللغة الإنجليزية :
F OWEN CoLE, Six RELIGIONS in the TWENTEITH CENTURY, Hulton, 1984
والمؤلف معروف جيداً بكتاباته عن الأديان العالمية وهو يقوم بتدريس علم الأديان فى العديد من المعاهد اللاهوتية وأقسام الأديان فى جامعات بريطانيا فى الوقت الحاضر .
☆ R.F. COLLINS, INTRODUCTION To THE NEW TESTAMENT, SCM Press, London, 1983
يعمل المؤلف أستاذاً للعهد الجديد (الأناجيل والرسائل) فى عدد من الجامعات البريطانية والأمريكية .
☆ A. Deedat, IS The Bible God's word ??, Durban, South Africa, 1982
قد حصل هذا المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية فى العام الماضى .
☆ James Hastings, Dictionary of the Bible, New York, 1963
☆ Martin Hengel, Judaism and Hellenism, SCM Press, London, 1981
————, Jews, Greeks, and Barbarians, SCM, 1980

هذان المؤلفان من المصادر المهمة فى رصد ما تسرب إلى الديانة اليهودية من الأفكار السائدة ؛ سواء أكانت إغريقية ، امهِلِّنْستية ، أم أسطورية خرافية .

☆ F. Grant, The Gpspells, Their origins and their Growth, London, 1957

☆ Curt Kuhl, The old Testament; Its original Composition, London, 1961

W.G.Kummel : Introduction to the N.T., 1975

وهو من أهم الكتب التى تعرّف بالعهد الجديد بشكل متكامل ، وينتمى مؤلفه الى المدرسة الألمانية ، وقد ترجم الكتاب من اللغة الألمانية إلى الإنجليزية HowARD CLARK KEE ، وقد شغل المؤلف والمترجم وظيفة أستاذ العهد الجديد فى بعض الجامعات الغربية البريطانية والألمانية والسويسرية . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الكتاب قد نشر لأول مرة سنة ١٩٠٥ م

☆ J. Fenton, Saint Mettew, 1963

☆ The Lost Books of the Bible and the Forgotten Books of EDEN, Maridian, USA, 1926-1947

ولهذا الكتاب أهمية عميقة جداً حيث إنه يضم مجموعة خطيرة من نصوص الأناجيل والرسائل التى رفضها مجمع نيقية المسكونى الأول سنة ٣٢٥ م والمجامع التالية له .

☆ D.M. MackINNON, H.A. WILLIAMS, A.R. VIDLER, J.S. BEZZANT :

OBJECTIONS To CHRisTIAN BELIEF, 1964

Cambridge 1963, Philadelphia and New York

يضم هذا الكتاب أربعة بحوث خطيرة لأربعة أساتذة متخصصين فى

الـدراسـات المسيحية ؛ ويتنـاول المبحث الأول الإعتراضات الأخلاقية ، ويوجـه البحث الثـانى اعتراضات سيكلوجية ، ويقدم الثالث اعتراضات تاريخية ، ويوجه الأخير اعتراضات عقلية إلى العقيدة المسيحية المعاصرة . ومما يذكـر هنا أن هؤلاء الأساتذة المتخصصين فى الدراسات المسيحية قد كتبوا مؤلفاً خطيراً جداً بعنوان :

☆ OBJECTION To RoMAN CATHOLICISM

وقد نشر الكتاب فى لندن سنة ١٩٦٤

☆ John Marsh, SAINT John, Penguin Book, 1970

☆ Wayne A Meeks, The writings of st. Paul, London, 1928

☆ Bruce M.Metzger, The Text of the NT. its Transmission, Corruption, and Restoration, Oxford university Press, 1968

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة جداً فى دراسة العهد الجديد وتطوره ومدى قانونية كتبه .

وينتمى المؤلف إلى المدرسة الألمانية المعروفة بدراستها النقدية الحره للكتاب المقدس ؛ فهو امتداد لأمثال هورن وكريسباخ وغيرهما .

☆ I an Mohr : Thischendorf and the Codex Sinaiticus, NT. studies, 1971

☆ The NaG Hammadi Library in English,

وقد ترجمت مجموعة النصوص النادرة هذه الى اللغة الإنجليزية ونشرت بإشراف الأستاذ الدكتور James M.Robinson فى دار النشر Harper and Row, 1978

☆ Nenham, Saint Mark, Penguin Books, England, 1963

☆ Potter, The Lost Years of Jesus Revealed, New York, 1963

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مؤلفات الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي.

اولاً: دراسات وبحوث.

١ ــ في مقارنة الأديان

٢ ــ الاسلام والنظر في آيات الله الكونية

٣ ــ القرآن والكون

٤ ــ مدخل نقدي لدراسة الفلسفة

٥ ــ في الفلسفة العامة: دراسة ونقد

٦ ــ الفكر الأخلاقي: دراسة مقارنة

٧ ــ تأملات حول وسائل الادراك في القرآن الكريم

٨ ــ الايمان

٩ ــ الأسباب والمسببات في الفكر الاسلامي

١٠ ــ الصوفية والعقل

١١ ــ ابن عربي: الرجل والمذهب

١٢ ــ منهج دراسة الأخلاق بين الأصالة والتبعية

(بحث عن طه حسين)

ثانياً: تحقيقات علمية

١ ــ إفحام اليهود (للسموأل بن يحيى المغربي)

٢ ــ الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل (للامام ابي حامد الغزالي)

٣ ــ المختار في الرد على النصارى (للجاحظ)

٤ ــ النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية (لنصر بن يحيى المتطبب)

٥ ــ رسالة راهب فرنسا الى المسلمين وجواب ابي الوليد الباجي عليها (تحقيق)

٦ ــ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (دراسة وتعليق)

ثالثاً: تعريب

ترجمة تعليق المستشرق جيمس. مونرو على وثيقة اندلسية عن سقوط غرناطة.

تحت الطبع

ــ في مقارنة الأديان (الكتاب الثاني)

ــ تحقيق مسالك النظر في نبوة سيد البشر (السعيد بن الحسن الاسكندراني)

ــ في الفكر الاسلامي المعاصر (تحليل وتقيم).